الأب
فؤاد جرجي بربارة

الأسطورة اليونانية

أدب / أسطورة

الأب

فؤاد جرجي بربارة

الأسطورة اليونانية

أدب / أسطورة

الفهرس

اصطلاحات

أثبتنا الأسماء اليونانية على لفظها الأصلي ، وهذا هو المرعّي في أيامنا . وقد استعملنا للنطق بها في لغتنا العربية العلامات او الحركات التالية :

ۛ = هذه النقط الثلاث فوق الفاء تحوّلها إلى V اللاتينية فيڤي = Phivie

= « « « « تحت الباء « « P « بيِلُبُس = Pélops

= الفتحة تعلوها الضمّة تعادل حرف O عندهم مُوْرُس = Moros

= الكسرتان تحت حرف من الاحرف تعادلان é عندهم مِلبُميني = Melpoménie

وبهذه الاصطلاحات السهلة نتمكّن من لفظ أيّ كلمة يونانية في لغتنا العربية .

المؤلّف

أ . ف . بوبارة

مصادر الأسطورة

وتطور اعتقاد الأقدمين بها

لم تنشأ الحضارة اليونانية ، شأنها في ذلك شأن غيرها من الحضارات ، من تربة يونانية مستقلة لا صلة لها ببلدان أخرى أو حضارات سابقة . فقبل الحضارة اليونانية بآلاف السنين مدنيات وحضارات أنيقة مزدهرة كالمصرية والسمرية والفينيقية والهندية والصينية وغيرها . فلا بد أن تكون تلك الحضارة قد تأثرت بهذه الحضارات بصورة ما .

وقد عرفت جزيرة كريتي حضارة عالية نشأت وترعرعت فيها حوالي القرن الثلاثين قبل المسيح ، وقد حفظت الى يومنا هذا بعض معالمها الفنية والدينية ، نظير « باريسية اكنثوسّس » التي تكاد تكون معاصرة بقصّ شعرها وملبسها وحلاها .

وقد سيطرت هـذه الجزيرة على البحار الإغريقية حقبة من الزمن ، كما سيطرت عليها فيما بعد مدينة أثينا . فنشرت في البلاد التي بلغ اليها نفوذها ، ثقافتها ومعتقدها . وكما يحدث دائماً في مجال الحضارة عندما تمتزج الشعوب عقب الفتوحات ، يمسي المغلوب عادة هو الغالب على الصعيد الروحي والفكري . وهو الذي يفرض من ثمّ حضارته وعلمه وأفكاره ان لم يفرض دينه كله أو جلّه .

وهذا ما حدث فعلاً لتلك الشعوب اليونانية القديمة فقد جاءت قبائلها على كرات متتالية وتأثرت تأثراً عميقاً بالحضارة الميكينية والحضارة الكريتية وأخذت عنها الكثير في المجالات الاجتماعية والعلمية والدينية . وقد أشرنا في سيرة بعض الآلهة كهيرا وزفس مثلا الى علاقاتهم بتلك الجزيرة . هذا ، مع العلم أن الكريتيين الأولين كانوا يتمثلون العزة الصمدانية في هيئة إلاهة قديرة على كل شيء عدّوها مصدر الخير والخصب ، وسيدة الكون بأجزائه المختلفة ، والساهرة عليه كله . فهي إلهة الزرع والضرع والأرض والبحر والسماء ، والمسيّرة بأمرها جميع العناصر والمسيطرة على مصير الانسان . وهذه الإلاهة شبيهة بالاهة أهل الصين قديماً وحديثاً . وهذا برهان لنا على أن البشرية في القدم لم تبتدىء حتماً كما يدّعي الكثيرون من متحذلقي الغرب ، بعبادة الاوثان وتعدد الآلهة . وانما اعتقدت أولاً في الاغلب بوحدانية الله وروحانيته ، كما تنوّه بذلك الكتب المقدسة . ثم مع توغلها في الهمجية ابتعدت عن تلك العقيدة الصافية ، وأبدلتها بمعتقدات سخيفة من نسج خيال السحرة والشعراء وأصحاب العقول القاصرة وذوي الغايات والمطامع . والبحث في هذا الموضوع طويل وليس من شأننا في هذا المقام ، لأننا لا ننظر الآن في أصل الديانات ونشأتها ، وانما في تأثر المعتقد اليوناني القديم بمعتقدات أكثر عراقة منه وأشد قدماً .

وعلى كلّ ، نحن نجهل تماماً متى تكوّنت الاسطورة اليونانية ، وماهي قصة نشأتها وتطورات ذلك النشوء . وتفاصيل تلك الاسطورة أو الاساطير المتعلقة بالآلهة اليونانية نراها مكتملة مركزة دفعة واحدة أو تكاد ، في الالياذة أول ملحمة رائعة عرفها تاريخ الادب الانساني ، وفي ملحمة ثانية تفوق الأولى روعة هي الاذسيّة ، ومعزوة مثل الأولى إلى شاعر كبير أعمى هو أشهر أو من

أشهر شعراء البشرية ، هُوْمِرُس . وقد قال عنه هِرُودُتُس أبو التاريخ :
«إنه وهِسِيُّدُس واضع علم اللاهوت الحقيقي عند الأقدمين». هرودتس ٢ : ٥٣.

آ ـــ طور الاعتقاد الساذج

١ ـــ الشعراء الغنائيون

١) ـــ هُوْمِرُسْ

يُرجَّح أن هذا الشاعرَ قد عاش حوالي سنة ألف قبل المسيح . ففي المؤلَّفين المنسوبين إليه نرى الآلهة يخالطون البشر ويتدخلون في شؤونهم تدخُّلاً مباشراً. ونرى أكثر من ذلك وهو أن الآلهة والبشر أسرةٌ واحدة. تأتي الإلهة ثِيتِيس ابنة نِرِفْس إله البحر وقرينة بِلِفْس ملك تِسَّلِيَا ، وتعزّي ابنها أخِلَّفْس بطل الالياذة ، وتَعِدُهُ بمقابلتها ربَّ الأرباب فور عودته من بلاد النوبة ، واستمالته إلى نصرة أهل اطْرُوادة على أعدائهم الأخائيِّين ، لأن ملك هذا الشعب أغَمِمْنُنْ (Agamemnon) اغتصب سبيَّة ابنها. وتُصوِّر لنا الالياذة ان أخِلَّفْسَ قد استلَّ سيفه وهمَّ أن يخترط خصمه العنيد . ولكن أثينا بدت له وأمسكت بيده وثنته عن عزمه ، لأن هِيْرا ارسلتها . وقد كانت ربّة الأرباب تحب البطلين الملك أغمنن وأخلفس . « فلمّا انتهى الآلهة العظام من وليمة فاخرة أقيمت لهم في بلاد الحبشة ، وعادوا الى قصورهم في جبال أولِمْبُس ، طارت أمْ أخلَّفْس من قاع بحارها الى أعلى قمّة في مراتع الآلهة ، ودنت من زِفْس فهزَّ لبدته كالغضنفر ، وتزلزلت لتلك الإنتفاضة أسس ديار الخالدين ، وطيّبَ خاطر الإلاهة ، ووعدها خيراً بشأن وحيدها وحبيبها . فدرت هيرا بالأمر وكانت تحنو على الاخائيين وتحقد على الطرواديين ، بسبب

حكم بارس بالتفوّق لمنافستها الزهرة أفْرذيتي ، فجاءت تشاحن أخاها وعرسها زفس . ولكن رب الآلهة صدّها بعنف وهددها بالضرب ، فكظمت الإلهة البضّة الذراعين غيظها وهدأت[1] .»

هذا نموذج من ألفة الآلهة والبشر في تلك الملحمة . وتُروى فيها الأحداث الإلهية والبشرية على نمط واحد ووتيرة واحدة ، وتتساوق وتتمازج وتفيض من معين واحد ، صافية ناصعة بهيّة . وتعبّر عن عقيدة متأصّلة وعن رسوخ في ذاك المعتقد .

ويضاف الى الملحمتين الكبيرتين أربع وثلاثون مقطوعة شعريّة ، عُرفت « بالاناشيد الهوميرية » مع أنها في الأرجح ليست من هُوميرُس ، بل يردّها أكثر الأدباء الى القرن الثامن أو مطلع السابع . وتلك القصائد المتفاوتة بقيمتها الفكرية والشعرية مدائح كان المرتّلون والمرنمون في الحفلات الدينية المختلفة يُنشدون فيها بأمجاد الآلهة وعظائمهم ومبرّاتهم نحو البشر . ومن أجمل تلك المدائح أنشودة أبولّن. وهي تتغنى بمولد إله النور والفن في جزيرة ذيلس .

فالالياذة والاذسية هما لنا مصدر هام لمعرفة الاسطورة اليونانية. ونرى الاسطورة فيهما وكأنها قد تكونت وترعرعت وتكاملت أو تكاد في خطوطها الكبرى والجوهرية. وما يضاف إليها فيما بعد بمثابة التنميق والتوشية والزخرف على ثوب من دمقس فاخر .

أما جو هاتين الملحمتين فهو جوّ حضارة مزدهرة ، وجو بذخ وعظمة واقتدار يتجلى لنا عند عظماء وأمراء الاغريق ذوي العزة والصلف والجبروت، وعند كبراء اطّروادة ووجهائها المتحلين بفضائل إنسانية جلى ، هي ثمرة المدنية الحقيقية والرقي والتقدم .

---

(١) الالياذة : نشيد ١ (١-١)

٢) ـ هسيُذس

واذا انتقلنا من تلك الحقبة المتراوحة بين القرن الثاني عشر والقرن العاشر قبل المسيح ، ودنونا من أواخر القرن التاسع وأوائل الثامن ، وغادرنا سواحل إينيا وتوغلنا داخل بلاد اليونان الى سفوح جبل هلكون في فيتيـا ، عثرنا على كاتب كبير وشهير ، لم يكتب الأمراء والعظماء ولكن للفقراء والبسطاء ، لأهل القرية والريف ليحضهم على العمل والنشاط لأنهم « من طبعهم كسالى » وعلى نبذ الأحقاد والخصومات والدعاوى ، لان تلك الخصومـات لا تملأ إلا بطون الملوك والمقتدرين الذين يتغذون بالرشوة . والملوك الذين يكلمنا عنهم هيسيدس ليسوا كالملوك العظماء « رعاة الشعوب » ابطال الالياذة ، ولكنهم بعض وجهاء المقاطعات والمتنفذون من كبار الاقطاعيين ، واصحاب البقاع الشاسعة . وقد تولوا على شعوبهم وقضوا فيهم وكهنوا .

عاش هسيذس في بلدة اسكرا غربي ثيفة الى الجنوب الشرقي من مدينة خرنيا ، وألف منظومته « الاعمال والايام » بداعي خلافه مع أخيـه برسيس على ميراث والده ، وتحامل قضاة المقاطعة عليه . وقد رام الشاعر الملهم ان يعلم العدل لمواطنيه أهل فيتيا ، وان يلقنهم شروط هنائهم وسعادتهم . اما في « مولد الآلهة » ذاك « النشيد الجميل » الذي أوحتـه له ربات الشعر بينما كان يرعى قطيعه على هضاب البـلدة ، فقد شاء ان يؤكد فيه للجميع ان في السماء رباً قديرا عادلا يرقب البشر ويسهر على العدالة .

وروى لنا هِسيذُس في الجزء الاول من كتاب « الأعمال والأيام » اسطورة بنذورا وهي حواء اليونان . واسطورة السلالات البشرية : الذهبية منها والفضية والنحاسية والحديدية . وفصل لنا مولد الآلهة ونشوء الأشياء ومولد العناصر والليل والنور والسماء والبحر . وبعد نشوء العالم يكلمنا الشاعر الفلاح في نشيد ثان عـــن مَلِك السماء أورنوس وابنائه التيطان والعماليق ، وثورة ابنه أخرونس عليه . وفي نشيد ثالث يحدثنا عن زمن أخرونس وأبنائه زفس وهيرا وارِسْ وبُسِيذُون وذِمِيتِر وهسْتِيّا . وفي نشيد رابع يروي لنا مآثر زفس وانتصاراته وأمجاد أبنائه . وتنتهي الملحمة بذكر بعض الأبطال أبناء الآلهة . وتعد هذه الخاتمة منحولة .

وهِسِيِّذُس هو أوّل من تساءل في العالم اليوناني عن مبادىء الكون وأصل الآلهة وتعاقبهم وتزاحمهم على امتلاك العالم والسيطرة عليه وتنظيم شؤونه والسهر عليه : ولقد لقيت محاولته رواجاً كبيراً وأكرم صاحبها إكراماً وافراً ، حتى جُعل عندهم في مصف كبار الشعراء . ورُفـع الى مرتبة هُومرس نفسه ، واقتدى به فرجيليس اعظم شعراء الرومان . ولو كان تساؤله بدائياً وساذجاً جدا ، غير أن نفحته الدينية العميقة ترفـع من شأنـه وتجعله شيقاً في بدائيته وسذاجته ، ويمهد السبيل لشاعر تصفو عنده العاطفة الدينية وتترقى هو الشاعر الكبير بِنْذَرُس .

٣)ــ بِنْذَرُسْ

انحـــدر بِنْذَرُس من أسرة شريفة وترعرع في أرباض ثِيفة عاصمة فيتيّا . ولما كبر واشتهر طاف أرجاء اليونان كلها يمـدح الظافرين من

الأمراء والكبراء في العاب اليونان ا لحافلة ، الألمبيّة والبيثية والبرزخية والنيميئية . ولُد سنة ٥١٨ ق . م. وتوفي وهو يناهز الخامسة والسبعين من عمره . وقد ألّف أناشيد دينيّة تغنّوا بها في أعياد الآلهة والحفلات الرسميّة والمواسم الكبرى ، ومدائح دنيويّة أشاد فيها بانتصارات العظماء والأبطال في المباريات الدولية الكبرى المقامة في بلاد الاغريق . وهذه المدائح وتلك الأناشيد تتسم بنفحة دينية عميقة ، تنبع من صميم إيمانه برسالة الشاعر . فالوحي الشعري هبة من هبات الآلهة . والشاعر في قصائده معبّر عن حكمتهم : « إنني أستلهم امنيمسيني ذات الرداء الموشّى ابنة أرنوس ، كما أستلهم بناتها لتمنّ علي بالوحي . لأن بصيرة الانسان كليلة لاتستطيع بدون عون الآلهة أن تسبر سبل الحكمة العميقة . ولكن ربات الشعر والفن قد حبتني تلك الموهبة الخالدة [١] » .

ولكن الحكمة التي عوّل عليها شاعرنا هي الحكمة الدينية فقط ، لا حكمة فلاسفة زمانه من فيزيائيين أخذوا يبحثون عن عناصر الكون الأوليّة ومبادئه الطبيعية ، وسفسطائيين متحذلقين راحوا يشكّون في كل حقيقة ولا يثقون إلا بجدلهم السطحي العقيم ، ويناقشون المعتقدات القديمة ويجرحونها .

إن بندرس يقبل تلك المعتقدات برمّتها ولا يتردّد بشأنها : « لا مجال للريب في أي خارقة عندما يجترحها الآلهة [٢] » . بيد أنه يدع جانبا الأساطير التي تظهر الآلهة بمظهر زريّ . فقد تجرّدت آلهته من الشوائب والنقائص أو الرذائل البشرية وزال ما اتصفت به من ضعف في الملاحم الهومرية . فهي تتشح بالبهاء والقدرة والخلود ، وتتحلى فوق ذلك بالرحمة والعطف والصلاح .

١ - ٣) : (١) المقطوعة ١٦ من الأناشيد الدينية . (٢) النشيد البيثي العاشر ش٨ ؛

وزفس يعرف كلّ شيء معرفة تامة ويسيطر على كل شيء ، ولا تختلف مشيئته عن مشيئة القدر المعبر عنها تعبيراً كاملاً » .

وقد أكرم بنذرس من الآلهة بعد رب الأرباب ، أبولن إلهَ الشعر والفن والنور ، وربّات الأناقة والموسيقى ، قاطنات هضاب هيلكُون ووديانه وهركليسَ « وبيبَ ثيفة المشرقة وابن ألكمِيني ، ذاك البطل القهّار الذي ولج ديار الخلود ، بعد أن طاف أرجاء الأرض من أقصاها الى أقصاها وسبر أغوار البحار ونشر الأمن في كل سبلها [٣] » .

أما مبدأ العمل في الحياة وركن الأخلاق والتصرّفات فهو معرفة الطبيعة الالهية والطبيعة البشرية : « هناك جنس البشر وجنس الآلهة. لاغرو أن أمّا واحدة هي الأرض نفحتنا وإياهم نسمة الحياة . ولكن مايفرق بيننا وبينهم هو أن القدرة كلّها لهم ، ونصيبنا العدم والعفاء . ومن ثم فكل خير ونعيم يأتينا من الآلهة ، وليس الغنى والجاه فقط بل المجد والفضيلة أيضاً . ولذا يجب على العظماء والمقتدرين ان لايتباهوا ويتعالوا ويستسلموا للبطر والاشر ، بل أن يلبثوا ودعاء اعفاء معتدلين ، ويلزموا جانب العدل والفضل لئلا يثيروا سخط الخالدين [٤] » .

واهمية بِنْذَرُس من جهة اطلاعه لنا على المعتقدات اليونانية القديمة لاتقل عن اهمية هِيسيُذُس ، بالاضافة الى ما لاقينا عنده من تطور في العقيدة اذا قوبل باسلافه الشعراء .

---

(٣) النشيد البرزخي الرابع ش ٩ : ٤ . — (٤) النشيد النميئي السادس .

٢ ـ شعراء المآسي والمهازل

من الشعر الغنائي الذي يتغنى بالآلهة وعظماء البشر ، ننتقل الآن الى الشعر القصصي شعر المآسي والمهازل الذي يروي لنا آلام البشر واطوارهم المضحكة احياناً والمبكية غالباً ، وما ينتابهم من صروف الغِيَر وألوان العِبَر بمشيئة الأرباب أو حتمية القدر .

١) ـ إيسْخِلُس

ـ اول اولئك الشعراء إيسْخِلُس الإليفسيّ النبيل . وُلد في إليفسيس من أسرة شريفة ثريّة سنة ٥٢٥ ، واشترك في معركة مَرَثُون عام ٤٩٠ ق . م ، ثم في معركة سَلَمِيني عام ٤٨٠ ق . م . وهو شاعر وروائي كبير ، لم يبقَ لنا من نحو ثمانين رواية ألّفها الا سبع فقط ، هي في الأغلب صَفوة مسرحه وذُروة انتاجه الفكري وقد توفي حوالي سنة ٤٠٦ ق.م.

وآلهة إيسخلس هي آلهة هومرس وهسيذس ، يؤمن بها كما آمن بها أولئك ، مع شيء من التسامي في العقيدة ، والرهبة من قدرة تلك الآلهة وسطوتها . ولم يتطرّق الى ذهنه ماخامر فكرَ اكْسِنُفانِسْ الفيلسوف « الموحّد » مؤسس المدرسة الإلياتية ، من ريبة في وجود تلك الكائنات المتكيفة بنزوات البشر والمتخلقة بأخلاقهم والمنجرفة وراء شهواتهم وأهوائهم . فهو متمسك بالتقاليد ، مُيقن بالتعاليم القديمة ، وشغف بها شغف المطلعين على أسرار إليفسيس .

ومطلع « الإ فْمنيذه » ، احدى مآسيه الشهيرة ، يبدي لنا ذاك الشغف وذلك اليقين العميق. فهذه بثو نسّا العرافة ، قبل ان تدخل هيكل ابولن تناجي الأرباب مصدر النبوءة والوحي : « أبدأ صلاتي بالابتهال الى الأرض غِيئاً ، لأنها أول من تنبأ بين الآلهة . ثم الى ثِيميسْ ، لانها ثاني من شغل هذا المنصب

النبوي الموروث عن أمها . والثالثة التي نالته بالقرعة ، بلا عنف وبرضى ثيمس هي تيطانية أخرى ، عنيت بها فيفي ابنة اليابسة . وقد أهدته الى أخيها فيفس عند مولده ترحيباً بقدمه . . .

« فأبتهل أولاً في دعائي إلى أولئك الآلهة . وبعدهم إلى بلاس الساهرة. وأعبد العرائس المعتكفات في هذا الكهف، الذي أحبه الطير وألفه الخالدون . ولا أنسى افرُوميُس (١) صاحب هذا المقام . وفي ينابيع إبليسْتُس أتوجّه بالتحية إلى قدرة بُسيذُون . وأختم دعائي بالابتهال إلى زفس سيد الآلهة. وعقب هذه الصلاة أمضي وأجلس على كرسي عرافتي » .

بيد أن يقينه العميق بالآلهة لايمنعه من أن يثور على الطغيان والظلم والاستبداد ، ولو بدا الظلم في زفس رب الآلهة . فهوذا ابرُمثِفس ، الذي قضى عليه زفس بالعذاب الأليم فوق قنن جبال الكفكاز ، يتهجّم على ظلم سيّد الكون ويقول له : « أن سيادتك الحديثة قاسية عاتية (٢) » . ولا يخالف إسخيلُس بثورته هذه ، العرفَ والتقاليد ؛ كما لم يخالفها من سبقه من الكتاب والشعراء، عندماروو ا لناصراع الآلهة وتطاحنهم في سبيل السيطرة على الدنيا ومافيها .

٣) — سُفُكْلِيْس

- بعد إسْخِيلُس يأتي سُفُكْلِيس . وهو من ألمع شعراء المآسي عندهم ان لم يكن اعظمهم واشهرهم . ولد في كُلُونِي شمال أثينا من اسرة ثرية ، حوالي سنة ٤٩٥ قبل المسيح . وتلقن منذ صباه فن الشعر والموسيقى .

٢ - ١) : (١) أي ذيونس أو قا كخس إله الخمرة عندهم . - (٢) مأساة ابرمثفس ش ٣٥

ولما قدم الى المسرح ولجه عزيزا مظفراً . وفي ثلاثين مباراة نال بمآسيه اكليل المبرّزين نحو عشرين مرة .

كتب سفُكْلِيس نحو مئة وخمسَ عشر رواية ، لم تحفظ لنا منها خزائن الاقدمين الا سبعاً وشذرات متفرقة . وأشهر رواياته المحفوظة أنتغوني وهلكترا وإيْذِبُس الملك .

عاش هذا الروائي الكبير في القرن الخامس ، عصر بِرِكْلِيس الذهبي ، عصر النور والمعرفة الذي بدأ مع اكْسِينُفانِس وأنكْسَغورَس وبَرْمِنيْذِس يبعث في آفاق البشرية مبادىء الفكر الفلسفي العميق ، ومبادىء الوجود والكيان ، الكيان الأسمى ، كيان الذات الالهية الفريدة غير المتحوّلة السرمديّة . عاش في عصر الفنّ البالغ ذرى معانيه ، وأبهى روائعه الانسانية الخالدة ، في الموسيقى مع فِلُوكْسِينُس وفي الشعر مع بِنذُرس ، وفي الرواية مع زميليه ومنافسيه إيسْخِلُس وإفْرِيبِيْذِس ، وفي المهزلة مع أرِسْتُفانِس ، وفي النحت مع فِيذِيَّس وبُلِيكْلِيتُس ، وفي الرسم مع بُلِيغْنُتُس وزِفْكْسِيس . عاش سُفُكْلِيس في ذاك العصر النيّر ، الذي غدا من أبدع وأروع عصور البشرية ، وتأثر بفنّه أثراً عميقاً ، ولكنه لم يتأثر بفكره الديني وتطوّر المعتقد فيه .

نراه يحترم التقاليد والمعتقدات ويراعيها أتمّ المراعاة ولا يتهجّم عليها أو يتضايق منها أو يبدي بالنسبة إليها شيئاً من التحفظ أو بأولى حجّة بعض الريبة والشك ، ولا يتضايق أمام عاهات ومساوىء ألصقتها بالآلهة مخيّلة شعب في طور بداوته وطفولته . إنه يتهكّم من فتاوى العرافين وإنباء الكهّان بالغيب . ولكن سخريّته لا ينطق بعباراتها سوى اشخاص اتّصفوا في رواياته بالصلف والزهو .

ومآسي سُفُكْلِيس معرض لاقتدار الآلهة وجبروتهم. ويتجلى اقتدارهم في بلايا البشر ورزاياهم . فتسيطر الوهبة على السامعين وللمشاهدين وتوحي اليهم فكرة عن عظمة الخالدين وعزتهم المجيدة . ولا يكتفي المؤلف بذلك ، بل يحاول أن يوفق بين شعوره الديني المرهف المتـامي ، وبين التقاليد القديمة ، البادية غالباً بمظهر السخف أو الابتذال أو الظلم . فان روعتنا تلك المـآسي بعدالة الآلهـة ، وشدة المصائب التي يبتلي بها الملك إيذِپُس فهي ترينا ذلك البائس متطهراً من إثمه ذاك الاثم الذي فرضه عليه القدر ، ومغسولاً من جريمة قتل أبيه واقترانه بأمه . وعندئذ بعد ان نقته المحن والآلام يغدو لمن يُؤويه مصدر يمنٍ وخيرٍ وبركة . وهكذا يتجلى في النهاية عطف الآلهـة على الصديق المبتلى ، ورأفتهم بضعف البشر . وفي مأساة أنتيغُوني ابنة إيذِپُّس وأخته من أمـه وقرينته نسمع هذه الفتاة الشهمة التي خالفت أمر الملك اكْرِتُون ، ودفنت جثة أخيها بُلِينِكُس ، نسمعها تؤكد وجود شريعة أدبية سميا ، فوق نُظُم الطغاة الظالمة .

فهذا الانسجام الديني الذي وفّق إليه سُفُكْلِس بنفسه الألمعي ، لم يقرّه عليه مناوئه في الفن المسرحي إفْرِبِيذِس .

ب — طور الشك

٣) ـ افربيذس

وُلد إفْرِبيذِس في سَلَمِينِي سنة ٤٨٠ ق . م وهي السنة التي قهر فيها اليونان اسطول الفرس في مسقط رأسه ويومَ مولده ، ووضعوا بذلك الانتصار حدّاً لغطرسة عاهل الشرق اكْسِيرْكْسِيس بن دَرِيُس . تعلم فن الرسم وما عتّم أن عدل عنه ومال الى الفلسفة ، ودرس على أنَكْسَغُورَس

أستاذ بيركليس . وبعد تلك الثقافــة العالية انصرف بجملته الى المسرح وتاليف المآسي .

حفظ لنا الأقدمون من مآثر هذا الشاعر العبقري سبع عشرة مأساة. وقد وصفه أرسطو في « فن الشعر » بأنه اقدر الشعراء على خلق الشجو والأسى في قلوب سامعيه ، وأن مآسيه تترك في النفس أعمق الانطباعات .

تأثر إفريبيذس بدروس الفيلسوف الموحد أنكسغورس ،وشك بكثرة تلك الآلهة،ولم يلبث مبتسماً غير مبال بل تحول شكه الى تهكم وسخرية ونزوات ثورية ينبض به شعره بين الفترة والفترة. ولكن في الظاهر بقي شكل المآسي عنده على ما كان قبــله ، ولم يغير شيئاً لا في اختيار الموضوع ولا في توزيع اجزاء الرواية . وقد عالج نفس المشاكل التي عالجها أسلافه منذ قرن وأكثر ، مثل حب الحياة والنور ،والفزع من الكوارث التي تهدد المرء وتروعه والاعتقاد بآلهة الانتقام، وغيرة الأرباب الناقمين على الطغاة والظالمين ، وسيادة القدر المهيمن على مصائر الآلهة والبشر . فكل هذه التعاليم بسطها إفريبيذس نظير غيره من كبار الروائيين وعرضها على تأمل سامعيه والمعجبين بروعة شعره وعمق تحليله .

إلا أن الجدة في مسرحه تبدو في النقـد للتقاليد السخيفة والمعتقدات الصبيانية . وقد مزجه المؤلف بشعره مزجاً دقيقـاً فيبدو تارة سخرية هادئة ناعمة ، ويتفجر طوراً تهكماً عنيفاً صاخباً على رذائل الآلهة ومساوىء تصرفاتهم وعلى ظلمهم الغـاشم وحسدهم وغيرتهم وفسقهم . فالاثيني الثاقب النظر لا يغتر بالخرافات الشعبية ، ولا يصدق تلك الترهات والروايات التي تهرف بها العجائز وتهذي بها الرؤوس الفارغة .

فهـذه هيلانة تهزأ بمولدها وتتساءل عن صحة نسبها الى ابيها المزعوم زفس (١) وإيّن يخامره الشك في إنتمائه الى أبيه أبولن (٢) . وأغممنُن لايثق كثيراً بتدخل بارس في نزاع الإلاهات الثلاث وفي حسمه له (٣) . فان عمد الشاعر الى الخوارق والأعاجيب فما ذلك إلا اقتفاء لآثار أقرانه . غير أنه في الباطن يبتسم ويلهو ويتسلى ، ويثور أحياناً ويستاء من صلف الآلهـة ومن ضراوتهم واحتيالهم . فهذه إفيغينيا تزدل تفكير أرتميس الملتوي بقولها عنها : « إن دنس مائت يده بقتل أو بمجرد ملامسة نفساء ، فهي تبعده عن مذابحها لنجاسته على ما يظهر . أما هي ذاتها فتجد نعيمها في الذبائح البشرية. الا يا قوم إن هذا لمستحيل . فلتو قرينة زفس لم تـلد في عالم الآلهة نسيجاً مماثلاً من المتناقضات . كلا ، ففي ملتي واعتقادي أنه ما من إله شرير (٤) .

ويضيف في أحدى رواياته المفقودة منوهاً الى تعاليم أنكسيمينس الفيلسوف : « أترى فوق رأسك ذاك الأثير الشاسع ، يحضن الأرض بين ذراعيه الرطبتين. إنه زفس فأحسبه كذلك وعدّه الها ». (٥) وفي موضع آخر يقول: « زفس مهما يكن من أمره ، أنا لا أعرفه إلا بالسماع » . هذا رأي إفريبذس حيث لاينساق الى ضروريات المسرح وما يفرضه من حـذر وفطنة ، وحيث يستطيـع أن يعبّر عن فكره الخاص بملء الحرية والصراحة .

٤) ـــ أرِستُفانِس

ـ من ألمع شعراء المهازل عندهم أرِستيفانيس. ولد حوالي سنة ٤٤٥ ق. م

٢ـ٣ : (١) هيلانة ش ٢١ . ـ (٢) إيّن ش ١٥٢٣ وما يلي . ـ (٣) إفغينيا في أفليس ش ٧٢ . ـ (٤) إفغينيا في تفريس . ـ (٥) لوكيانس : زفس ممثل المأساة ٤١ .

وتوفي حوالي سنة ٣٨٥ ق.م . ألّف نحو ٤٤ رواية هزلية ، لم يبق لنا منها إلا إحدى عشرة . وفي هذه الروايات يتهجّم كثيراً على المتحذلقين المدّعين العلم والمعروفين عندهم باسم سُفِسْتِيِّين . وقد خلط بينهم وبين خصمهم سقراط الحكيم الذي قالت عنه عرافة دلفي : « انه أحكم بني البشر في عصره » . واتهم هذا الفيلسوف بعد أن أقحمه في عداد السفستيين ، بالزندقة والميوعة وانحطاط الخلق والوصولية . وهذا الاتهام مجرد افتراء بحق سقراط ، إن لم يكن بحق بائعي الكلام أهل السفسطة كلهم أو جلهم (١) .

وكما تهجم شاعرنا الهزلي على سقراط ، جرح إفريبيذِس تجريحاً وانتقد اسلوبه الفني ، ورشقه بالابتذال والحشو في شعره ، وعدّه خصوصاً معلماً فاسداً ومفسداً، ادخل الى المسرح مشاهد خليعة ،ووصف الأهواء وصفاً شائقـــاً ، وأوحى إلى المحصّنات رغبة الانسياق وراءها. وعلاوة على ذلك فان إفريبيذس شاعر المآسي في نظره مهذار ثرثار ، عاث في الدولة فساداً بنقده اللاذع وروحه الثورية ومعارضته العرف والعادات والتقاليد الدينية (٢) . فأفكاره لا تختلف كثيراً عن أفكار السفستيين ، ومذهبه مذهبهم ومشربه مشربهم . هذا ماحكم به ارستفانس على زميله إفريبيذِس . وما تحـدّيه لمضللي الشعب والسفستيين والشعراء أمثال إفريبيذِس إلا لتمسّكه بالمبادىء والاخلاق الموروثة ، التي أنبغت أجيال مَرَتُون وَسَلَمِين والتَرْمُبِيليه . وفي اعتقاده أن العدول عن تلك المبادىء القديمة القوية ، أو أي وهن يلحق بها هو تحوير للمفاهيم ، وعدول عن الدين وتدنٍّ في القيم الفكرية والخلقية .

٢-٤) : (١) الضباب ش ٢٤٤ وما يلي . – (٢) اهل اخرنفس ش ٤١٤ وما يلي . والضفادع ش ١٠٥٠ وغيره .

ومع هذا الترمّت كله ومع تمسكه الظاهر بالعرف والتقاليد ، لايحرم نفسه من التهكم بذ ريتو نسس إله الخمرة ، ومن الطعن بعربدته وخلاعته ، لأن الجو كان عبقاً بالنقد . وقد تسرّب الشك لا إلى عقول عليّة القوم فقط ، بل فئاتٍ واسعةٍ من الطبقات الشعبيّة المتعلمة .

هـذا وغنيّ عن القول ان تعليم الشعراء ، ولا سيا المسرحيين منهم ، كان واسع الانتشار يبلغ عندهم كل أفراد الشعب أو يكاد ، إذ كانت المسارح فسيحة فخمة ، تضم في مدارجها مواطني بلدة برمّتها . بعكس تعليم المفكرين والعلماء والفلاسفة . إذ كان ذاك التعليم محصوراً حتماً في حلقات ضيقة ، منها العلنية ومنها السرية . ولا يحضرها إلا النخبة من أهل اليسر وصفوة من ذوي الحسب والنسب . ومع غليان الفكر في ذلك العهد الذهبي من تاريخ الحضارة اليونانية والانسانية ، فقد فرض حملة العلم والنور على نفوسهم منهجَ الحذر والتحفّظ ، خوفاً من ثورات الشعب عليهم واتهامه إياهم بالإلحاد والفساد ، كما جرى لأنكسيمنس الفيلسوف وابرُتَغورَس السُفسطي ، صديق بِرِكليس الذي طرده الاثينيّون من مدينتهم وأحرقوا كتبه (٣)

بيد ان تعليم الفلاسفة على ضيق الحلقات التي يبلغها يبقى في النهاية أعمق وأثبت ، وأثره في النفوس أقوى وأشد فعاليـــة ، ولا ينفك يتسرّب رويداً رويداً حتى يبلغ فئات واسعة من الشعب ، ولو بشكل أمثال ومبادىء غامضة مبهمة ، وأقوال شائعة تردّدها العامة ، تؤيّد بها تعليماً او تعارضه وتدحضه .

٣ ـ الفلاسفة والسفسطيون أو مدّعو الحكمة

بدت الفلسفة في مهدها عند اليونان بمظهر العلم . إذ قد حاول أول

(٣) راجع ذيجينس اللائرتي : سيرة ابرتغورس .

حكمائهم السبعة ان يفسر الكون وطبيعتـــه تفسيراً حسياً بحتاً ، وان يرد عناصره كلها حتى الآلهة والبشر الى جوهر فيزيائي فريد . وهذه المحاولة البدائية وتلك النزعة المادية حدت العقول بحكم الواقع الى التساؤل عن طبيعة الاله ان وروح الانسان وطبيعة الآلهة ، التي تصورهـا العقل اليوناني والشاعر اليوناني على شبهه ومثـاله وفعلا ماعتّم أولئك الحكماء او الفلاسفـة الفيزيائيون ان تساءلوا عن الطبيعة الالهية ، وحاولوا ان يفقهوا صلتها بالكون والكائنات . وقادهم تفكيرهم هذا الى مقابلة نتائج تأملاتهم العلمية والروحية بمعطيات الديانة الرسمية وتعليم العرف والتقليد بشأنها . ذاك التعليم الذي تناقـله الشعراء جيلاً بعد جيل ، حقبة طويلة من الزمن ، دون نقد أو مناقشة أو تمحيص . ومن ثم كان لابدّ أن يقع ذلك الصدام بين المعتقد القـــديم الساذج المتناقل ، الذي يتوارثه وينشره ويعممه إيمان أعمى قائم على تصديق بسيط ، لا يصدّه التناقض أو السخف أو البلاهة ، وبين الأفكار الحديثة والتعاليم المستجدة ، والتيارات الفلسفية الجياشة الجريئة . ومن هنـا تلك الهزّات وتلك الانتفاضات الشعبية يثيرها على الفلاسفة ورجـال الفكر نظير أنـكـسـغـورس وابرتـغـورس وسقراط وغيرهم ، مضللو الشعب وزعماؤه السياسيون ليكسبوا عطفه وتأييده ، ويبدو بمظهر من يحمي أعزّ شيء عليه الا وهو دينه وعقيدته .

١)ـ ثالس

ثالس أحد الحكماء السبعة وأول الفلاسفة الفيزيائيين ومؤسس المدرسة الايونية . ولد في ميلتس من أعمال آسيا الصغرى ، حوالي سنة ٦٤٠ ق م . وعمّر نحو تسعين عاماً . سافر في ربيع حياته الى ربوعنا الشرقية ومصر وتاجر واغتنى .

ثم عاد الى موطنه يعلم فيها الرياضيات والهندسة والفلسفة . ولكنه لم يترك لنا مؤلفاً ما ، شأنه في ذلك شأن كثير من الفلاسفة مؤسسي المدارس الفكرية أو المذاهب الدينية ، نظير بثغورس وسقراط والسيّد المسيح .

اعتقد ثالس أن جوهر العالم الفرد هو الماء وان الماء ينشر الحياة في كل الكائنات ، ومن ثم كما يقول أرسطو قد ظن ثالس «ان كل شيء ممتلىء آلهة»[1] لاعتقاده ان الروح شائعة في العالم كله . وقد روى ذيجينس اللائرتي في سيرة هذا الحكيم انه عد « العالم حياً ومليئاً بالآلهة».

ومن ثم نرى بجلاء ان أول حكماء اليونان ، وأن أول من وجّه الفكر البشري الى الفلسفة والتساؤل عن أصل الكائنات وعلة وجودها ، لم ينسب هذا الأصل الى كائن اسطوري هو الخواء أو الديجور أو الحب إروس ، ولم يعُد في ذلك الى تخرّصات الاسطورة ، بل حاول بتفكيره العلمي ان يعلل الوجود ويعرف جوهره وأصله .

٢) ـــ أنكسيمنذرُس

وحذا حذوه أنكسيمنذرُس معاصره ومواطنه . وُلد هـــذا الفيلسوف نحو سنة ٦١١ ق . م وعاش في ميليتس مسقط رأسه الى منتصف القرن السادس . كان هو أيضاً ضليعاً بالرياضيات والفلك وعلم الطبيعة وحاول أن يفسر الكون تفسيراً عقليا منطقيا . وهو ربما أول من كتب في مثل هذه المسائل والمعضلات . ومؤلفه الشعري يدعى « في الطبيعة » أو « حول الطبيعة » نظير

---

١ ـ) : (١) راجع في النفس لارسطو ١ : ٥ ـ ٤١١ : ٥ ثم ذيجينس اللائرتي ١ : ٢٧)

ماشاكله من المـــؤلفات لهيراكليتس وبَرمنيدِس وأنكسيمينيس واكسنفانيس وغيرهم .

وقد زعم فيلسوفنا ان العوالم كلها قد خرجت من مادة أوليّة قديمة هي جوهر الكون وعنصره الفريد . وسمى هذه المادة القديمة « الغيرَ المحدود » أو « غير المتميّز » أو « غيرَ المحبور » . خرج كل شيء من هذا الجوهر الفرد القديم ، بالافتراق والتميّز . وسيعود اليه يوماً ، على ان يخرج ثم يعود لمصدره الى ما لا نهاية له . لان حياة الكون الحاضرة ليست في سلسلة التوالد والتواري الموزونة الوئيدة المتعاقبة سوى فترة او برهة قصيرة . فهل نحن مع هذا المفكر الفذّ بعيدون عن أحدث النظريات الكونيّة ؟

والماء بعد خروجه بالافتراق من المادة « غير المحدودة » ، ولد أوليات الحيوان وولدت هذه حيوانات اخرى . فتكاثرت الانواع وتميز بعضها عن بعض ، وتكاملت حتى ابرزت النوع البشري . فالانسان احدث انواع الحيوان. فهذه النظريّة على قاب قوسين من نظريّة دروين . ونحن بعيدون فيها عن خيال الاسطورة ، مع ان أنكسيمَنْدُرُس لم يعادِ الشعراء الأولين ، الغنائيّين منهم واصحاب المآسي ، ولم يُصلهم حرباً عواناً ولا خالفهم جهاراً . لا بل جاراهم في بعض تعليلاته الكون . فهو عندما يتكلم عن المـــادة غير المحدودة ، يقول : « انها تشمل كل شيء وتقود كل شيء وتهيمن على كل شيء .. وهي غير مائتة ولا نهاية لها[1] . ويدعو النجوم والكواكب آلهة سماوية[2]. ويعمد في تفسيره سلسلة مواليد الكون وانمحاقاته المتعاقبة الى ما يسمّيه « اثم العالم وظلمه » ، فالعالم « يحمل تبعة مساوئه واخطائه[3] .

٣-٢) : (١) الطبيعيات لارسطو ٣ : ٤ - (٢) ابلوترخس: آراء الفلاسفة ١ : ٧

(٣) راجع زيلر ١ص ٢٣٠ ومايلي ، وهولاخ المطبوعة الثانية ص ٢٣٧-٢٣٩.

٣) ــ أكْسِنُفانِس

نشأ هذا الشاعر الفيلسوف في مدينة كُلُفُون من أعمال إيُنِيّا في آسيا الصغرى حوالي عام ٦٠٠ ق. م[١]. ولما ناهز الخامسة والعشرين من عمره، أخذ يتجول في بلاد اليونان، حيث قضى على حدّ قوله سبعاً وستين سنة[٢]. تعرّف خلالها الى مذاهب أسلافه ثالِس وأنَكْسِيمَنْدْرُس وبِثَغُورَس.

وانتقل أيضاً الى مدينة إليِا من أعمال لوكانيا في جنوب إيطاليا، وألّف ملحمةً بداعي تشييد تلك المدينة، كما نظم أخرى بداعي تأسيس وتشييد مدينة كُلُفُون موطنه ومسقط رأسه. وقد كان يقرض الشعر ويتغنّى به هو نفسه كالشعراء الغنائين المتجوّلين[٣]. ومن مجموعات قصائده لم يحفظ لنا الكتاب الا شذرات متقطعة، نستشف من خلالها مذهبه وأفكاره دون أن نعرف دقائق نظرياته.

وما يلفت النظر في مقطوعاته تحفظه تجاه العقل البشري واعتقاده بوهن هذا العقل وبالغموض المحدق به: «أما بشأن ما أقوله عن الآلهة وعن كل شيء، فليس من إنسان كان أو سيكون، يستطيع معرفة الحقيقة بالضبط. ومهما بلغ كلامه من الدقة، فهو لن يعرف شيئاً من ذلك. فالوهم يهيمن على كل شيء».[٤]

---

٣ - ٣): (١) ذيجينس اللائرتي ٩: ٢٠ - (٢) مولاخ المقطوعة ٢٤ - (٣) ذيجينس اللائرتي ٩: ١٨ - (٤) المقطوعة ١٤ - راجع المقطوعة ٥و٦.

ومع تحفّظ اكْسِينُفانيس هذا فهو لا يعدل عن طلب الحقيقة ، ولا يقنط من البلوغ اليها ، ويثق بتقدم العلم بعض التقدم . فليس فيلسوفنا الشاعر من أصحاب الشك المتنكرين للمعرفة . وما يبـدو له أكثر الأمور رسوخاً وثباتاً هو الطبيعة الإلهيّة .

فشاعرنا الفيلسوف هو أول مفكر يوناني تكلم عن الاله الأوحد بشاعر العبادة العميقة والسجود الخاشع . فكأن لهجته تنبىء بلهجة سقراط أو بلهجة السيد المسيح . فلا ريب في قوله عن الكائن الاسمى ، ولا شيء مما يفرضه من التحفّظ في موضوعات المعرفة . بل أنه يسفّه هَومِيرُس وهِسِيِّدُس ، وينبذ شركها ويقبّح تصويرهما الآلهة بصور البشر ونقائص البشر : إن هُومِيرُس وهِسِيِّدُس يخلعان على الآلهة جميع الجرائم . فكل ما يستحق النبذ والرذل بين الناس وكل أعمالهم المخزية يتغنيّان بها في شعرهما كالسلب والنهب والزنى والغش » . فاكْسِينُفانيس يستخفّ بتلك السخافة ويزدري عقول من لا يسمون عن مستواهم البشري في تصوّرهم الآلهة : « يحسب المائتون أن الآلهة يولدون نظيرهم بحواسّ وصوت وجسم . فلو كان للثيران والاسود أيد ، ولو أتقنت الرسم كالبشر ، لاصطنعت لنفسها آلهة على شبهها ومثالها . واتمثلتها الخيل مماثلة للخيل ، والعجول مماثلة للعجول باشكال وأعضاء تحاكي أشكالها وأعضاءها . »

وهكذا آلهة تراقية لها شعر أحمر وعيون زرقاء ، وآلهة الحبشة أجسامها سوداء وأنوفها فطساء .

فهو لا يتمثّل الألوهة على ذلك الوجه ، وهي لا تشبه البشر لا بالجسم ولا بالفكر . والاله الاسمى « يرى ويعقل ويسمع بذاته كلها » ، بلا أعين ولا

آذان ولا حواس . وفكره النافذ يهيمن بلا عنــاء على كل شيء ولا يتحرك ولا يتبدل ولا يتنقل من موضوع الى موضوع .[٥] »

وقد ســأل أهلُ إليَا اكسنفانيس ذات مرة هل ينبغي أن يضحّى للِفكيثا وان تنظم لها المراثي . فأجاب : « إن كانت الهة فهي لاتحتاج الى رثاء . وإن كانت امرأة فهي لا تستحق الضحايا لأن الألوهة لا تولد ولا تموت وانما هي كائنة » .

ومن ثم لم يسمع قط في الوثنية صوت أشد من صوته يحتج على تصوير الألوهة بصور بشرية . وقد جابه النقل والتقليد وعارض الشعراء في اساطيرهم، وأخذ عليهم سخافــة أوهامهم وبطل معتقدهم . فهذه النزعة الروحانية وذاك الاعتقاد الصحيح في طبيعة الله وتنزيهه عن كثافة المادة ونقص الخلائق ، هو منعطف خطير ومنطلق مثير في تأريخ الفكر اليوناني . ولعلّ بِثَغُورَس هو الذي مهّد له السبيل الى ذاك التوحيد والى ذلك السموّ في الخلق والابداع والتجديــد .

٤) ــ هِراكْلِيتُس

وُلد هذا الفيلسوف في مـــدينة إفِسُس من أعمال إيُنِيَا في آسية الصغرى ، حوالي عام ٥٧٦ ق . م . إنحــدر من اسرة نبيلة ، تشغل منصباً دينياً مرموقا ، مابرح يلقب بالملكية ، لأن الملوك كانت تشغله سابقا . ولما دعي هِيرا كْلِيتُس الى تبّوء رئاسة الكهنوت الملكية في مدينته ، رفض ذلك الشرف الاثيل لعتوّه وترفعه عن العوام . [١] وقد تُوفّي نحو سنة ٤٨٠ق.م.

---

(٥) راجع المقطوعات ١و٢و٣و٤و٥و٩ .

٣ – ٤) : (١) ذيجينس اللاثرتي ٩ : ٦ .

كان هيراكليتس على جانب كبير من التيه والخيلاء ، يؤثر الغموض في فكره وتعبيره حتى لُقّب بالغامض . وقد ترك لنا كتاباً واحداً سمّاه « الطبيعة » أو « إلهات الشعر » وقسمه المفسّرون الى ثلاثة ابواب: في الكون ، وفي السياسة ، وفي علم اللاهوت . ومذهبه هو مذهب التطوّر والتحول . فكل شيء في كل شيء وما من شيء ثابت ، بل كل شيء يتغير دوماً ويستحيل . والكون دائم الجريان وليس من شيء كائن ، بل كل شيء يتكوّن .

والأشياء كلّها أصلها النار الإلهيّة المتقلبة ، ومعادها الى تلك النار حتماً ، بعامل القدر الذي لا مناص منه ، وهذه الشريعة سارية المفعول على البشر والآلهة ، وعلى كل الكائنات بلا استثناء . فالعالم اذن في تحوّل مستديم ، يكون ناراً ثم يغدو هواءً فماءً فتراباً . والكون الدائم الجريان ينبثق من النار الإلهية ، ثم يعود اليها خلال فترات طويلة الأمد ، تتعاقب بلا انقطاع ، على تطوّر العناصر في هبوط وصعود . فالتنوّع وهم . والكائنات وحدة ليس الا . ولكن تلك الوحدة ليست جموداً ، بل تحوّلاً متواتراً وتبدّلاً لا ينقطع .

والعقل في نظر هيراكليتس يستطيع وحده أن يعرف الحقيقة الثابتة الأزلية الغير المتحولة ، خلالَ تعاقب الكائنات وجريان تيّارها الدائم . وهذه الحقيقة هي تحوّل النار الأولية طبعاً لشريعة القدر المحتوم . أما الحواس فلا تشعر إلا بالتحوّل دون ادراك نظامه وهي عاجزة عن بلوغ المعرفة ، وكلُّ علمٍ بُني على أساس الحواس فهو خاطىء ضرورةً وخدّاع .

وقد ميّز هذا الفيلسوف في المرء بين الجسم والروح . والجسم في ذاته لا قيمة له . وهو يقول فيه : « يجب أن تُنبذ الجثة بازدراء ، وان تطرح كما يطرح الزبل » (٢) والروح هواء ناشف ناعم . وكلما ازداد نشوفة ، ازدادت

(٢) مقطوعة ٥٣

النفس عمقا وذكاء . واذا سكر المرء ترطّبت الروح وفقدت قوّتها ونفوذها .
والناس بعد الموت لهم مصائر غامضة ، الا ان النفوس التي مارست الزهد
والقناعة وسمت نحو النورانية والنار ، تغدو نفوس ابطال وآلهة .

وعرف فيلسوفنا مذهب بِثَغُورَس ، وطالع نظريات اكْسِنُفانِس ،
فازدرى الطغام وسخر بمعتقدات الجماهير : « من يخشع ويتضرع الى التماثيل
والأوثان ، فكأنه يخاطب المنازل دون أن يعرف من هم الآلهة والأبطال(٣).
فالآلهة قديرون وفهماء جداً : « واحكم الناس ليس سوى قِردٍ اذا قيس
بالآلهة . والبشر في حكم الأطفال اذا قوبلوا بالآلهة » .

ولكنْ فوق الآلهــة والبشر كائن اسمى أزلي يهيمن على الكون
ويسوسه . وهو سنّة تعاقب الكائنات ، فيدعوه هِراكْلِتُس تارة « أغْنُومي »
الفكر ، وطورا « ذِيْكي » الحق ، وأحيانا الدهر أو زِفس . بيد انه ينبّهنا
ان الاسم لايهمّ كثيراً ، وما يجب ان يتحاشاه المرء هو ان يعتقد بهــذا الاله
الاسمى اعتقاد العامّة ، وأن يذهب تفكيره بشأنه مـذهب الجهّال والبسطاء :
« إن الحكمــة الوحيدة هي في معرفة الفكر الذي يدبّر الكل في الكلّ .
فهو يريد ان يُدعى زِفس ولا يريد (٤) » .

وهذا الاله الاسمى لم يبدع شيئاً ، ولكنه يشرف على تقلبات الكون ،
كما يشرف احدنا على لعب الشطرنج يقلب قطعه . فهل هو القدر او هو النــار
الالهية كما يبدو في الأغلب ؟ إن الله هراكلس خفيّ المعالم غامضها نظير الفكر
الذي أبدعه .

٥) ـ بَرْمِنِيْذِس

بَرْمِنِيْذِس هو أحد واضعي المذهب الإلياتي ، ولعله مؤسسه الحقيقي .

---

(٣) مقطوعة ٦١ (٤) راجع مقطوعة ٧٨،٦٢،١٩،٦١،٢٧

ُولد حوالي سنة ٥٤٠ ق.م. في زعم ذيجينس اللائرتي ، ومعروف عن هـــذا الكاتب انه يروي التاريخ على طريقته الخاصة بلا تحقيق ولا تدقيق . ويفيدنا أفلاطون في مواضع عدة أن استاذه الكبير سقراط في شبابه قد عرف هـذا الفيلسوف واستمع له عندما زار أثينا وهو في الخامسة والستين من عمره . وقد ُولد سقراط سنة ٤٦٩ ق.م فيرجح اذن أن بَرْمِنيدِس قد أمّ أثينا سنة ٥٤٠ ق.م. وانه ُولد حوالي سنة ٥١٥ في أواخر القرن السادس قبل المسيح .

انحدر بَرْمِنيدِس من أسرة كريمـــة ثرية ، اقامت في مدينة إليئا الساحلية – وهي فيليا الحالية – من أعمال لوكانيا ، في جنوب إيطاليا، على البحر التريني . وقد سن شرائع لموطنه ، ولخص فلسفته في كتاب نظمه شعراً وسماه هو أيضاً في الطبيعة ، وقسمه شطرين ، يحوي الشطر الاول نظريته الحقيقية في الكون ، وعنوانه « في الحقيقة » . ويضم الثاني الى اسطورة الشعراء تخرصات الفزيائيين الايونيين ، وعنوانه « في الظن » ، أي التخمين والحدس المعتمدان على ظواهر الامور كما تبدو للحواس . ولعله في هذا الجزء الاخير – وهـــذا أغلب احتمال على مايبدو في مطلع الكتاب ومن تضاعيف الشطر الثاني منه – لعله كان ساخراً من آراء أسلافه الطبيعيين والشعراء المهووسين الذين لا يعتمدون الحقيقة في شعرهم ، بل الشعور العاطفي والخيال المتقلب الخداع .

وهو يروي لنا كيف تجلى له مبدأ الكائنات . فقـد نقلته مركبة الفكر بجواديها الناصعي البياض الى ابواب الليل والنهار ، تقوده في رحلته بنات فرقد النهار الساطعات . ولما بلغت به المركبة قصر « الحقيقة » المتلألىء، خاطبت بنات الشمس إلهة العدل القائمة على حراسته . ففتحت تلك الإلهـــة مصراعي الباب المتألقين نوراً وضياء ، وأدخلت الشاعر الى حضرة الحقيقة الازلية

فاستقبلته الالهة أطيب استقبال وأكرمت مثواه ورحبت به قائلة : « اجذل وابتهج ولتطب نفسك ، اذ لم يحدك الينا في هذا السبيل الذي تجهله اقـــدام المائتين ، مصير شؤم . وانما جاء بك العدل والشرع . فينبغي ان تعرف ادق معرفة فكر الحقيقةالمجردة ومزاعم البشر الواهية ».

وتُعقّب إلهة الحق قائلة : « اياك أنتتصور أن العدم موجود . حوّل فكرك عن تلك الطريق الموبقة ، ولاتلفت العادة المألوفة بصرك الاعمى اليها، ولاسمعك الاصمّ ، ولانطقك الابكم . ولكن حكّم عقلك في موضوعهذه المناقشة وفي ما اقدم لك من براهين ، فلا يبقى لك سوى مخرج واحد وهوأن الكائن موجود » .

«فالكيان موجود ، وألف دليل يشير لنا انه لم يولد ولن يموت . فهو الكل الفريد غير المتحول والكل الصمد . لم يكن ولن يكون وإنما هو كائن . انه الكيان المطلق وهو الواحد السرمدي . »

وتتابع إلهة الحق بعد ذلك المطلع الفخم بقولها : « وكيف تريد ان يولد الكيان ، وعلى أي أصل ؟ فمن اين يأتيه النمو ؟ أمن العدم ؟ اني احظر عليك هذا القول وهذا الفكر . اذ لا يتاح ان يقال أو يُظن أن الكيان غير كائن . اذ أي ضرورة حتمية صارت به الى الكون ؟ ولم قبل أو بعد ؟ فليس في الكيان مولد أو بدء . فهو مطلق الوجود او غير موجود . ولا تسمح قوة برهان ان ينبثق منه ابداً شيء لايكون اياه . وأن يولد الكيان او يموت، هذا ما لا يتحمله العدل [1] » .

تأمل فيلسوف الكون اذن فرأى : « أن الكائن كائن وانه يستحيل ان لايكون . اما اللاوجود ، فالعقل لايدركه لأنهغير موجود . ولانستطيع

(١) : مطلع كتاب برمنيدس « في الطبيعة » (٣ ـ ٥) .

ان نعبر عنه ، لأن الفكر والكيان أمر واحد . ومن ثم يتحتم ان نفكر ونقول ان الكائن كائن وانه غير مخلوق . فلا سبيل الى القول انه كان أو انه يصير ، اذ انه بكامله في اللحظة الحاضرة واحد متماسك وحيد. ومن اللاوجود لايمكن ان يأتي الوجود ، كما لا يأتي الوجود من الوجود . لأن الوجود موجود فليس للكائن اذن من مولد وليس له ابتداء . ولذا فهو قديم أزلي . وهكذا من الضرورة ان يكون مطلقاً أو أن لا يكون قطعاً .

« وهو ايضاً غير متحول ، ثابت دائم الاستقرار ، باق في ذاته وعلى نفس الحال وفي نفس المكان . وبالتالي يستحيل أن يكون بلا نهاية . واذ له حد اقصى فهو كامل . وهو اشبه بكرة كاملة الاستدارة وكاملة التوازن[٢]. »

وفي نظر بَرْمنيدِس ان العقل وحده يعرف الحقيقة ، أما الحواس فهي خادعة . ولذا فالعلم ينتج عن معرفة العقل . وأما الظن والوهم فهو ماتعرفه الحواس من ظواهر الاشياء . فالحواس تشعر ان الكون مؤلف من عنصرين متضادين هما النور والظلمة ، الحرارة والبرودة ، وأن الاشياء كثرة . وأما العقل فيدرك ان الكون كائن أوحد ، ووحدانية لاتنفصم عراها . فالحركة والانتاج والتحول والتوالد إذن من وهم الحواس وانخداعها .

ولكن العقل يرى ان هذا كله مجرد ظواهر ، لأن الكون لم يعرف ابتداء . ولن يلقى انتهاء ، اذ هو كائن فريد غير متحول أزلي .

ومن ثَمّ يؤكد هذا الفيلسوف وحدة الكيان المطلقة . والكثرة والتعدد او التباين ظاهرة مجردة من ظاهرات الحواس الخداعة وأوهامها الواهية . وبالتالي لا تعدّد آلهة ولا تعدّد كائنات أياً كانت . بل الوحدة مطلقة كاملة شاملة .

---

(٢) راجع لفوالكات : المفكرون اليونان قبل سقراط ، باريس ١٩٤١ .

فان تكلم في كتابه العميق عن آلهة او إلهات ، فما ذلك الا أسوة بمن تقدمه من الشعراء ، ومراعاة لمشاعر العامة دون الخاصة التي تستطيع التفكير وتبيّن قصده وهدفه . وما كلامه عن كريات فرقد النهار وعن إلهات العدل والحق والنور الا توريات شعرية وصوراً بيانية بهية . ولكنه لا يؤمن بها اكثر مما يؤمن زميله الشاعر الروماني لوكرتسيئُس بالزهرة الهة الحب والجمال ، عندما يناجيها ويحييها ويستوحيها في مطلع كتابه « طبيعة الكائنات » .

لقد سما برمنيذس الى عالم ما بعد الطبيعة بتفكيره العميق ، ووثب وثبة فذة الى أجواء الفلسفة الاولى والى عنصرها غير المحسوس ، الى الكيان موضوع الفكر . ولكنه كان مقصّراً في علم النفس والمنطق . ولذا فاته ان الكائن والكيان ـ على ما سيوضحه ارسطو ـ يؤخذ من نواح عدة (٣) . وتقصيره هذا جعله يجدع الكون ويجدع الفكر ويمنع العلم .

الا أن هراكلتس وبرمنيدس قد مهدا للفلسفة العالية وعبّدا لها الطريق عارضين عفواً أهم مسائلها ، وطارحين في مجال الفكر أعوص وأغمض مشكلاتها . ولقد عنيت بأهم تلك المسائل والمشاكل مسألة الكيان والمصير ، والكائن الاسمى وطبيعته ومشكلة الادراك العقلي والحسي . وعلى الحلول التي تلقيانها تقوم اكثر المذاهب الفلسفية ان لم نقل كلها . هذا وقد طبعا الفلسفة عموما واليونانية منها خصوصا بطابع شخصي عميق ، كان له اثره الأكبر في تاريخ المذاهب الفكرية والمدارس الفلسفية .

---

(٣) راجع كتاب « ماوراء الطبيعة » لارسطو .

٦) — أنكسغورَس

أنجبت هذا الفيلسوف مدينة أكْلَزُمينيه من اعمال إيُنيا في آسيا الصغرى . وتقع هذه المدينة على مقربة من اميرنا أو إزمير الحالية . ولد أنكسغورَس في مطلع القرن الخامس على عهد بيرِكْليس صديقه من اسرة كريمة غنيّة ، وانصرف انصرافاً كاملاً الى دوس الفلسفة ، وتفرّغ لها تماماً . وزعم بعضهم انه تتلمذ لأنكسيمينيس . ثم قصد مدينة أثينا حوالي سنة ٤٦٠ق م. وصرف فيها في صحبة بيركْليس ونخبة من أهل الأدب والفكر ثلاثين عاماً . ويبدو من حوار فيذُنْ لافلاطون أن سقراط لم يعقد مع هذا الفيلسوف صلات شخصية (١) . أما ثُكيذِيذِس المؤرخ وإفريبيذِس الروائي فقد عرفاه وخالطاه ، وأخــذا عنه روح التحرر من الشعوذة والخرافات ، في زمن لم يبرح فيه هيرُوذُتُس أبو التاريخ بسيطاً ساذجاً ينقاد لترّهات الأسطورة وكل سخافاتها . ومن هذا القبيل تخوّف عرافٍ يُدعى لامْبُن ، من وجود كبش في قطيع بقرن واحد . فشرّح الفيلسوف جمجمة الحيوان ، وبيّن أن تشاؤم العرّاف في غير محله ، وأن القرن الوحيد متأتٍ لاعن مشيئة الجنّ أو اله يبغي للمقاطعة سوءاً ، ولكن عن تشويه طبيعي في رأس الكبش .

وأوجس بعض الأثينيين خيفةً من تفشّي نظريات الفلاسفة ومن جرأة تعاليمهم ، لاسيما بشأن المعتقد والتقاليد الدينية . فوُشي بفيلسوفنا واتُّهم بالزندقة ، فاضطُرّ ان يغادر مدينة أثينا وأن يَؤّم مدينة لامْبْسَكُس حيث نضى نحبه نحو سنة ٤٢٨ ق . م .

٣ — ٦) : (١) راجع ذيجينس اللائرتي : ٢ ؛ ٧ . وانظر ايضا لابلوترخس ، سيرة الرجال العظام ، بركليس ٤ : ٦ .

ألّف أنَكسغُورَس عدة مؤلفات ، واحداً منها في هندسة المسارح وتزيينها وآخر سمّاه هو ايضاً « في الطبيعة » وعرض فيه فلسفته . وهذا الكتاب هو الوحيد الذي حُفظت لنا منه شذرات ، نستشفّ من خلالها مذهب أنَكسغُورَس ونظرياته الطبيعيّة .

ففي نظر هذا الفيلسوف ، كما في نظر اقرانه اصحاب المدرسة الذرية : ليفكيبُس وذِمُوكرِتُس وإمْبِذُكْلِيس ، ان الحركة أكيدة ثابتة واقعية ، وان الواقع والموجود كائن .

فمن الحقيقة الاولى ينتج أولا وجوب تقسيم كائن بَرْمِنِيذِس الأوحد الى كثرة من الكائنات لانهاية لعددها وصغر حجمها، دعوها « أتومي مريذِس » أي الأقسام اللامتجزئة . وهذه الكثرة ضرورة حتميّة لتفسير تنوع « المصير » أي تحول الكائنات . والنتيجة الثانية هي أن الخواء أو الفراغ يفصل بين « اللامتجزئات » أي — الاتوم والذرات — . وهذا الخواء هو ضرب من اللاوجود أو العدم الواقعي ، لأن الخواء ضروري بمثابة مكانٍ تقع فيه الحركة . أما النتيجة الثالثة فهي أن الاتوم أي الذرات تحركها قوة هي في نظرهم القدر أو الحتميّة . وقد تكون تلك القوة اندفاع الحركة بالذات .

ومن الحقيقة الثانية وهي ان الواقع والموجود كائن ينتج ان « اللامتجزئات » تحفظ خواص الكائن الإلئاتي . ومن ثم فهي أولاً أزلية ملئى وكاملة في نوعها . وهي ثانياً متجانسة لاتنفصم عراها طبيعياً . ولذا سُمّيت « لامتجزئات » . وهي ثالثاً غير قابلة التغير والتبدل . ومهما تمازجت وتخالطت في تأليف أنواع الموجودات ، فانها تحتفظ دوماً بطبائعها الخاصة . لابل في نظر

الذريين الأولين لكل اللامتجزئات طبيعة واحدة . وكل شيء في الكون حتى النفوس والآلهة بالذات ، مزيج من تلك الذرات ، فالآلهة قابلة إذن في سنة الحتمية للفناء او التفكك ، وبالتالي ليست بخالدة مؤبدة .

ولكن مايمتاز به أنكسغورس عن نظرائه وأقرانه السابقين هو نظريته الماورائية . فقبل هذا العبقري الكبير كان الفلاسفة الإيونيون أو الإلياتيون او الذريون يعتقدون ان العالم والكون كله تسيطر عليه سنة القدر أو شريعة الحتمية البلهاء ، وان تلك السنة والشريعة تنفذ الى صميم الكائنات وتسيّر سكناتها وحركاتها .

فتأمل أنكسغورس نظام الكون ودقة تفاصيل ذلك النظام وشموله وإحكامه ، فنسبه الى عنصر أسمى وجوهر مفارق أصلاً دعاه « نوس » أي الفهم والعقل . ولذا مافتىء اصحابه وخلانه يلقبونه بهذا اللقب ، ويسمونه عقلاً ، كما دعا غسندي ديكارت عقلاً أو روحاً .

فهو نظير الفلاسفة معاصريه يقبل مع بَرْمنيذِس استحالة صيرورة حقيقية ، أي ظهور جوهر لم يكن موجوداً من قبل على وجه من الوجوه[2] . ومن ثم فهناك عناصر أزلية ، ولكن هذه العناصر لم تكن في نظره محدودة كما زعم إمبذكليس الذي ردّها الى أربعة فقط . ولا غير محدودة العدد وكلها من طبيعة واحدة كما قال ليفكبس ، بل هي في اعتقاده لا عدد لها ، ولا حصر لتنوعها وانقسامها . وهذه العناصر تأتلف في كل الاجسام بنسبة مختلفة . ونسبة هذا الائتلاف تنشيء تنوع الاجسام . اما في البدء ، فقد كانت العناصر كلها ممتزجة مختلطة بصورة فوضوية متشوشة ، لانظام فيها ولا ائتلاف ولا انسجام .

---

(٢) مولاخ المقطوعة ٤٧ —

تكثر فيها ذرات الهواء والنـار لان تلك الذرات هي أوفر شطر من العناصر (٣).
فتألفت الأجسام بفضل حركة دورية جمعت بـين الأجزاء المتشابهة المتجانسة ، وأتاحت لها ان ينضم بعضها الى بعض وان تتماسك وتتداخل . ولـكن تلك الذرات المتشابهة المتجانسة لاتخلو أبداً من الامـتزاج بذرات اخرى متباينة متنافية . ولذا فالاجسام التي تنشأ عنهـا بالتماسك والتداخل ليست بثابتة ثباتاً نهائياً . ومن ثم فالجواهر الظاهرة المختلفة تستحيل وتتطور من واحد الى آخر . هذه فكرة أنكسغورس الخاصة الاولى .

ولكن ماهو مصدر الحركة الدورية ؟ هنا نلاقي بدعة أنكسغورس الرائعة . وهي فكرته الخاصة الثانية : « ان مبدأ الحركة الدورية الفعالة المنظمة هي العقل او الفهم . فالعقل في ذاته وبطبيعته مفارق حر . لايقبل الامتزاج أو الاختلاط . انه أدق وأنقى من أي شيء . وهو مـدرك فهيم وقوي . ما يحيا ويوجد يقع تحت حكمه . فهو في البدء أصل الحركة الشاملة » (٤) .

في معرض الكلام عن الطبيعة وتفسير حركتها ونظامها لفظ هـذا الفيلسوف ، لأول مرة في تاريخ الفكر اليوناني ، كلمة « العقل » او الروح . وهكذا تجاوز حدود الطبيعة ، الضيقة على رحبهـا ، الى ماوراءها ، الى عالم اللانهاية عالم الفكر وعالم الروح غير المحدود . وبعد ان فقه مبدأ الكون والوجود ، حاول ان يبين خصائص ذلك المبدأ ، فقال أولاً بروحانية العقل . « انه أدق الموجودات وأنقاها . وليس مركباً نظير سواه من ذرات متشابهة » والا لما استطاع ان يسود جميع الكائنات لمجاراته لها في النقص . « فالعقل اذن بلا نهاية ، مستقل قدير وقائم بذاته ـ أفتوكراتس ـ لايُخالط ولا يُمازج أي

---
(٣) المقطوعة ١ - (٤) المقطوعة ٦

شيء ، منفرد موجود في ذاته » . فماهيته بسيطة مفارقة ، وهي بالتالي روحية حقاً منزهة عن كل مادة .

ثم قال بعلم العقل . فلكي يُنظِّم لا بدَّ ان يعرف ويطلع . ولذا « فهو يعرف الكون بأسره ولا يفوته من علمه شيء » . وقال اخيراً إنه عناية حكيمة ، أبدع النظام واستعاض عن فوضى العناصر وتشويشها بعالم منمَّق متزن موشّى . وهذا معنى كلمة « كوزمس » التي ابتكرها بيثَغورَس . ولكي ينظِّم الكون ويحافظ على ترتيبه لابد للعقل من قدرة لاحدَّ لها : « ولذا فهو يحرِّك كل شيء ، وينسّق كل شيء ما وجب ان يكون ، وما كان ، وما هو كائن وما سيكون[5] » .

وهذا التعليم اثار اعجاب أرسطو ، فامتدح صاحبه في كتاب ما وراء الطبيعة ، بعد عرض موجز لآراء أسلافه الفلاسفة بشأن علة الكون ، فقال : « إن وجود النظام والجمال في الاشياء او احداثهما لا يُحتمل أن يكون سببه النار او التراب أو عنصراً آخر من هذا النوع . وغير مقبول أن يكون أولئك الفلاسفة فكروا به فعلاً[6] . ومن جهة أخرى لايعقل ان يُرَدَّ فعل عظيم كهذا الى مجرَّد الاتفاق (أفتُماتُن) أو الى القدر (تيخي) . ولذا عندما قال أحدهم ان في الطبيعة كما في الكائنات الحية ، « عقلاً » (نوس) هو علة النظام والترتيب الشامل في الكون ، بدا ذاك الرجل وحده محتفظاً بوعيه ورشده غيرَ سكران تجاه هذيان وهَرْف أسلافه . ونحن نعلم بجلاء أن أنكْسَغُورس قد تطرَّق الى هذه الاقوال . ولكن يعزى الى هيرْمُوتِمسُ الكلازُميني أنه قد

(٥) راجع لارسطو : في النفس ١ : ٣ . — (٦) يعني بهم الايلاتيين والذريـين على الاغلب .

سبق اليها . وعلى كل حال ، فالذين يعلّمون هذا التعليم ويرتأون هـذا الرأي قد جعلوا علة الجمال والخير مبدأ الكائنات ، وأكدوا أن الحركة في الكائنات تتأتى من ذلك المبدأ » (٧)

لقد كان تعليم أنكسَغورَس انقلاباً فكريّاً ، وثورة حقيقية في عالم الفلسفة ، ولذا أثار إعجاب أرسطو . فالى عهد فيلسوف اكبَتزُمينيه كان المفكّرون كلهم يردّون حياتنـا الروحية والعقلية الى ظاهرات طبيعية محضة والى عناصر فيزيائية . فجاء أنكسَغورَس وقاوم التيار الجارف القديم ورد الطبيعة برمتها ، على كل شمولها واتساعها ، مع كل أحداثها وظاهراتها الى العقل . أو الروح كمصدر لها ومَعين رائق ومبدإ راسخ حقيقي .

بيد أن فيلسوفنا ، لم يستنتج من مبدئه كل نتائجه الطبيعية ، ولم يقل . إن مصدر الخير والنظام وعلة حركة الموجودات هو في الوقت عينه لها علة سببية وعلة غائية . وهذا مايأخذه عليه أرسطو نفسه واستاذه الكبير افلاطون (٨) . وهـذا التقصير أمر طبيعي . فكل العلماء لايرون لاول نظرة مدى مبادئهم . وكل نتائجها . وفضلهم كله غالباً في اكتشاف تلك المبادىء وفي اثباتهم لها .

ففضل أنكسَغورَس إذن هو أنه أول من عالـــج موضوع العقل . والروح معالجة علمية محضة . وهكذا عبّد الطريق لسقراط ومدرسته الفلسفية الروحانية ، ووضع أسساً متينة للفلسفة الماورائية أو علم اللاهوت الطبيعي ومهّد السبيل في الوقت نفسه للسكولوجية العقلية أو علم النفس الروحاني .

---

(٧) ر ما وراء الطبيعة لارسطو ١ : ٣ : ١٢ ومايلي . - (٨) ر لارسطو ماوراء الطبيعة ١ : ٤ : ٥ . - وفيذن أفلاطون ٩٧-٩٩ .

٧)-أرسطو

ولد أرسطو سنة ٣٨٤ ق.م. في مدينة صغيرة غنّاء تدعى استغيرا من أعمال شبه جزيرة خلكذكي على الخليج الستريموني الى شماله الشرقي ، على مصب نهر الستروُمون . وكانت مدينة أستغيرا هذه مدينة إيونية ، ساهم في تأسيسها نحو سنة ٦٦٥ ق.م. أهل جزيرة اندُرُس وأهل مدينة خلكيس، موطن والدته فستياس وقد دمّرهاسنة٣٤٩ق.م فيلبّس الثاني (٣٨٢-٣٣٦) إبان احدى الحروب التي مهّدت له اجتياح بلاد اليونان . ثم أعاد بناءها وجعلها سنة ٣٤١ ق.م. وخصّها بامتيازات كبيرة ، نزولاً عند رغبة أرسطو مهذّب واستاذ ألكصَنْدُرس المعروف بالإسكندر الكبير (٣٥٦ - ٣٢٣) . وقد سنّ الفيلسوف لهـا دستوراً حكيماً . واسمها الحالي استفروس أي مدينة الصليب .

وكان نكومَخس ، أبو أرسطو ، صديق أمينتس الثالث(٣٩٦-٣٦٩)، ملك مَكيدُنيّا وطبيبه الخاص. وعنه أخذ الفيلسوف ولا شك بالتلقين والوراثة خصوصاً ، حبّ العلوم الطبيعية وميله اليها واعتماده على الواقع الطبيعي،في شتى نواحيه ، اعتماداً صحيحاً بالمراقبة والاختبار ، ليبني صرح فلسفته الاولى ، كما يدعوها ، أي فلسفة ماوراء الطبيعة . وعنه أخذ ولا شك في ذلك ايضاً، تلك الواقعية الصرفة ، التي أتاحت له ان يشيد نظرياته الفلسفية البحتة على صخر متين يصونها من تقلبات الدهور وغارات المناوئين .

وعندما ناهز السابعة عشرة من عمره سنة ٣٦٨ ق.م. وكان قد أنهى ثقافته الأدبية والموسيقية والرياضية الاولى ، طبقاً لاصول التربية المرعية في

ذلك العهد ، والتي يشير اليها هو نفسه في البـــاب الثامن وأواخر السابع من سياساته ، قدم أثينا فيمن كان يقدمها من رائدي المعرفة على اختلاف فروعها ، وتتلمذ لافلاطون اجلّ واشهر أساتذة بلاد اليونان إذاك ، لابل اكبر فيلسوف في ذلك العهد .

ولم يقصد الندوة الأفلاطونية او الأكذمية – كما كانوا يسمونها – لميل خاص الى الفلسفة ، اللهم في الأوائل ، إذ كان والده يُعدّه لمهنة الطب، ولكن لصيت صاحبها ومؤسسها الذي كانت شهرته قد طبقت الآفاق . فما عتّم الاستاذ الكبير والمفكر الحصيف ان خصّ تلميذه الجديد بعناية فريدة ، ومحبة كبيرة ، إذ استشف من وراء ذلك الجسم النحيل والبنية الدقيقة والكيان النحيف ، عقلاً مرهفاً وذكاء متوقداً وقوة جبارة على المطالعة والإدراك والاستيعاب . وبعد ان عرك ذلك العود واستجلى باطنته المجوهرة – المركبة حسب زعمه في كتاب الجمهورية – لا من ذهب نُضار فقط ، ولكن – نستطيع ان نقول – من ماس كريم أيضاً ، راح يدعوه « عقـــلَ الندوة » وَقرّاءها « وفكرَ المدرسة وروحَها » . وكان يسميه ايضاً « فيلسوف الحقيقة » لصراحته واستقامتـــه ونزاهته في البحث عن مجرّد الحقائق .

فذاك العقل الكبير والعبقري الشهير وفيلسوف الحقيقة صرف جهده الى البحث عـن الحقيقة . وبعد أن غيّر اتجاهه وأكبّ بكل قواه على درس الفلسفة وجعل حياته وقفا عليها ، ألف تلك المؤلفات الضخمة فيها التي رفعته الى اسمى المنازل الأدبية والفكرية ، حتى عدّه فلاسفة العرب ومفكرو المسيحية أمير الفلاسفة والمعلم الأول . وكلّل دراساته كلها ونظرياته العميقة بكتاب ماوراء الطبيعة أو الفلسفة الاولى كما يسميها أو اسمى علم بلغه العقلي البشري .

وهو يقول لنا في مطلع هذا المؤلَّف الرائع :

« العلم والمعرفة لمجرد العلم والمعرفة ، تلك هي الميزة الرئيسية لعلم اسمى مايُعلَم . لان من يريـد أن يعلم ليعـلم ، يختار ويفضل لنفسه العلم الكامل أي علم أسمى مايُعْلَم . والحال ان اسمى مايُعلم هو المبادىء والعلل . فبها ومنها تعرف الاشياء الاخرى . وليست المبادىء والعلل هي التي تعرف بالاشياء الاخرى الخاضعة لها .

« فأرفع علم يفوق كل علم دونه ، هو العلم الذي يعرف لأي غايـة يؤتى كل عمل . وهذه الغاية هي الميزة في كل كائن . وعلى وجه الاطلاق انه الخير الاسمى في مجمل الطبيعة[1] » .

وعِلمُ أسمى مايعلم هو في نظر ارسطو علم المبادىء والعلل أو علم الفلسفة. وهنا يقول الفيلسوف أن المباحث الفلسفية ابتدأت بالدهشة والتعجب: « ما لفت نظر المفكرين الاولين في البداية كان البسيط من الصعوبات . ثم مابرحوا يخطون الخطوة تلو الخطوة الى ان حاولوا أن يحلوا مشاكل اكثر خطورة ؛ مثل ظاهرات القمر والشمس والكواكب ، واخيراً نشأة الكون . فمن يلاحظ صعوبة ويدهش لها ، يتهم نفسه بالجهل . ومحبّ الميثولوجية (أي الأسطورة) هو من بعض الوجوه محبّ الحكمة (أي فيلسوف) . لأن الاسطورة تتركب من أمور مدهشة . ومن ثم إن إنصرف الفلاسفة الأولون الى الفلسفة هربا من الجهل ، فجلي انهم سعوا وراء العلم ابتغاء للمعرفة ، لا لغاية نفعية . [2] لأن الفلسفة غاية لنفسها .

---

(۱) ماوراء الطبيعة ۱ : ۲ : ٥ و ٦ . — (۲) ماوراء الطبيعة ۱ : ۲ : ۸ — ۲-۳) .

ولذا يستطيع المرء بحق أن يحسب امتلاك الفلسفة فوق مستوى البشر . لأن طبيعة الانسان في الواقع مستعبدة من وجوه شتى . ولذا كما قال سيمُنيدِس : الله وحـــده يتمكَّن من التمتع بهذا الامتياز . ولكن لايليق بالمرء ان لايسعى وراء العلم الذي يوافقه . واذا ماصدق الشعراء ، وكانت الالوهة حسودة فلا بد أن تحسد خصوصاً بشأن الفلسفة . ولابد أن يشقى كل البارعين فيها والمتفوقين . غير انه لايُقبَل أن تكون الالوهـة حسودة ، اذ ان الشعراء ، طبقا للمثل ، كثيرا مايكذبون . هذا ولا يحتمل أن يظن المرء أن علماً آخر قد يكون انفس من هذا . وفي الواقع اكثر العلوم أولهية هو أنفس العلوم . والفلسفة وحدها اكثر العلوم الوهية ، وذلك من وجهين : العلم الالهي هو العلم الذي يجدر بالله اكثر من غيره ان يملكه ، وهو ايضاً العلم الذي يتكلم عن الالاهيّات . والحال ان الفلسفة وحدها قد حوت هاتين الميزتين : اذ يبدو من جهة أن الله علة من العلل لجميع الكائنات وأنه لها مبدأ . والله يملك وحده من جهة أخرى مثل هذا العلم أو يملكه أصلا . فكل العلوم اكثر ضرورة من هذا العلم ، ولكن ليس من علم افضل منه[3] . »

وبعد دراسات مسهبة على الكيان والوجود والعناصر والمبادىء والعلل ، يخلص الى القول أن نظام الكون وحركة الكون ، وديمومة الروح والعقل ، كل هذا يقضي بوجود كائن اسمى هو فعل تام اكمل ، لامجرد امكانية أو قدرة ، لان الفعل قبل القدرة ، والوجود قبل امكانية الوجود ، والكمال قبل امكانية الكامل . فالله هو المنظم الأزلي والله علة الحركة وعلتها الصمدية ،

(٣) ماوراء الطبيعة ١ : ٢ : ٩ و ١٠ .

والله غاية الكون والكيان. لانه الكمال الذي لا ينقصه شيء ، اذ هو ملء الكمال المنزّه عن كل نقص. ووجوده ضروري لانه مصدر الوجود وعلة كل موجود .

- « فالليل والخواء لم يوجدا فترة لانهاية لها . بل نفس الأشياء وُجدت دائماً .

- « إذ علتها سرمدية أزلية . وبما أن الأمر كذلك ، ولو لم يكن ذلك كذلك ، لصدر العالم عن الليل ، وعن الفوضى الشاملة والعدم ... وبما أن الحركة شاملة فالمحرك الاسمى مُحرِّك دون أن يَتحرَّك وهو الكائن الأزلي والجوهر الكامل والفعل التام . وهكذا مُحرِّك المرغوبُ والمعقول . انها مُحرّ كان دون أن يتحرّكا » ...

- « والله هو المرغوب الاسمى لأنه الخير الاسمى ، والمعقول الأسمى لأنه الجوهر الكامل الذي منه كل كمال .

- « فهذا هو المبدأ الذي تتعلق به الأكوان والطبيعة ، وحياته في ذاته تحقّق أسمى الكمال - لأنها روحيّة محضة - . ونحن لانحياها إلا فترات عابرة . أمّا هو فإنه يحيا تلك الحياة بصورة دائمة ، وهذا يستحيل علينا ، لأنّ لذته فعله بالذات . وما السهرُ والشعور والفكرُ أعظمَ لذّاتنا إلاّ لأنها أفعال . وما الأملُ والذكرى لذةً إلا بتلك .

- « والحال أن الفكر - والفكرَ القائم بذاته - هو فكر الافضل بالذات . والفكر الأسمى هو فكر الخير الأسمى . والعقل

يعقل ذاته إذا ادرك المعقول . لأنه يغدو هو نفسه معقولاً عندما يتصل بموضوعه ويعقله ، بحيث تنشأ وحدة ذاتية بين العقل والمعقول . لأن العقل وعاء المعقول والماهية . والعقل في فعله هو امتلاك المعقول . ولذا فالامتلاك قبل الملكة هو العنصر الالهي الذي ينطوي عليه العقل ، وفعل التأمل هو اللذة الكاملة القصوى.

● « فان أحرزالله اذن بلا انقطاع الحبور الذي لاغلكه إلا فترات متقطعة فذلك أمر مدهش . وان أحرز الحبور اكثر منا بكثير فذاك مدعاة اكبر لدهشتنا . والحال ان الله يحرز الحبور على هذا الوجه .

● « ثم ان الحياة من صفات الله . لأن فعل العقل هو حياة . والله هو هذا الفعل بالذات . فهذا الفعل الجوهري في حد ذاته ، هو نفسه حياة الله الكاملة الأزلية . ولذا ندعو الله حياً أزلياً كاملًا . فالحياة والديمومة المتواصلة الأزلية من خواص الله ، لأن هذا بالذات هو الله [4]. »

اما ماهيّة الله وجوهر الله ، فهو العقل والفكر : « ان العقل الاسمى يعقل نفسه ـ اذ لايمكن ان يعقل غيره كخارج عن ذاته ـ . ويعقل نفسه أو ذاته لأن ذاته خير مايوجد ، وفكره هو فكر الفكر . وبما أنّه لافرق في الاشياء المجردة عن المادة ، بين الفكر وموضوعه ، ففكرالله وموضوعه واحد بالذات ». وفكر الله يدرك ذاته أي الخير الاسمى مدى الازلية كلها [5].

هذا هو إله ارسطو روح محض وكمال مجرد وصلاح مطلق . فعل تام.

---

(٤) ما وراء الطبيعة ١١ : ٧ . – (٥) ما وراء الطبيعة ١١ : ٩ .

أي الكيان بالذات والعقل بالذات وفكر الفكر اي فكر ذاته لأنـــه اسمى كيان والكيان واسمى خير والخير . ومن ثم فهو سعادة كاملة وحياة كامـلة وفرح سرمدي ، علة العلل وغاية الغايات . فهو البدء وهو المعاد .

وما رأي ارسطو بالآلهة ؟ لقد رأى أنها عقول مجردة تشرف على سير الكواكب والافـــلاك . اما بعض الآلهة التي اكرمتها العامة ، فقد ازدراها ازدراءً ، بعد ان نسب شيئاً من الحكمة للشعراء الذين اختلقوها . فهو يقول في كتاب السياسيات [٦] : « بما اننا ننبذ من الدولة النطق باحدى القباحات فمن الظاهر اننا ننبذ ايضاً منها مشاهدة الرسوم وسماع الاحاديث الغير اللائقة . فليُعنَ الحكام اذن بألاّ يُمثّل رسمٌ او تمثال او شيء آخر قباحـةً من تلك القباحات إلاّ في هياكل بعض الآلهة ممن يدع لهم الشرع هزلهم الخلاعيّ . والقانون يسمح لمن تقدموا في السن ان يقصدوا تلك الهياكل ، لـكي يؤدوا الاكرام للآلهة عن ذواتهم واولادهم ونسائهم . »

ويشير الفيلسوف هنا بقوله بعض الالهة الى فاكخس او ذيونيسُس وافروذيتي وأرتميس ومن اليها ، ممن دارت عبادتها على الحب الشهواني والخلاعة أو رافقت عبادتها بعض مظاهر الفحش والتهتك . وارسطو ينتقد بكلامه هذا انتقاداً مبطنـــاً ولكن لاذعا ، تلك الشعائر الدينية السخيفة السافلة ، وتلك الآلهة التي قد يلحق بها الاهانة والضرب لو أنها بشر . مما يليق في نظره بالعبيد ، لأنها أحط من العبيد منزلة .

(٦) السياسيات ٧ : ١٥ : ٨

هذا وقد كنا نود أن نقف في بحثنا عن تطور المعتقد بشأن الاسطورة عند هذا الحد . ولكن تتمة للفائدة واستكمالا للعرض ، لابد ان نقول كلمة عن كاتب روماني عبّر في القرن الأول ق . م . عن فكر فئة كبيرة من اهل عصره ، ضمّت العظماء والوجهاء والكتاب والمفكرين ، وعن اديب يوناني عاش في اواخر القرن الثاني بعد المسيح وسخر من آلهة الوثنية وتهكم بمعتقداتها السخيفة واساطيرها الصبيانية .

ج — طور الانكار

٨) - لُكرِتسيُس

ينحدر هذا الشاعر من اسرة عريقة نبيلة ، تَعدّ بين اجدادها زمرة من قناصل رومة وهي اسرة لُكْرِتْسِيي . وُلد في رومة سنة ٩٨ ق.م وصادق انْشِيتْشِيرُو اي ثيثرون واتِكُوس و كَتُولُس . وانصرف عن السياسة الى حياة الأدب والشعر والفلسفة ، وتوفي سنة ٥٥ ق.م . وما إعراضه عن السياسة إلا لاشمئزازه من خصوماتها ومواورباتها وإحنها واانانياتها ودسائسها. وقد كره الدين ايضاً ونفر من معتقده وشعائره ، لانه اصبح لعبة في ايدي الطامعين والمستغلّين من اصحاب الغايات السياسية والمتنفّذين فيهم . ولمّا راحوا يكثرون لدعاياتهم الشخصية طغمة الآلهة ، ويزيدون عدد اكثرها سوءاً وشرّة ، تمرد على تلك القوات السماوية المزعومة ، وقد ابدعها الجهل والخوف والجشع واستخدمها الطغاة لقمع رعاياهم .

وفي تلك الحقبة العصيبة من تاريخ روما، فترة تضخم الامبراطورية الرومانية وفتوحاتها الكبرى واتساع رقعتها ، قادته تأملاته ودراساته الفلسفية الى اعتناق مذهب إبيكُرُس ، وغدا من غلاة الداعين اليه عند الرومان ولم يخلُ المذهب من العظمة والمهابة ، اذ دعت الاخلاق فيه الى التغلب على الذات وضبط الاهواء والحدّ من الرغبات ومقاومة المخاوف الخرافية . وهذه التعاليم أنمت الشهامة في القلوب واستهوت النفوس الابيّة ، بما انطوت عليه من زهد وشظف في العيش . وقد لائمت نظريات إبيكُرُس استعداد لُكرِتْسيُس الروحي ، وقد آلمته الحروب الاهلية الضارية حتى الصميم، فوجد ان فلسفة ذلك الحكيم اليوناني الكبير الطبيعية تروي غليله وتشفي نقمته من آلهة بله ومعبودات عاجزة من كبّتْولها ، وهو أولمبس الرومان، ان تضع حداً للمجازر الأهلية ، وتكفّ الأيادي الآثمة عن سفك الدماء البريئة .

وما كان في نظر إبيكرس نظرية علمية موقتة، غدا في وهم لكرتسيس عقيدة راسخة وايماناً متعنتاً أعمى . هذا وهو لم يزد شيئاً على نظريات ذمو كرتس الطبيعية ، وقد قبلها أستاذه على علاتها . إلا أن شاعرنا الروماني أضفى على تلك التعاليم النظريّة المجردة الرزينة وشاحاً أخاذاً ناصعاً من شاعريته الثائرة الجياشة ومن عاطفته العميقة المتألمة .

يبتديء لكرتسيس ملحمته بالابتهال الى فِينُس الزهرة إلهة الحب . وهو لايعتقد بها أكثر مما يعتقد بغيرها من الآلهة . ولكنه يعتبرها ، حرصاً على التقاليد ، أصل الأمة الرومانية ومصدر الخصب الرمزي في الكون . ثم يُطنب في مديح إبيكرس (٣٤٠ - ٢٧٠ ق . م) وينسى أن المذهب الذري، الذي يقضي على العقل والروح والآلهة والحياة الاخرى والدين ، ليس من معلمه بل

من فلاسفة عاشوا قبله بكثير ، نظير ليفكبس وذمو كرتس(٥٢٠-٤٤٠ق م) .
وإبيكرس بالذات الذي أخذ عن أنكسرخس ، تلميذ متردورس الخيسي،تلميذ
ذمو كرتس ، لم يزد هو نفسه شيئاً يذكر على تعاليم جده الأكبر بالروح .

فذمو كرتس يقول قول ليفكبس أن «ليس من العدم إلا العدم» ، وأن
كل شيء تفسره الذرات وحركتها في الفضاء . فهذه الذرات أزليـة لامتناهية
العدد ، وهي متجانسة مختلفة الاشكال ، ملئى وغير متجزئة . ومن ثم لاتنقسم
المادة الى مالانهاية ، ولكن ذراتها هي التي تتدانى فتنسجم وتتباين فتنقسم ،لأن
الاجسام كلها والكائنات الحية والارواح والآلهة لاتختلف في الماهية . ومايختلف
فيها هو إئتلاف ذراتها . اما الائتلاف او الأشكال التي تتخذها الذرات فمنشؤها
الاتفاق وحركة « الاتوم» الثنائية ، العمودية الأصلية والمنحرفة الناشئة عن تلاقي
الذرات وتصادمها . والحركة تقتضي الخواء أو الفراغ . وبرهـان الفراغ الذي
يقدمه ليفكبس لاصحاب المذهب الإلياتي هو الحركـة بالذات وتقلص بعض
الاجسام وتمددها وتداخلها وغذاء بعضها ببعض ، وإمتصاص هذا الغذاء بالذات .
ولكن الفراغ بين الذرات ليس عنصراً ايجابيا . لان العنصر الايجابي الفريد هو
الذرة والاتوم .

هـذا مذهب ليفكبس وقد أقره ذمو كرتس وكمـله . وفرض أن
الفضاء بلا نهاية تسبح فيه الذرات وعـــدد من العوالم . وأن العوالم كالبشر
والحيوان خاضعة هي ايضاً لغير الدهر وسنّة الازدهـار والانهيار . وليست
الذرة الثقيلة في نظره .ولكن الفراغ اذا زاد او نقص في المركب احدث الثقيل
أو الخفيف وأنشأ الوزن .

وقد أضاف ذمو كرتس الى هـذه النظريات الطبيعية ، بعض الآراء

النفسانية والماورائية والاخلاقية . وزعم ان روح الانسان تتركب هي ايضاً من ذرات دقيقة مستديرة شبيهة بذرات النار . وفسر عمليـــة الشعور او الاحساس : من جهـة الاشياء « بصورة مادية مثيلة » إيْدُلا ، تبعثها الاجسام كجزئيات مادية الى حواسنا ، ومن جهة الحواس فسر تلك العملية بإئتلافات ذرية هي المشاعر والوجدان والفكر والعقل او الادراك .

وما الآلهة إلا تراكيب ذرية أقوى من تراكيب النفوس البشرية . ولذا يطول أمد حياتها . ولكنها هي ايضاً مائتة او فانية ، لأنها خاضعـة لسنة الحتمية وتفكك المادة ، وشريعة إلتئام العناصر وانقسامها التي تسيّر الكون .

وبالتالي لا خرافات ولا أوهام ولا مخاوف سخيفة إذ الآلهة والبشر في البلاء سواء . فلتُخلد النفس البشرية إذن الى السكينة والدعة ، ولتحيَ مطمئنة هانئة ولتقطف أطايب الحياة في أوانها ، ولكن باعتدال وفطنة . وقيل انه كان ينبذ الزواج وحب الوطن لما يولدان من مشاكل ومتاعب . وكانوا يقابلون ذموكرتس الضحوك المتفائل بهراكلتس العبوس المتشائم .

وقد أضاف إبيكرس الى فلسفة ذموكرتس الطبيعية انحراف الذرات التلقائي او الذاتي . ومن هذا الانحراف تصدر ميول النفس وإرادتها الحرة . والعوالم المماثلة لعالمنا الناشئة عن إئتلاف الذرات لانهاية لها . اما الآلهة فهي تعيش في البطـالة ولا تتداخل في أمور البشر . ومن ثم لاداعي الى الخوف منها بل يليق ان يحترمها المرء ويكرمها رغم اعتزالها في قصورها النائية .

هذه هي التعاليم التي يتبعها الشاعر الروماني خطوة خطوة ، ويسكبها في قالب شعري بديـع . وبعد ان يعرضها في الكتب الاربعة من ملحمته ، يعود الى اطراء استاذه إبِيكُرُسْ ويبالغ في مدحه ويؤلهه تأليهاً ، ناسياً أو

متجاهلاً ان مذهبه ليس سوى اعادة لمذهب المدرسة الذرية ، وترداد لنظريات ليفكبِّس وذِمو كرِتس وغيرهم من الفلاسفة ممن حذوا حذوهم ونسجوا على غزاوهم . فهو يبدي حماس المهتدين حديثاً ، ويندفع بكل قواه وراء تعليم يحرر قلبه من الخوف وعقله من عقال الخرافة . ولذا لم يتكلم احد قط عند الرومان بمثل مايتكلم لُوكْرِتسيُس من الحرية والجرأة والصراحة عن تلك الآلهة التي يخضعها للقدر نظير كل شيء . ففلسفة ابيكرس راقت في نظر ذلك الدهري الملحد . وما ورائيته هي المادية الصرفة ، اذ ينكر ، بعد اساتذته اليونان ، على النفس خلودها وعلى الآلهة سرمديّتها . لأن العالم والكون اداة طيعة في يد الحتمية الصماء .

ولكن شائبة تلك التعاليم وعيبها الفادح الاكبر هو سذاجتها وسطحيتها وسخفها . فمن اين الاحساس والشعور لكتل الذرات ؟ ومن اين الادراك والتمييز لمجموعة « جزئيات » ومن اين الوجدان والعاطفة والحياة لعناصر مادية كثيفة ؟ وكيف ينوب القدر والاتفاق مناب العناية الإلهيّة العاقلة ؟ وكيف تنظم الحتمية هذا النظام الدقيق الشامل ؟ وكيف تفسر الآليّة العمياء نواحي الحياة المذهلة ، والحياة في جوهرها تتنافى والالية كل التنافي وتتناقض واياها أتم التناقض ، لاسيما على الصعيد الفكري والروحي والخلقي؟ وهذا هو بالذات مأخذ ارسطو الكبير على المذهب الذري ، وهو انه يحاول ان يفسر كل شيء بالحركة ، ولا ينبئنا عن مصدرها ولا عن كيفيتها ولا عن غايتها .

٩) ـ لُكَيْنُوس السُّمَيْسَاطي (١٢٥ ـ ١٩٥؟)

نشأ لكينوس في الشمال الشرقي من سورية ، على ضفاف الفرات في مدينة اسمها سميساط عاصمة كُمَجِينا . ولما شب رحل الى إبِّنيا وقد ازدهرت فيها المعرفة على عهد الاباطرة الانطونيين ، وتثقف فيها في الفلسفة والخطابة . ثم هبط الى انطاكية ومارس فيها المحاماة . ولكن لم يطل به الامد حتى هجر تلك المدينة وتجوّل في عواصم بلاد اليونان وغالية . ثم عاد إلى أثينا وأقام فيها زهاء عشرين سنة . وقد فضلها على رومة . وكان في رحلاته قد اغتنى جداً . ولما اخذت ثروته التي حصّلها في الغرب بتعاطيه مهنة السفستين تتقلص وتتضاءل نزح الى الاسكندرية حيث تذكّر عهد المحاماة ، وشغل منصباً مرموقاً في القضاء ، درّ عليه دخلا وافراً . وكان يأمل ان يبلغ منزلة والٍ على احدى مقاطعات الامبراطورية الرومانية (١) .

ألّف هذا الكاتب تآليف كثيرة عرفت كلها بالدعابة والمرح وخفة الروح . ومميزها الرئيسية السطحية والعبث . ومن اهم تلك المؤلفات «أحاديث الاموات» و «محاورات الآلهة» و «زفس المهرج» و «زفس المسفّه» و «عرافة الموتى» و «مينبس» و «الوصول الى الجحيم» و «الديك او الحلم» و «النحل الفلسفية في المزاد العلني» و «مجلس الآلهة» .

ففي زمن انعدم فيه الفكر الشخصي وغـــدا التعليم في كل المضامير ترديداً وترجيعاً لأقوال وآراء ونظريات الاقدمين ، تتجلى روح النقد في هذا الاديب السوري الى مدى بعيد ، ولكن لسوء الحظ تتناول هذه الروح عنده

---

٣ - ٩) : (١) راجع له هرموتمس اي المذاهب الفلسفية ، وكتاب الدفاع .

كل الموضوعات بالخفّة نفسها ، وبكثير من اللامبالاة وعدم المسؤولية . ومع ان فكره نبيه نقاد لاذع ، فهو يخلو أو يكاد من التؤدة والحصافة والعمق .

لقد انتقد أخلاق المجتمع وما تفشّى فيه من الشوائب والنقائص والرذائل، لاسيّما الطمع والجشع القائد الى الاثم ، والوصوليّة وحب الظهور، والتهافت على الملذّات . (٢) انتقد الخطباء والسفسطيّين « باعة الكلام » كما يدعوهم أفلاطون أو « تجّار المعرفة » كما يسمّيهم ارسطو . أما الخطباء فقد انتقدهم لأن فنّهم أمسى مجرّد منافسات ومباريات كلاميّة ، في عصرٍ حُرمت الشعوب الخاضعة لنير رومة من حريّاتها السياسيّة ومن حقّ انتقاد السلطة والمطالبة بحق تقرير المصير . فعند تلك الشعوب لم يَبْقَ للخطابة الا ان تشيد بمجد الولاة والحكّام والسلاطين ، وتدافع عن بعض المصالح الشخصيّة التافهة . وفي انتقاده الفئة الثانية التي انتمى اليها ردحاً من الزمن ، قد شمل « باعة الكلام » والفلاسفة الحقيقيّين .

لقد جرّح السفسطيّين لسخف تعليمهم ومتاجرتهم بالمعرفة واستخفافهم بالعلم وتدنّيهم الخلقي ومدالسة العظماء والوجهاء وذوي المناصب واصحاب السلطة . وكان ذوقه وثقافته قد منعاه من اقتفاء اثرهم والنسج على منوالهم .

أما الفلسفة والفلاسفة فقد ساءه فيهم تضارب آرائهم وتناقض مذاهبهم وتباين تعاليمهم . ولذا نعى عليهم زيف الفلسفة وبطلانها وانهيارها . وادعى انها افلست من العلم « لتعدّد مذاهبها وتشعّب مللها ونحلها وتنافر تعاليمها حتى بشأن المبادىء والغاية (٣) » . ولكثرة الهرج والمرج واللغط لا يستطيع الفكر ان يستقرّ ولا أن يختار لنفسه طريقة أو مذهباً ، « اذ لابدّ للمرء اكثر من مئتي سنة لمجرّد الاطلاع على مختلف المدارس والمذاهب الفلسفيّة (٤) » .

(٢) أحاديث الموتى والديك . – (٣) المتطفل . – (٤) هرموتمس ٨ ؛ .

وهو لا يفتأ يتهجّم على الفلاسفة ويطعنهم بلا هوادة ويهزأ بهم ويتهكّم وينعتهم بأسوإ النعوت . ففي كتاب له دعاه « إكرُمينيبُس او الرحلة الفضائيّة » ، يضع على لسان زفس وقد صعد اليه بطل رحلته ليزوره في عليائه، المديح التالي بحقّ الفلاسفة . وقد كان ربّ الارباب يبحث شكوى القمر في محفل الآلهة : « إنّ ما حداني الى استدعائكم هو قدوم ضيفنا يوم امس . فمنذ عهدٍ بعيد كنت أبغي أن أتلو على مسامعكم بياناً بشأن الفلاسفة . واليوم فقد عزمت أن أبحث معكم هذه القضيّة ، وعقدت النيّة على عدم إرجائها ، لاسيما وان القمر وتبرّمه يستحثني الى ذلك .

« يوجد الآن طائفة من الناس برزت الى العالم منذ أمدٍ قريب . وهي شرذمة كسول مشاغبة مزهوّة غضوب ، شرهة ، طائشة ، متكبّرة سريعة الى كل ضروب العنف وعلى حد قول هُوميرُس ، عبء على الارض لا جدوى منه .

« وقد تفرق اولئك الرجال الى نِحلٍ . وقد استنبطوا أقيسة عقليّة ملتوية ، وسمّوا انفسهم : هؤلاء رواقيّين ، واولئك اهلَ الندوة او اتباعَ إبيكُرُس او مشّائين ، وانتحلوا لنفوسهم اسماء اخرى تزيد هذه مهزلة . وليس هذا دأبهم فحسب ، ولكنّهم يتزيّون باسم الفضيلة المهيب ويقطّبون حواجبهم ويسدلون لحاهم العريضة ، ويتجوّلون في الاسواق وهم يسترون اخلاقهم السافلة وراء مظهر جليل .

« إنهم يُشبهون كل الشبه ممثّلي المآسي فان نزع هؤلاء أقنعتهم وألبستهم المقصّبة يعودون عفاريت استؤجروا للتمثيل بسبعة دراهم ..»

ويتابع زفس ، او بالأحرى لُكيَنُوس على لسان الآلهة ، ثناءه العاطر هذا ويبيّن نهم تلك الزُمرة بعد تعفّف ، ودعارتها بعــد تزهّد ، وجشعها بعداعراض وادعاءها الخير والاصلاح وهي منصرفة الى البطالة ، « فلا تنفع لحرب ولا تفيد في شورى » . ويتحو باللائمة خصوصاً على جماعة ابيكُرُس القائلة بانطواء الآلهة على نفوسهم واعراضهم عن الاهتمام بشؤون البشر ، ويضيف : « ان اقنعت هذه الطغمة الناس بصحّة ادعائها ، فمصيركم أيها الأرباب الى العسر بعد اليسر ، إذ من يشاء أن يقدّم لكم الأضاحي ان لم يرجُ منكم بعد اليوم خيراً (٥) ؟ »

« هكذا تكلّم ابن اخرُونُس وأيّــد قوله بتقطيبٍ من سود حواجبه (٦) »

هذا رأي كاتبنا بالفلسفة والفلاسفة ، وهو يميل خصوصاً الى مذهب ابيكُرُس وان خالفه بشأن وجود الآلهــة . فان تباينت الآراء وتناوأت الى هذا الحد ، فالافضل في نظره ان يركن المرء الى رأي الطغام وان يعيش عيشهم : إن خير حياة واحكمها هي حياة الرعاع والجهّال . فاعدل اذن عن جنون المباحث العويصة المتعلّقة بالظاهرات الفلكيّة ، وعن استقصاء المبادىء والغايات . ازدرِ القياسات والأدلة العقليّة العالمة ، وعــدّ كل ذلك هذرا وهذيانا . ولا تعوّل في كل شيء الا على امرٍ واحدٍ وهو استعمال الحضر . مرّ ضاحكا تجاه الباقي ولا تتعلق بشيء » . هذه مشورة مينِبّس اثر عودته من الجحيم ، وقد جذبه العرّاف تِرِسيئّس من طرف جبّته وانتحى به جانباً وأسدى اليه بهذا النصح . (٧)

(٥) الرحــلة الفضائيــة ٢٩ وما يلي .— (٦) الالياذة ١ : ٥٢٨ . —
(٧) مينبس او عرافة الموتى ٢١ .

وما هو رأيه في الآلهة والابطال وانصاف الآلهة والإلاهات . انه ناقم على هؤلاء جميعاً نقمة عارمة ، تبدو تارةً تنكيتاً ظريفاً كلّه مرح ودعابة ، وتارة استهتاراً سافراً وتجريحاً مستخفاً وثورةً واستنكاراً . فهو يأخذ على تلك الآلهة مخازيها وفحشها ثم قسوتها وشيرّتها ، واكثر من ذلك تفاهتها ولا مبالاتها . ويعود الى هذا القدح والتعيير والاستهتار والاستنكار في اكثر من مؤلّف ، ولا رادع في زمانه ولا وازع ، وقد غدت الوثنية مهلهلة واهية متداعية . قضت عليها المذاهب الفلسفيّة ودكت دعائمها مفاسد الاخلاق وحيرة الافكار والقلوب ، إذ نضجت عقول الجماهير وتعطشت افئدتها الى تعليم أعلى وأسمى والى اهداف أرقى وأنقى .

فهل كان كاتبنا دهريّاً ملحداً ؟ لايبدو ذلك جليّاً واضحاً من خلال مؤلفاته . ولكن ماحيّر عقله ولبّه هو في زعمه قسوة القدر المهيمن على كل شيء ، على البشر وعلى الآلهة ، وتفشّي الشرور والمحن ، لايدفعها إله عن بريء ولا ينزلها بآثم أو مسيء . هذا ماحداه الى رذل مثل تلك الآلهة والى نبذ معتقدات تقرّ كل تلك التناقضات .

فهو في حوار « زفس المسَفّه » يحجّ رب الارباب ويقطع عليه مذاهبه ، ويكرهه على الاعتراف بعجزه والاقرار بأن سيّد الكون هو القدر الغاشم المهيمن على مصائر الجميع بواسطة ربات الاقدار والمصائر اللاتي يغزلن لكل انسان ، لا بل لكل إله احداث حياته وعواقب آخرته أو وفاته .(٨)

---

(٨) زفس المسفه .

وفي حوار « زفس المهرّج » يظهر لنا سيّد السماء والارض بمظهرٍ زريّ ، يستدعي محفل الارباب وهو خائف وجلٌ ، لايدري بما يخاطب به الآلهة ، وقد بدت في محيّاه علائم الرعشة والحيرة والذهول واصطكّ حنكاه وصرت اسنانه وتلعثم لسانه لأن تِمُكليسَ الفيلسوف الرواقيّ قد وهن امام خصمه دَميسَ الفيلسوف الابيكُري . وقد هاجم هذا الآلهة وعنايتهم بالبشر وسهرهم على مسير العالم ، وحاول ذاك الدفاع عنهم والذود عن عبادتهم وعن شعائر دينهم وعن اللجوء اليهم بالاضاحي والصلوات . وبعد هزيمة الأول هزيمةً مخزيةً وانتصار الثاني انتصاراً مشرّفاً ، يعزّي هيرميسُ أباه زفس بكلمةٍ للشاعر الهزلي مينَنْدرُس: «لاتشعر بالسوء مالم تعترف به » . ويضيف قوله :« إذا ارفضّ الجمهور ووافق بعضهم على زعم دَميس– المتنكّر لوجودنا وعنايتنا بالكون وشعائر ديننا – فهل يشكل ذلك بلاءً كبيراً ؟ إن الاغلبيّة الساحقة تعتقد العكس . ويؤلّف هذه الاكثرية لا طغامُ الشعوب اليونانيّة فحسب ، بل كل الامم البربريّة ايضاً .»

فيجيبه زفس في مرارة العلقم : « صحيح يا هيرْميس ... بيدَ أني كنت افضّل اكثر بكثير أن احرز دَميسَ وحده كنصيرٍ وموالٍ ، على أن احرز عشرة آلاف مدينةٍ كمدينة بابل » .

لقد انتقد لُكِيَنُوس الفلسفةَ والدين عند اليونان . ولكنّ نقده كان نقداً هدّاماً ، كلّه سلبيّ ما خلا الناحية الاخلاقية منه . وهو على كلّ حال بعيد كل البعد عن حصافة الفلاسفة الحقيقيّين الذين يتهجّم عليهم ، ولاسيّما سقراط وأفلاطون وأرسطو ، وعن رجاحة رأيهم وعن اسلوبهم العلمي النزيه السامي .

١٠) ــ الخاتمة

هذا نموذج من تنكّر الأدباء اليونان في تلك الحقبة للاسطورة اليونانية وسخف معتقداتها وهزء شعرائها الاوّلين ، وما طال بها الزمان بعد ذلك حتى أضحت أثراً بعد عين من جهة الايمان بآلهتها والتمسّك بشعائرها وفرائضها . وما عتّمت أن تضاءلت ودرست وعفت أمام المسيحيّة الصاعدة ، الى ان غدت مهبطاً لوحي الشعراء والأدباء في عصر النهضة الغربية وفي الأجيال الحديثة. ولما كانت تعبيراً رائعاً في شتّى مجاليها عن عواطف الانسانيّة ونزعاتها وميولها لبثت منتجعاً شجيّاً ساحراً ما انقطع الغرب عن ارتياده في كل فورة من فورات فكره وكل حقبة من احقاب أدبه ..

هذا ما أحببنا إثباته عن مصدر الاسطورة عندهم وعن تطوّر معتقداتهم بشأنها . ولا غرو أن قدامى اليونان ، في طور بداوتهم وجاهليتهم ، عاشوا في جوّ رائق خلاّب ، وفي ربوع فاتنة طليقة بهيّة ؛ تشبه أبهى ما في بلادنا من فتنة وروعة وجمال . ولذا نرى فنّهم من أروع وأبدع الفنون ، في كل عصر ومصر ، وأدبهم من أرقى واسمى الآداب .

وقد قال ارسطو : « ان العامل يعمل على شبهه ومثاله » . وذاك الشعب في تعشّقه الفن والجمال ، أضفى على آلهته من سحر فنّه سحراً شجياً ، ومن سموّ أدبه سموّاً رائعاً بهيّاً . ومع انه البس آلهته ضعفه البشري ، فقد وشّحها ايضاً باسمى العواطف الانسانية وأرقى النزعات البشريّة ، كحبّ النظام والعدالة والميل الفطري الى العفّة والطهارة ، والتعلّق بقداسة الاسرة ، وتقدير العمل واعلاء شأنه وطموح المرء الى الحياة والى الهناء والخلود . « والبشر

يقول الفيلسوف كما يسوّون من باب المماثلة بين صورهم وصور الآلهة ، يسوّون كذلك بين عيشهم وعيش الآلهة [1] . ويضيف فيلسوف آخر « لو كانت الخيل عاقلة لتمثّلت الآلهة بهيئة الخيل » .

والعقل البدائي اذ يختبر الطبيعة يميز من عناصرها شطرين ، شطر المعلوم الخاضع لحواسه وآلاته وأدواته البدائية ، وشطر المجهول وهو الاعظم والاضخم والاوسع . وهذا الشطر لايطاله ولايستطيع تكييفه بوسائله الضعيفة الاولية أو بمداركه العلمية والروحية . وعالم المجهول هذا هو عالم الرهبة وعالم التحسب والحذر والرغبة .

ولذا يحاول المرء ان يضفي عليه من انسانيته ومن ميوله وعواطفه . واذ يستحيل على ذلك المرء ان يعمل في ذلك العالم بقوته ، فيحاول ان يجرده من رهبته ، ويحيله الى عالم انس واستئناس ، والى عالم ثقة يعيش فيه بدعة وهناء او على الاقل براحة وبلا وحشة او عناء . وهذا ما حاوله شعراء اليونان وأدباؤهم الاوائل .

وبعد ان يجرد الانسان ولو بالفكر عالمَ المجهول من وحشته ورهبته يتمثل فيه شيئاً من الوعي والمعرفة والنيّة الصالحة . فلا يكتفي بتجريده من الرهبة ولكن يندفع اليه بعامل الرغبة ، ويأمل أن يكون له مصدرَ خير وإحسان وبركة . فيشخّصُ عناصر الطبيعة ويؤتيها مع الحياة الفهم والادراك والمعرفة ، ويؤلّه الجماد ويسجد له ويعبده . وبدل ان يسمو فوق المادة ليرى بارئها ومنظّمها ومبدعها ، يتيه في عالم المادة بعامل الرهبة التي حاول ان يقصيه عنها . وهكذا يستعبد للخلائق بدل ان يعبد الخالق ويدع الهواجس والأوهام تسيطر عليه ، ويستحق لوم الوحي [2] .

---

(١) كتاب السياسيات لارسطو ١ : ١ : ٧ . - (٢) العهد القديم : سفر الحكمة ١٣ : ١ - ١٠) : ٣ - ١٠ ثم ١٤ : ١٢ - ١٤ . ثم العهد الجديد رسالة القديس بولس الى اهل رومة ١ : ١٨ - ٢٦ .

● «ان جميع الذين لم يعرفوا الله هم حمقى من طبعهم ، ولم يقدروا ان يعلموا الكائن من الخيرات المنظورة . ولم يتأملوا المصنوعات حتى يعرفوا صانعها .

● لكنهم حسبوا النار اوالريح او الهواء اللطيف أو مدار النجوم أو لجة المياه أو نيّري السماء آلهة تسود العالم .

● فان كانوا انما اعتقدوا هذه آلهة لانهم خُلبوا بجمالها، فليتعرفوا كم ربّها أحسن منها اذ الذي خلقها هو مبدأ كل جمال.

● أو لأنهم دهشوا من قوتها وفعلها ، فليتفهموا بها كم منشئها اقوى منها .

● فانه بعظم جمال المبروءات يُبصَرُ فاطرها على طريق المقايسة .

● غير ان لهؤلاء وجها من العذر لعلهم ضلوا في طلبهم لله ورغبتهم في وجدانه .

● اذ هم يبحثون عنه متردّدين بين مصنوعاته ، فيغرهم منظرها لأن المنظورات ذات جمال .

● مع ذلك ليس لهم من مغفرة .

● لانهم ان كانوا قد بلغوا من العلم ان استطاعوا ادراك كنه الدهر ، فكيف لم يكونوا أسرع ادراكاً لرب الدهر . . . واختراع الاصنام هو من اصل الفسق ووجدانها فساد الحياة .

- وهي لم تكن في البدء وليست تدوم الى الابد .

- لأنها انما دخلت العالم بحب الناس للمجد الفارغ . ولذلك عُزِم على إلغائها عن قريب ... اذ غضب الله يعتلن من السماء على كل كفر وظلم للناس الذين يعوقون الحق بالظلم .

- لأن ما قد يعرف عن الله واضح لهم ، اذ ان الله قد اوضحه لهم .

- فان صفاته غير المنظورة ، ولا سيما قدرته الازلية وألوهته ، تبصر منذ خلق العالم ، مدركة بمبروءاته . فهم اذن بلا عذر .

- اذ انهم مع معرفتهم لله لم يمجّدوه كإله ولم يشكروه . بل سفهوا في افكارهم . وأظلمت قلوبهم الغبيّة .

- زعموا انهم حكماء فصاروا حمقى .

- واستبدلوا مجد الله الذي لا يدركه البلى ، بشبه صورة انسان يبلى ، ودبابات وزحافات .

- فلذلك أسلمهم الله في شهوات قلوبهم الى النجاسة لفضيحة أجسادهم في ذواتهم .

- لأنهم استبدلوا حقيقة الله بالباطل ، واتقوا المخلوق وعبدوه دون الخالق الذي هو مبارك الى الدهور » .

ولقد ظهر لنا بجلاء أن بين مفكري ذلك الشعب ، وبين فلاسفته من عرف وحدانيّة الله ، ونزّهه عن خلائقه وعن كل مادّة . وجعله روحاً محضة ، وقدرة شاملة وعناية فائقة ، بعيدة عن غير الزمن وصروف الدهور ، قريبةً الى الانسان ورؤوفةً بـه ، قوة ثابتةً غير متحوّلة ، أزليّة سرمديّة ، كاملةً الصفات كاملة السعادة. ومن هؤلاء أنكسَغورَس وأنكسيمينيس وأفلاطون وأرسطو . وقد رأينا أن هذا العبقري الفريد يعتقد أن الله سعيد في ذاته لا في سواه . وان قدرته تشمل الكون وان عمـله داخلي وان الذات الالهية تحق خدمتها قبل أي خدمة وقبل أي مهمة في الدول (٣) .

وقد توخّينا في بسط سير الآلهة، اسلوباً روائياً سهلاً ، لأن تلك السير من نسج مخيّلة الادباء والشعراء. فحاولنا ان نتعقّب خطاهم وحرصنا ان نكون امينين في عرض ما روَوْا وما اعتقدوا حفاظاً على تراثهم ومن باب الأمانة التاريخية . ونأمل بعملنا هـذا أن نخدم وطننا وأمّتنا ، والله الموفّق الى كل هُدىً وخير .

المؤلّف
الأب فؤاد برباره

---

(٣) راجـع كتاب السياسيات ٧ : ١ : ٥ – ٧ : ٣ : ٦ ح ١ . – ٧ : ٤ : ٦ – حريصا طبعة ١٩٥٧ .

الباب الأول

مبادئ الكون

الباب الأول

الفصل الأول : ظهور العالم ومولد الآلهة الأولين

الفصل الثاني : سلالة ارنوس أو أبناء السماء

الفصل الثالث : سلالة اخرونس أو أبناء الزمان

١ – عهد التيطان

٢ – مولد زفس وحداثته

٣ – صراع الآلهة في سبيل الملك

§ ١ – تطاحن التيطان والعماليق

§ ٢ – حرب العماليق أبناء الأرض

§ ٣ – زفس والاعصار تيفن

الفصل الرابـع : مهد البشرية

الفصل الأول

ظهور العالم ومولد الآلهة الاولين

١ - «كان الخواء قبل كل شيء ، ثم بدت غيئا الارض الرحيبة الصدر المترامية الأطراف ... وأخيراً ظهر إرُسْ الحب الذي يُذبل النفس. ويسيطر في قلوب الآلهة والبشر طرّا على العقل والارادة النبيهة .

وولد الخواء إيرفُس ، مربضَ الديجور المدلهم[1] ، وولد دجنة الليل الحالك .

٢ – ودجنة الليل الظلماء انجبت الاثير والنهار من اتحادها بايرفُس .

ثم ولدت دونما زواج مُورُسَ القدرَ المحتوم ، وكيرْ البلاءَ المشؤوم وثانتُسْ الموتَ الزعاف[1] . وحملت من جديد وخلفت النعاسَ وموكبَ الاحلام والهزءَ القبيح والأنين والعويل والخطب الجليل . وولدت أيضاً الهسبيريذه ، أي المغربيات اللواتي يسهرن على تفاح الذهب في ما وراء المحيط ، وعلى الأشجار الظليلة الوارفة التي تحملها .

وعادت فولدت المصائرَ الثلاث[2] اكْلُوثُو ولاخيسيسْ وآترُبُسْ ،

---

١ – (١) الايرفس عندهم مكان تحت الارض يكتنفه الديجور ويقع فوق الجحيم . –

٢ – (١) البدل العربي يؤدي معنى الاوضاع الاعجمية عادة . – (٢) وهي التي تسمى اجيره Les parques لانها لا تعفو عن احد .

اللائي يَقْسِمن لكلِ إنسان منذ مولده ، الهناءَ والشقاء ، السراء والضراء .

وولدت أيضا إيكيئرِس إلهاتِ الموت والبلى ، تلك الإلهاتِ القاسيات اللائي يلاحقن أخطاء الآلهة والبشر بلا هوادة ، ولا يكففن عنهم حتى ينالوا عقابهم الشديد .

وولدت أخيراً أي نيمِيسِيس قسمةَ الحقِ والإنصاف ، ووباءَ البشر القتال[٣]. وبعدها الغَبَن والرفثَ والهرمَ والنزاع الصاخب .

والنزاع البغيض ولد بدوره العناءَ الأليم ، والنسيان والجوع ، والآلام مسيلة الدموع ، والحروب والمعارك والمذابح والملاحم ، والخصومات والنفاق والمشاجرات والبلابل ولزيماتها الكوارث ، والقَسَمَ أكبر ارزاء البشر ان حنث أحدهم بيمينه .

٣ - أما الأرض فقد وضعت ابنا لاينقصها عظمة وجلالا ، وهو أورَنُوس جلَدَ السماء الزاهرة ، ليكتنفها كلها ، ويلبث للآلهة المغبوطين مقرا وطيدا راسخا .

ثم ولدت الجبال الشامخة ، مراتع الإلهات عرائس[١] الوديان والينابيع والغدران . وانجبت دون ارتياد الحب ، بُنْطُسَ ايضاً ، البحرَ العقيم يزخر بامواجه العاتية .

٤ - والبحر بُنْطُس ، من اقترانه بأمّه الأرضِ غيثا ، ولد نيرِفُسَ الصدّيقَ بكرَ أولاده . ولُقِّب هذا بالشيخ لأنه صادق رفيق ، لاينسى

---

(٣) دعا هسيذس قسمة الحق والانصاف ووباء البشر لأن من قصر عنهما اثم ومن تجاوزهما اثم وجلب النقمة على نفسه ولزومهما في كل حال هو غاية الكمال .

٣ - (١) عربنا بكلمة عرائس كلمة (نمفه) المشتركة التي تطلق عندهم على الالهات الوديان والغدران .

الانصاف والرحمة ويتمسك بسنة العدل وهـــو دائم الحركة دائم التقلّب ، كانسياب الأمواج .

وعاد البحر فانجب ثَفْمَاسَ العجبَ العجائب وفُرْكِيسَ الشجاع وكيتُو الوسيمة وإفْرِفِيّا الشهمة الباسلة .

٥ - وخطب نيرفس ودُدْرِيسَ ابنةِ المحيط أكيَنُوسْ ،فأنجبت له خمسين فتاة دُعِين نيرِيْيذِة وهنّ إلهات البحار : أشهرهن أمْفِتْرِيتي. وثِيتِيسْ وغَلِيْنِي واغْلافكي .

واقترن العَجَبُ ثَفْماسُ بالِكْتْرا إحدى بنات المحيط السحيق الغور، فولدت له إرِيْس الزاهية بالوان فاتنة ، الوان قوس قزح : كما ولدت له إيْهَارْبِيه الإلهاتِ الخاطفات ، ذوات الشعر الجميل السابحات في الفضاء ، يجارين النسيم ويتعقبن النسور .

٦ - ووضعت كِيتُو لِفُرْكيس العجائزَ ذوات الوجه الصبوح ، اللواتي وُلدن والشيب يكلّل شعر رؤوسهن ، وانجبت له ايضا الغُرْغُونِسْ اسثِينو وإفْرِيالي ومِيذَوسَا،الساكنات وراء المحيط في بلاد الهِسْبِرِيْذِه(١).

٦-(١) ر هسيذس : مولد الالهة ١١٦ – ٢٨٥ . وقد اتينا على ذكر اولئك جميعاً من آلهـــة والهات لكي نعرف اصلهم عندما يعود ذكرهم في سياق الحديث عن الاسطورة الالهية عندهم .

الفصل الثاني

سلالة أُرَنُوس أو أبناء السماء

١ ـ اقترنت الارض غيئا بابنها أُرَنُوس ، فأعقبا نسل التيطان ، وهم اثنـا عشر ، من الذكور ستة هم أكيَنُوس [1] وكيُس واكريُس وهيبريُنْ [2] ويَبيتُوس واخرُونُس [3] ، ومن الاناث ستٌ هنّ ثيئا الإلهيّة وريئا وامنيمُسينِي الذاكرة وفيفي المتألّقة وتثيس وثيميس إلهة الحقّ والعدل .

٢ ـ وأنجبا بعد التيطان أمّة العمالقة الكيكلبس : افرُنتيس الهدّار كالرعد واستيرُبيس الساطع كالبرق ، وأرغيس [1] المنقضّ كالصاعقة . وهؤلاء يشبهون الآلهة الآخرين في كلّ شيء ما خلا عينهم المفردة في وسط جبينهم .

---

١ ـ (١) هو النهر المحيط . ـ (٢) هو ابو الشمس او الشمس بالذات . ـ (٣) هو الوقت او الزمن . وهؤلاء الثلاثة هم البارزون في الاسطورة . بينما الاناث الست لهن مركز هين في المرموق كما سنرى .

٢ ـ (١) اولئك العمالقة الثلاثة كما تشير اليه اسماؤهم اليونانية يمثلون من قوى الطبيعة الرعد والبرق والصاعقة .

٣ - واخيراً وُلد للأرض وابنها أورَنُوس أولادٌ هائلون ، لا يعرف الكون لهم من مثيل: كُوتُّس المحتال وافريارُنُس الجبّار وغيئيس الفلّاح . وقد أطلق عليهم اسم هيكتونخيري العمالقة اصحاب « المئة يد » ، اذ قد انطلقت من اكتافهم العريضة مئة ساعد أو ذراع شديدة ، واشرأبت فوق أعناق كل منهم خمسون رأساً مخيفة ، ومظهرهم الضخم كان ينمّ عن قدرة لاتقهر . وكانوا أقوى وأشرس ابناء أورَنُوس .

ولذا ابغضهم أبوهم منذ مولدهم ، وحشرهم في أحشاء الأرض امّهم قبل أن يصعدوا الى النور . وارتاح لصنيعه هذا . واما غيئيا قرينته فقد اشمأزّت من فعلته النكراء ، وتململت من الضيق المحيق بها ، وغضبت ثم ثار ثائرها، فأضمرت الشر لبعلها أورَنُوس ، ومضت تحيك له مؤامرة شنيعة ، تنتقم بها منه وتأمن شره الى مدى الاحقاب .

٥ - فاستمدّت من جوفهـــا الحديد الصلب ، وصنعت لنفسها منجلا كبرى ، وعرضت قصدها على بنيها . ولـكي تنهض عزائمهم خاطبتهم بعنف وقلبها جائش بالغضب : « هيّا بني الاحباء ، يا من ولدتهم لأب معتوه ، ان شئتم ان تذعنوا لقولي ، فلسوف نثأر لذواتنا مما الحق بنا من مذلة . وهو مع انه ابوكم فقد بادأكم بعمل لا يليق » .

٦ - قالت . فذعروا جميعهم ، ولم ينبث أحد ببنة شفة . غير أن أخرُونُس ذا الجلال وصاحب الدهاء والاحتيال تشجع وأجاب أمّه غيئيا الكريمة : « يا أماه أنا أتولى هذا الأمر الخطير ، وآخذ إنجازه على عاتقي ، غير آبهٍ لوالد بغيض ، لأنه على كونه ابانا ، فقد بادأنا بعمل لا يليق » .

٧ – قال . وغمر الفرحُ قلب الأرض الضخمة الفسيحة الصدر ،فخبأت ابنها في مكمن، ودفعت المنجل المسنّنة الى يديه ، وأطلعته على تفاصيل الدسيسة. وعندئذ أقبل أورَنُوس يجرّ أذيال الليل . فعانق الارض بشغفٍ ، وتمددّ فوقها من كل جانب . فنهض أخرونس من كمينه ومدّ يده الطويلة ، وتناول المنجل المحددة الاسنان بيُمْناه ، وبتَر أباهَ أورَنُوس ورمى بعضوه الى الوراء فسال الدم نجيعاً ، وتلطّخت الارض بقطراته ، فدار الزمان دورته ،وحملت الارضُ وولدت من تلك الدماء القانئة الإلهات الثائرات، إلهات السخط والانتقام(١) والعمالقةَ الاشداء حملةَ الرماح الفتّاكة(٢) ، وعرائسَ الوديان والجِنان فوق البطاح الشاسعة .

٨ – ولما بتر أخرونس أباه ، ورمى بعضوه الى البحر ، طفا على سطح المياه ، وراح الموج يتقاذفه ، وارغى حوله وازبد ، فانبرت من ذلك الزبد الابيض ، إلهةٌ فتيّة فاتنة ،تتألق بهاءً ورونقاً هي الإلهة أفْرُذِيتي (١). ورافقها الحبُّ والوجد منذ مولدها،فانطلقت الى جزيرة كِثيرا يُداعبها زَبَدُ الامواج، ومنها الى جزيرة قبرص. وانضمّت الى رهط الآلهة ، ينعمون بصحبتها المؤنسة، وتعطف عندهم على هَذَر الكواعب ، وترتاح لبسمة الشباب ، ونشوة الحب وآنات الحنين وآهات الفراق والوصال .

---

٧ – (١) المعروفات عندهم بلقب إرِنيس ، ويشرن الى وخز الضمير الطالب الكفارة او الانتقام . – (٢) وهم غير السابقين أبناء الأرض والسماء .

٨ –(١) واسمها يعني المحفوفة بالزبد ، وهي الزهرة إلهة الجمال والنقاء سابقاً .

الفصل الثالث

سلالة اخْرُوْنُسْ أو ابناء الزمان

١ ــ عهد التيطان

١ ــ ولمّا جُدِع ارنوس وناله العجز من ذلك ، تسلّط مكانه ابنه اخْرُوْنُس ، واطلق التيطانَ اخوتَه الى النور ولم يحرّر اخوته الآخرين ، العمالقة ذوي العين الواحدة ، ولا اصحابَ الخمسينَ رأساً والمئة يدٍ ، الكيْكلُبيسْ والهيكتُوْنخيري .

٢ ــ واقترن التيطان بأخواتهم ، فانجبوا منهن بنين وبنات . واتّخذ أكيْنْتوْس امرأةً أختَه تيثيْس . فولدت له ثلاثة آلاف ابنٍ هم الانهار الزاهية الضفاف الظليلة الأرياف ، وثلاثةَ آلاف بنتٍ هنّ عرائس الغدران والينابيع (١) . ولم يكتف المحيط النهر الكامل بكل اولئك المواليد ، بل انجب ايضاً ميتيسْ المزدانةَ بالفهم والحكمة والدهاء ، وتيبْخي الحظ المعروف بالعماء واستيكْسَ نهرَ الجحيم وديار العفاء ، الذي يخاف به الآلهة

٢ ــ (١) لعرائس الوديان والجنان هن بنات الارض وارانوس المجدوع ، وعرائس الغدران والينابيع هن بنات المحيط واخته تثيس . ومن جملتهن آسيا الرزينة وافروبا البهية وكابسو الفاتنة .

ويُقسمون أيمانهم المغلّظة . واقترنت اسْتيكْس نهرُ الجحيم ، بِبَلاسَ بن عمّها اكْريُس .

٣ ـ ووُلِد لهيبيريُن من أخته الإلهيّة افرفيّا هيلْيُس الاله الشَمْسُ ، وسيليْني القمرُ ، وإئُس السحرُ . وخلّف كيُس وفيْفي لِتُو وأسْتيرْيا . وانجب اكْريُس من اخته افرفيّا أسْتريْئُس وبَلاس وبرْسيْس . ووُلد لِيَبْتُوس من اكْليمينْي ابنةِ المحيط ـ ومنهم من يقول ـ من أسيّا أطْلاسُ ومِنيتْيُس وإبيمِيثْيُس وابرُميثيْفس .

٤ ـ أمّا اخرُونُس فقد اتخذ حليلةً له اخته رِيئّا فأنجبت له ثلاث بنات هن هِستْيا وذيميتْر وهيرًا ، وثلاثة ابناء اعزّاء هم اذِس وبُسيذُون وزِفْس .

وتنازل له اخوانه التيطان عن السيادة ، على ان لا يعقب نسلًا . وقد تدخّلت أمّهم غيئّا في النزاع ، وفضّته على ذلك الوجه . وكان اخرُونُس قد سمع أيضاً ان احد ابنائه ، إن أقام هو ذريّة لنفسه ، سيستولي على العالم ويخلعه عن العرش ، فعكس فعل أبيه أرَنُوس ، واخذ يبتلع كلّ اولاده ، ويُواريهم في أحشائه .

٢ ـ مولد زِفْس وحداثته

١ ـ فشقّ الامر جداً على قرينته رِيئّا . وتمنّت لو بقيت عقيمةً ، ولا أن تفقد أبناءها بعد مولدهم ، على تلك الصورة المفجعة . وصعب عليها

خصوصاً ان تُحرَم من ثمار احشائها ، وان يكون والدهم هو الذي يجني عليهم بضراوة مابعدها ضراوة . وقد ازدرد هكذا هِستيا وذِميتِرْ وهيرا وآذِسْ وبُسيذُون .

٢ — فعمدت الى أبيها أرنوس ووالدتها الرؤوم غِيئا وهي حامل بابنها زِفس ، والتمست منها العون لتحمي جنينها عند ولادته . فنصحا لها ان تقصد جزيرة كريت وتلد ابنها في مغارة عميقة ، تحت جبل اغيئس وفي ظلال غاباته الكثيفة . فصارت الى هناك ووضعت ابنها المحبوب زِفس ، فتقبّلته جدّته غيئا وعهدت بتربيته الى اثنتين من عرائس الوديان : أذْرَستي وإيذا .

٣ — اما رِيئا فقد اخذت صخرةً ضخمة ، ولفّتها بلفائف وقمط ، ولكي تخفي على بعلها امر فلذة كبدها ، قدمتها له باكيةً ، على انها المولود الجديد ، كي يزدرده على عادته . فتناول اخرونس الصخرة الصلدة ، وابتلعها في شره ونهم ، ولم يخامره ريب في ما دُبر له .

٤ — ومضت أذْرَستي وإيذا بزفس الإله الرضيع ، الى جبلٍ من جبال كَريت ، وأوعزتا الى كهنة غِيئا (١) بالرقص امام الاله الصغير ، وإثارة الجلبة والضوضاء حوله ، كي يحجبوا صوت بكائه عن ابيه . وكانت العنزة أمَلْثيئا (٢) تقدم للطفل حليبها ويأتيه نسر بالعنبر عطر الآلهة وأكْليهم ، وسربٌ من الحمام بالنكْتار ، مشروبِ الآلهة في مآدبهم .

٤ — (١) كانوا يعرفون عندهم باسم كريتس وكريفنتس وذاكتلي . — (٢) وقد كافأها زفس عندما استولى على الكون ، وجعلها برجاً من ابراج السماء مع جدييها الصغيرين . واعطى احد قرنيها لحاضنتيه اذرستي وإيذا ، فغدا لهما قرن إخصاب يفيض لهما كل خير تشتهيه نفساهما .

٥ - فنشأ زِفس ُوترعرع ، ونجا من شراسة ابيه ومن غـير الزمان وصروفه . ولما كبر وتشدّد ، أراد ان يعيد اخوته الى النور ويأخـذ الملك من ابيه ، ويجزيـــه جزاء أعماله ، ويعاقبه بشنيع فعاله . فاستوحى ابنة عمّه المحيط ميتيس ذات الفهم والدهاء ، فقدّمت لاخرونس مقيّئاً ، فقاء الصخرة التي ازدردها ، ولفظ الآلهـة ابناءه وأعادهم الى الضياء والنور . فشدوا أزر اخيهم زِفس ، فدحر بقوّته الهائلة أباه الزمان الطاغية ، وطرده من أعـــالي السماء ، وأغلق عليه في أساسات الكون ، في المتاهات المنبسطـة عند اطراف اقاصي الأرض وقعر البحار القاحـــلة . ولما استتب له الأمر ، عاد ونفى أباه الزمان الى ابعد بقاع الكون ، حيث ينعم بغبطة السعداء يغمره هنالك سبات هنيء . وهكذا تمّت بحقه نبوءة القدر المشؤوم .

٦ – وعندئذ أعتق اعمامـــه السماويين ، العمالقة الأقوياء والجبابرة الاشداء ، فأهدوه اعترافاً بفضله هدية سنيّة فائقة ، الصاعقة المحرقـة والرعود المزمزمة والبروق اللامعة . فسيطر بها على الكون .

٣ — صراع الآلهة في سبيل الملك

§ ١ - تطاحن التيطان والعماليق

١ - عزّ على التيطان ان يروا ابناء اخيهم اخرُونُس يملكون مكان ابيهم ويستأثرون بالعرش لنفوسهم . مع ان المعاهدة بينهم وبين اخيهم اخرُونُس قضت بأن لا يُعقب نسلاً ، وبأن لا يرث الملك من بعده وارث . وها هو ذا قد

انجب ذرية ، وقد زُحزح عن عرشه واستولى أبناؤه على الكون . فثار ثائرهم وتنادوا للعراك ، ما خلا أُكيَنُوس .

٢ – وتحصّنوا على جبل أثْرِيْس ، ومنه شنّوا على أولِمْبُس مقرّ الآلهة الجدد ، حملات وغارات شعواء . فلم ينالوا مأرباً ولا بلغوا الهدف ، وبقي المرمى عزيزاً . مع ان حربهم الضروس دامت زُهاء عشر سنوات ، ولم تُسفِر عن نتيجة حاسمة .

٣ - عندئذٍ تدخّلت الجدة الكبرى ، وانحازت الارض الى احفادها . واشارت على ابناء ريثا كريمتها المحبوبة المفضلة ، بأن يطلقوا سراح العمالقة : الرعد والبرق والصاعقة ، واخوتهم الثلاثة الآخرين الذين اخافوا اباهم ارنوس فحشرهم في دياجير تارتوس ، مكبلـين بسلاسل الاسر ، يئنون ويهدرون . وبيّنت غيثا لاحفادها ان اولئك الصناديد اذا صاروا الى النور ، وقاوأوا اخوانهم التيطان ، غدا النصر مؤكداً وفاز الآلهة الألمبيّون بأعدائهم الأشــداء .

٤ – فانحدر زِفْسُ الى تارتَرُسْ ، الى قرارات الجحيم ، وساوم أعمامه العماليق ذوي العين الواحدة ، الجبابرةَ الاقوياء ، وأعمامَه الآخرين الاشداء اصحاب الرؤوس الخمسين القائمين على مئة قدم والمتسلحين بمئة يد ، ذوي البأس والجبروت . فوجه اليهم هذا الكلام : « اسمعوا لقولي ياأعمام ، ايها الآلهة النبلاء ، أبناء الأرض والسماء ، اسمعوا ماجاش بصدري : منذ عهد بعيد طويل ، نحن في صراع رهيب مع التيطان أبناء أرَنوس . وقد هبّوا بجموعهم علينا ينازعوننا السؤدد والسلطان . ففي هذا الاشتباك العنيف ، أبدوا الآن بأسكم الفريد ،

وبطش سواعدكم القاهرة . إذكروا عهـــد المودة التي حبيناكم بها ، وكيف أطلقناكم الى النور بعد ضنك أسر مرير ، وبعد عذاب شديد عسير ».

٥ - قال ، فهرعوا جميعاً الى الوغى بنفوس عاتية وهمم عالية. والتحم الفريقان في صدام هائل ، ابناء اخرنوس وابناء ارنوس . وتطايرت الصخور في الجو تصدع الرؤوس والصدور ، وعج البحر عجيجاً وضجت السماء ضجيجاً ، واشتد النزال واحتدم القتال . وعلا الصراخ الى أوج السماء . وزلزلت الأرض الى رؤوس الجبال وانبرى زفس من أعالي أولمبس ، يرسل بروقه بلا انقطاع ، ويدوي برعده يصم الاسماع ، ويرشق بالصواعق قلوب الأعـــداء . فاندلعت النيران في الغابات وامتد لهيبها الى الهضاب وانساب منها الى الوديان . فقهر التيطان وهزموا ، وأغلق عليهم في أعماق الارض ، في دياجير التارترس الرهيب. وقام العمالقة الاقوياء في قصورهم المتاخمة لتلك الأرجاء ، على حراسة المهزومين من ابناء أرنوس الاشقياء . وفاز زفس بنصر مبين .

§ ٢ — حروب العماليق ابناء الأرض

بعد انتصار ابناء أخرونس على أعمامهم التيطان ، صفا الجو لعميدهم ابي الآلهة والبشر زفس ، فترة من الزمن طويلة انقادت له فيها مقاليد الامور . فساس شؤون الكون بدراية ، وثمل برحيق الحياة في ديار الغبطة والهناء ، وولد له بنون وبنات ، بعضهم من إلهات ، نظير اثنا وابولن ، وهكاتي وهفستوس وآرس ، وبعضهم من نساء فانيات ، نظير ذيونسس وهركليس (١).

---

١ ـ (١) سنأتي في الباب الثاني والثالث على ذكر هؤلاء جيعا وعلى تفصيل سير حياتهم واعمالهم عند كلامنا على الهة السماء والارض .

٢ ـ ونشأ من دمآء أرنوس القانئة ، بعد ان جدعه ولده أخرونس ، سلالة جبابرة أشداء ، وعمالقة عنيفين اقوياء ، ذوي سحن مخيفة شنعاء، وجذوع أشبه بجذوع التنانين والثعابين الرقطاء . وأولئك العمالقة حملة الرماح والتروس والمذاريق والقؤوس ، برزوا من الارض بذلك الشكل المهيب والمنظر المخيف الرهيب ، وأمعنوا في خيلائهم وفي شرهم وخبثهم ودهائهم . وقـد تقدم فيهم برفرين والكينفس .

٣ وقف هؤلاء جميعاً من الصراع الاول ومن تطاحن التيطان موقف الحياد ، وقد صور لهم وهمهم وزينت لهم كبرياؤهم أنهم قد يفوزون باكاليل تلك المعارك الحامية ، ويتذوقون ثمارها الدانية ، اذا تضعضع الفريقان وبطش الواحد بالآخر . ولكنهم لمــا رأوا سيطرة زفس الكاملة ، وأنه قد توازع السيادة على الكون هو واخوته وبنوه ، قرّوا مدة طويلة كي يعملوا في المناوأة فكرهم ويستجلوا فيها حذقهم ومكرهم. ولما انعموا النظر دفعهم البطر والاشر الى مقارعة ابي الآلهة والبشر .

٤ ـ فشمروا عن سواعدهم المفتولة وهاجموا أعالي الأولمبس مقر الآلهة ابناء أخرونس . وكي ينالوا منه مرمى ، كدسوا الجبال فوق الجبال ، اطواداً أوسا على بليون . وزعزعوا قمم الرواسخ ورؤوس الراسيات الشوامخ. وراحوا يقذفون قصور الآلهة الثابتة ، بهضاب بنغي وتلال إيتا . فانبرى لهم الخالدون الابطال ، وتنادوا جميعهم للطعن والقتال ، اخوان زفس وما أنجب من أنجال ، ماعدا شقيقته ذميتر ، إلهة الزرع وربة الغلال ، وقد أبت خوض غمار الحرب والنضال .

٥ فتصدى أبلن لافيالتس ، ووقع بيارس وميماس تحت ضربات آرس الشديد البأس . وأوقعت هكاتي وهفستوس بالعملاق الجريء أكليتيس . وتعقب الاله بسذون الجبار القوي بلفتيس ، ورماه بجزيرة نسروس وأغرقه في قاع بحر بنطس .

٦ – وبعد هذا البراز المنيف ، لصدّ الجبابرة الغضاريف ، لم يحظ الآلهة الخالدون بظفرٍ إليه يخلدون وبهناوته يسعدون . وذلك أن القدر قد أنبأ بان أولئك العمالقة الأشداء لا يقهرهم قاهر سوى البشر . فاستنجد زِفْسَ بابنه هيرَ كْليس ، كما استنفر ابنه ذِيُونِسُسْ .

٧ – فنازل هذا الأخير العملاق الجبّار رِيْتُس ، وانبرى هيرَ كْليسُ للوحش أَلْكِيُنِفْس . لكنّ البطل القدير الجبار ، كلّما صوّب للوحش ضربة تلقاها خصمه بدون اكتراث . وعندئذ أعلمته أثينا أن الوحش لا يُعمل فيه الطعن والقذف ما لبث في أرض موطنه . فأجهز عليه هيرَ كْليس ، وأخذه بين ذراعيه وحمله خارج حدود أرضه وقضى عليه بالخنق .

٨ وهبّ بُرْفيرِيُن لثأر أخيه ، فاغراه زِفس بهوى هيرا . ولمّا انقضّ على الإلهة رماه هيرَ كْليسُ بسهم قتّـــال . وحاول عبثا بَلاّس وإنْكيلاَذِس ان ينالا من منعة أثينا . لكنّ الالهة القادرة صرعت هذا وذاك بنار السماء . واتخذت الالهة من جلد بلاس دِرعاً حريزة واقية ، ودحرت الجبار إنكيلاَذِس وكبّلته تحت جزيرة صِقِلِيّة . ولذا الى يومنا هـذا ، تميد تلك الجزيرة كالسكرى كلما تلوّى تحتها الجبّار . وعقب تلك الواقعة لُقّبت أثينـا باسم خصمها بَلاّس .

§ ٣ – زِفْسُ والاعصارُ تِيفُنْ

ظفر الآلهة ظفراً أكيدا واحرزوا انتصاراً سعيداً مجيداً . وظنّوا انهم سينعمون على الدوام بطيب الهناء وغبطة الصفاء ، لا يعكّر عيشهم كدر ولا يوجل قلوبهم حذر، اذ قد أمنوا شرّ من غدر ، وارتاحوا من غائلات القدر.

٢ – غير أن جدّتهم غيئيا ، وما برحت تحنو عليهم وتحميهم في النائبات الجسام ، تولاها الاسى هذه المرة لا لاندحار ابنائها البررة ، بل لما نالهم من شديد العقاب. ولما عصف بها اليأس أثارت على معشر الآلهة الاعصار الرهيب تِيفُنْ .

٣ – وقد وُلد تِيفُن لعتيقة الايام من اقترانها بالهاوية تَارْتَرُس . وبدا ذلك المولُ المعروف بالحول والطول وحشاً ضارياً رهيبا ، وكائنا عجيبا غريبا ، ذا جثةٍ مذهلة هائلة وقامةٍ شامخة طائلة . يفوق مداها قمّة الجبال . ويرى الناظر فوق كاهليه مئة رأس تنينٍ هجين ، تندلع من اشداقها السنة سوداء ، دونها أسنّة الرماح ، وقد غشّى الريش بدنه وتشابكت الثعابين حول فخذيه وتطاير الشرر من عينيه .

٤ – فلما انقض ذلك الهول على مقرّ الآلهة ، هالهم رأسه الكبير المكسو بوبر مجعّد ، وخلع قلوبهم منظره المخيف ، فلاذوا جميعهم بالفرار وقطعوا البراري والبحار حتى بلغوا بلاد مصر .

٥ – ولكنّ زِفْسَ أبا الآلة خشي العار والشنار وابى مذلة الفرار ، ولبث في حصن الأولِمْبُس . فهاجمه الاعصار العنيف وبهره بالشرر المتطاير من

عينيه ، فلم يستطع زِفْسُ ان يتناول الصواعق ليرشق بها خصمه الصنديد ،. فانسابت من جسم الوحش التنانين والثعابين ، وطوقّت ربّ الآلهة الرعاديد، فأسره الاعصار العنيد وكبّله بالسلاسل والقيود ، وقطع اعصاب ساعديه ورجليه ، وسباه الى غوره السحيق في متاهات كيليكيا .

٦ - غير ان ابن زِفْسَ هِرْميس ، رسولَ الآلهة وعدّاءهم السريع ، خطف من قصر ابيه الصواعق والبروق الساطعة ، وجاء بهـا أباه زِفْس . وفي سكرة من سكرات تيفُن وغفوةٍ من غفواته العميقة ، شدّ أعصاب ابيه وناوله صواعقه الساحقة . فصوّب اعنفها الى الاعصار وقضى على ذلك الوحش الجبار وعلى ذلك المقاتل المغوار. واحرز الى مدى الادهار اكليل الغلبة والانتصار . وغدا الوحيد الغالب القهّار ، لايقاوم سلطانه مناوىء .. ولايجلب أحد عليه المساوىء .

الفصل الرابع

مهد البشرية

§ ١ – أصل البشر

١ – ولدت أكلميني ابنة المحيط ، للتيطان يبتوس أربعة أولاد . ولما اشتركوا مع أبيهم في شق عصا الطاعة على الألمبيّين ، عاقبهم زفسُ في عصيانهم . فرمى بمنيتيس في هاوية الإيرفس . وقضى على أطلاس ان يدعم بكتفيـــه قبة السماء ، عند جنان المغرب في أقاصي الأرض .

اما أبرمثفس المتبصر في الامور ، وابمثفس الغير المتيقظ لها ، فلم يخوضا المعركة بصورة سافرة . لابل مال الاول الى زفس ابي الآلهة ، لما رأى كفته راجحة . وقبل هكذا في مقر الخالدين وديار السعداء المغبوطين .

٢ – ولكن الضغينة كانت توغر صدره على الألمبيين ، لأنهم قضوا على أبناء جنسه . ولذا إنحاز الى البشر ومالأهم وأحسن اليهم . ولعل ميله هذا أعمق مما يظن ، اذ إدعت بعض التقاليد القديمة انه هو خـــالق البشر ومكون جسم الجدين الأولين . فقد إتخذ من الارض تراباً وجبل منه بدموعه طيناً وأعطاه شكل انسان ، ونفخ فيه روحـاً ، فدبت في خلاياه الحياة وجرت في أوصاله ومفاصله . وغـدا بشراً سوياً . وعاد ابرمثفس المدرك القدير وصنع له امرأة بازائه[1] .

---

١ – راجع التوراة ، سفر التكوين ٢ : ٧

ويقال أن أثنا لما رأت الانسان ورأت جمال تكوينه ، عرضت على أبرمثفس جولة في أرجاء السماء ، ليختار مايحلو له هدية للبشر . فصعدا معاً في جنبات الفضاء وبعد تردد طويل وقع اختياره على النار الالهية . فاستمد جذوة من الشمس وحملها الى البشر كهدية بهجةسنية .

٢ § - عصور البشرية الاربعة

١ - العصر الذهبي

١ - بيدَ أنّ التقليد الأصح ، فضلاً عن انه الغالب الاعم ، يرد البشر والآلهة الى أصل واحد ، الى الأرض الجدة الكبرى ووالدة الجميع . ولذا نرى البشر معاصرين للآلهة الاوائل . فهم الذين يعطفون على زفس ، ويحوطون في كريت مولده الخفي ، ويسهرون عليه في نعومة اظفاره . وتغنّى بينْدَرُس الملهم بذاك الاعتقاد حيث انشد :

« نحن والآلهة من ارومة واحدة ، وإنّا مدينون بنسمة الحياة الجائلة منا في الصدور لأم وحيدة هي الأرض » .

٢ - فقد كانوا معاصرين لاُخْرُونُس ، يتمتّعون في عهده ، وهو عهدهم الذهبي ، بكل صنف من الخير وبكل انواع الهناء . وقد وصف لنا هسيُذُس تلك السنين السالفة والعصور الغابرة فقال : « كوّن الخالدون السلالة البشرية الاولى واضفوا عليها طبيعة النضار (١) » . ولا يعني ان اعضاء تلك السلالة وخلايا جسمها ركبت من ذهب . بل ان مزاياها واخلاقها تسامت وصفت وازدهت صفاء الذهب الابريز النقي اذا قيس بغيره من المعادن .

٢ - (١) ر هسيذس ، الاعمال والايام .

٣ — عاش أولئك الناس في زمن اُخْرُونُس بن ارنوس ، طيلة عهد تسلطه على الكون فكانوا يحيون حياة الآلهة ، لا ينخر قلبهم همّ ولا غمّ ، ولا ينالهم عناء او شقاء . لا تهددهم الشيخوخة ولا يخشون كرّ السنين . يسرحون ويمرحون على أرض طيبة ، نشيطين مسرورين لانها تؤتيهم من خيراتها كل ما طاب ولذّ ، وما اشتهت نفوسهم . لا ينتهون من وليمة حتى يصلونها بافخر منها . لا يمسهم أذى ولا ينتابهم داء أو سوء . وبعد عمر مديد هنيء ، ينتقلون الى حياة افضل ، وما موتهم غير سبات عميق .

٤ — وبزوال عهد اخرونس زالت معه تلك السلالة الكريمة الفاضلة السعيدة . واستحالت بعد انقراضها ، وبعد ان غطتها الارض بالزهور ، الى ارواح طيبة هي ارواح الجن الطيبين ، يقيمون في الارض يرعون الصالحين ويغدقون الغنى على الناس ما داموا لربهم طائعين . ذاك هو امتيازهم خصهم به الخالدون .

٢ — العصر الفضيّ

١ — بعد انقراض السلالة الذهبية ، عاد الآلهة وكوّنوا سلالة أخرى . وأضفوا عليها طبيعة الفضة . فبانت عن الاخرى كلّ البون ، وانحطت عنها منازل ومنازل ، في بهاء الصورة وجمال الروح . امة عاجزة بلهاء ، لا تبلغ المراهقة والكهولة حتى تقضي ضحية الغباوة والكفر .

٢ — فالغلام فيها يظل رضيعا فترة من السنين لا تقل عن المئة . وطيلة هذه المدة كلها كان يلزم الاحضان لا يريم ، بسيطاً ساذجاً كالطفل الفطيم . وعندما يبلغ البنون اشدهم ويغدون شبانا يافعين ، يستسلمون للأشر والبطر

ويتسابقون للخصومات وللنزوات والكبرياء . لا يؤدون فروض العبادة ولا يضحون ضحية لإله ولا يكرمون ارباب السماء كما يجب على الأتقياء .

٣ - فحنق زفس ابن اخرونس على اولئك المردة الحمقى اذ اهملوا شعائر الدين والتقى فمحقهم من الأرض محقاً . وبعد ان درسوا وواراهم الثرى ، غدوا هم ايضاً من جماعة الجن ، يحوطهم البشر بشيء من الإكبار ، لانهم ينعمون في جحيم الاخيار .

٣ - العصر النحاسيّ

١ - عقب زوال السلالة الفضية ، كوّن زِفْسُ ابو الآلهة ، سلالة بشرية ثالثة ، وأضفى عليها طبيعة الشبه فعرِفت بسلالة النحاس .

٢ - وقد انشأها من شجر الدردار ، فبرزت أمة عنيفة عاتية ، رجالها كبار أشداء ، تخلقوا بالخشونة والجفاء . ولم يميلوا الى السلام بل الى الحرب اللهام والى صنوف الحرام . وابتنوا بيوتاً من نحاس ، وسننوا سلاحاً من نحاس ، وقست قلوبهم كالنحاس . فانقضوا بعضهم على بعض فلفهم البلى والفناء ، وانحدروا الى دار الشقاء الى الجحيم مقر العفاء ، حيث يُحجب النور والضياء .

٤ - العصر الحديدي

١ - هـذا العصر هو العصر الأخير من عصور البشرية الفانية . فبعد اندثار السلالات الأولى ، عَهِدَ زِفْسُ الى ابْرُ مِيثِفْس ، أن يجبل انساناً آخر ، يُعقِبُ نسلاً على الارض . فكوّنه ابْرُمِيثِفْسُ وأضفى عليه طبيعة الحديد . وآتته أثينا نفساً حيّة . وعمل له الآلهة امرأةً بازائه . فتكاثر البشر

وانتشروا في ارجاء المعمور . وكثر ايضاً شرّهم وفسادهم ، واختلط لهم الهناء بالعناء ، ومازج صفاءَهمُ الشقاء ؟

٢ - لأن قلوب الناس في هذه السلالة ايضاً قد خامرها الخبث والفساد فلم ينهج الابن نهج والده ، وما عزّ الضيف على مضيفه ، ولا كرم الخليل لدى صاحبه ، وما أخلص الودّ أخ لأخيه.

٣ - وحقّروا والديهم ، واساؤوا الى ذويهم ، ولم يحترموا شيوخهم ، ولا صانوا لهم حرمة أو كرامة، ولا بادلوهم الخير بالخير ، بل استخفّوا وأهانوا شيبتهم ، ولم يخشوا في هذا كله سخط الآلهة ونقمتهم .

٤ - ولم يقدّسوا الحقيقة والحق ، وحنثوا بأيمانهم وأقسامهم ، ولم يرعوا جانب العدل ولا مالوا الى البر والاحسان . بل انقادوا للزيف والبطلان وجنحوا الى الخزي والهوان ، والى السعاية والوشاية ، والى الضلال والكذب والبهتان . فتجلبب الانصاف والوجدان بجلبابٍ ابيضَ ناصع النقاء ، وانطلقا يشقّان عنان السماء ، هاجريْن أرضنا الى مقرّ السعداء . فلم يبق للبشر سوى البلاء وكلّ صنفٍ من صنوف الاسواء .

§ ٣ - بندورا جالبة النقم

١ - ساد التفاهم والوئام بين الآلهة والبشر في عهد اخْرُونُس كلّه . اذ ذاك كما يعلمنا هسيّذس ، تناهد الآلهة والانام واولموا الولائم الضخام، وعقدوا المجالس الحافلة وتبادر الطرفان بالاكرام .

٢ — ولكن لمّا تسلّط زِفْسُ أراد السيطرة على الانسان . وعقد الارباب الخالدون وبنو البشر المائتون مؤتمراً خطيراً في مِكوني — وقدغدت الآن سِكيونِي ، ليحدّدوا ما يعود للخالدين من اضاحي المائتين .

٣ — وعهدوا بالقسمة الى ابْرُميثفْس ، فقسّم الضحية قسمين، وجعل اللحم الفاخر والاحشاء والدهن من جهة والاكارع والعظام والشحم من جهة . وإجلالاً لمقام زِفْس دعاه أولاً للاختيار . وكان يعرف حيلة ابْرمثفس ،فأخذ الحصّة الثانية ، واستشاط غضباً وغيظاً .

٤ -- ولكي يقتص من البشر استرد النار الالهية . ولكن الداهية ابرمثفس صار الى جزيرة لِيمْنُس ، وخادع هيْفِيسْتُس الحدّاد ، وأودع قَبَساً من النار في قصبة وجاء بـه جنس الانام . وقيل إنه صعد الى الشمس وأضرم من احدى عجلاتها مشعلَه .

٥ — فعاد زفس وحنق من دهاء ابرمثفس ومن اختلاسه النار الإلهية، واراد الوقيعة بالبشر ، فعهد الى ابنه هيْفِيسْتُس ، وهو الشهير بحذقه ، أن يكوّن جسم إمرأة من التراب والماء الزلال ، فيؤتيها فتنة العذارى ويُسبغ عليها جمالاً ساحراً ، ويهبها الحياة والنشاط ، ويزيّنها بصوت شجيّ . وشاء رب الآلهة والبشر ان يُسهم الارباب بزينة تلك الفتاة الحسناء ، فأغدق الآلهة عليها الهبات ، وبدت ساحرة البهاء ، ودعيت كاملة المواهب .

٦ — الآن هِرْكُلِيسُ المغوار ، بايعاز من أبيه زِفس ، وهب تلك العذراء البهية ، مع الغنج والدلال شيئاً من الاحتيال ، ومن المذروفاتن

الأقوال ، بما يَدْهى بعقول الرجال . وقدّم لها زفسُ نفسه وعاءً من ذهب محكمَ الاغلاق ، وبعث بها الى ابْرُميثِفسَ النبيه .

٧ – فلما قدمت بصحبة هيرَكْليس ، تنبّه ابْرمثفس لخِدعة زِفس ، ومع كل اغراء الفتاة ردّها الى صاحبها القدير . لكنّ هيركليسَ الجبّار مضى بها الى إبيميثِفسَ الغبي . فقبلها هذا بفرح وسرور ولم يتنبّه لايعاز أخيه ، بأن لا يقبل من زفسَ شيئاً ، لئلا يجلب على البشر شرّاً .

٨ – فرح إبيميثِفْسَ لمقدم الحسناء ، واتخذها له حليلة ، فولدت له ابنة دعاها بيرّا . وشاءت امرأته بنذورا أن تعرف محتوى الوعاء النفيس ، المصنوع من ذهب ابريز ، هدية رب السماء زِفس . وكانت قد مُنِعت عن فتح الوعاء عندما أهدي اليها ، فأخذته بين يديها وجاهدت فاستعصى عليها . واخيرا بعد عناء طويل تمكنت من رفع الغطاء .

٩ – وما كاد يرفع الغطاء ، حتى انتشر على وجه البسيطة سحاب كثيف من الأرزاء وضباب كالح من الأسواء . فذعرت بنذورا لذلك المشهد واسرعت فغطت الوعاء فعلق على شفاهُ الرجاء .

٤ § – الطوفان

١ – ومع هذا كله لم يهدأ غضب زِفسْ ، نظراً لازدياد الشرور ، وما لقي من منافسه المتستّر ابْرُمثفس ، الذي كان يحنو على البشر ويشملهم بعطفه . ولذا عزم زفسُ من جديد أن يمحو البشرية ، ويُغرقَها تحت خضم من الميـاه .

٢ – ولكن ابرُمثفس كان يسهر على جبلته ، فنبه ابنه ذِفكليُن الى الشر المستطير . وقد كان يملك على تِسَّليا هو وقرينته بِرّا ، ابنة اخي ابرُمثفس . واوعز اليه ان يصنع فلكا وان يأوي اليه هو وامرأته .

٣ – فعمل ذِفكَليُن باشارة والده النبيه ، وبنى له فلكا ودخله هو وامرأته . فهطلت الامطار وما انفكت عن الانهيار حتى غطت الامصار، واهلكت الصغار والكبار . ولم ينجُ من طوفان المياه الا ذِفكَلين وبِرّا . فقد لبثا عائمين بفلكهما على وجـــه الغمر تسعة ايام وتسع ليال . وفي اليوم العاشر حطّ بهما الفلك فوق جبال بَارْنَسُس .

٤ – فخرج ذفكلين من الفلك ، وقدم ذبيحة لأب الآلهة . فداخلت الرحمة قلب زفس ، وتنسم رائحة الضحية بانشراح ، ورضي عن مقدمها بلطف، ووعده بتحقيق أولى أمانيـه . فرغب ذفكلين في الحال أن تبعث البشرية من جديد (١) .

٥ – فأمره زفس بالانطلاق الى المدينة المجاورة وهي مدينـــة ذلفي الشهيرة ، ليستشير الإلهة ثميس . فأجابت الالهـة الملك وقرينته بان يعتمّ كل منهما وان يحلا منطقتيهما وان يرميا وراء ظهرهما عظام جدتهما الاولى .

٦ – فذهل كلاهما لهذا المعمى . وبعد التفكير والتأني الطويل. عصب كل منهما جبهته وحلا المنطقة على خصريهما ، وراحا يتناولان الحصى ويرميان بها من فوق الكتف . فالحصى هي عظام الارض جدةِ الجميع . فما رمـاه منها ذفكلين استحال رجالا ، وما رمته بِرّا استحال نساء . وازدهى جنسنا وازدهر . واعتبر الهلين أبرمثفس أباً لسلالتهم ، وأول من شاد المدن ورفع عماد الهيا كل.

---

٤ – (١) راجع الكتاب المقدس : العهد القديم ، سفر التكوين ف ٧ و ٨

٥ § – عذاب ابرمثفس

١ – ومع اصطلاح الحال بين زفس والبشر ، فهي لم تصطلح بين ابن اخرونس وابرمثفس . وبقي زفس يخشى سطوة خصمه المتستر وبطشه . لاسيما وقد اطّلع ابرمثفس الماهر المتوقد الفؤاد على سر خطير يتعلق بمصير الآلهة والبشر .

٢ – فأوعز زفس الى ابنه القدير هيفستس ، والى البأس والجبروت ابني استيكس الهائلة ، ان يكبلا ابرمثفس على جبل الكوكاز . وسلط زفس عليه عقاباً ، ينهش كبده في آناء النهار . وما نهش منها الطير الجارح يعود ويتكون في اثناء الليل .

٣ – بقي ابرمثفس يعاني آلامه المبرحة ثلاثين الف سنة لم ين طيلتها ولا وهنت عزيمته . بل لبث مصعر الرأس ، متمرداً عاتياً ، يقذف زفس بحمم غيظه ولاذع سخطه ، يتهدده ويهجوه هجاء أليماً ، ويتوعده وعيداً غامضاً ، بأرهب العواقب وأسوإ المصائر .

٤ – فلان زفس اخيراً ، وخشي شر المنقلب ، وفوض الى هركليس ابنه البطل ان يفك ابرمثفس من عقال أسر طويل ويخلصه من هول آلامه . وحينئذ أطلع ابرمثفس ابن عمه زفس على سره الخطير . وصده عن اتخاذ ثيتس ابنة نرفس الفاتنة ، قرينة وحليلة له إذ قد تنجب له ابنا من شأنه ان يخلعه عن العرش .

٥ ـ فعدل زِفْسُ عن مغازلة ثِيتْس ، ابنة نِيرفْس ، وخوّلها الاقتران ببِيلِفْس ، ابي البطل الصنديد أخيلفْس . أما ابْرُمثفس فلم يُمكّن رغم ذكائه واقتداره ، من استيطان ديار الآلهة . وكان عليه أن ينيب منابه أحدا في ديار آذس اله الجحيم .

٦ ـ فبعد أن جُرِحَ الكينْتَفْرُسُ خيْرُنْ ، ويئس من التئام جرحه ، قبل أن يحلّ محل ابرمثفس في الجحيم ، وأخلد هــذا الى الراحة الدائمة ، في مصاف الآلهة المغبوطين . ونظراً لما اسدى للبشر من خير عميم ، أقام له الأثينيون هيكلا في حــدائق الأكاذمية وأكرموه كأب للعلوم والفنون .

* * *

الباب الثاني

آلهة السماء

الأكابر والأصاغر

الفصل الأول : في ديار الخلود

الثاني : زفس ابو الآلهة والبشر ـ يُوبيتَّرْ عند الرومان ـ

الثالث : هيْرا شريكة زفس في الملك ـ يُونُو عند الرومان ـ

الرابـع : أثنا إلهة الطهر ـ مينرفا عند الرومان ـ

الخامس : ابولّن إله النور والفن ـ فِيبُسْ عند الرومان ـ

السادس : أرْتِميْسُ إلهة الصيدوالسحر ـ ديَانـا عند الرومان ـ

السابـع : هِرْميس ساعي الآلهة ورسولهم

الثامن : آرِس إله الحرب ـ مارس عند الرومان ـ

التاسع : هيفِستُس إله الصناعة ـ فُلْكانُسْ عند الرومان ـ

العاشر : الزُهَرَة أفرُدِيْتي إلهة الانوثـة والجمال ـ فِينُسْ عندالرومان ـ

الحادي عشر : بُسيذُون إله البحار ـ نبْتُونُسْ عند الرومان ـ

الثاني عشر : هِستيا إلهة الموقدة ـ فِستا عند الرومان ـ

الثالث عشر : آلهة السماء الأصاغر

الفصل الأول

في ديار الخلود

١ - مقر الآلهة

١ - لما انصرم عهد اخْرُونُس، وتقاسم ابناؤه بالقرعة ارجاء الكون، نال آذِسُ الهاوية واعماق الارض، فامتدت سيطرته على الجحيم. ونال بُسِيذُونُ البحار الزاخرة، المتلاطمة الامواج. وبسط زِفْس سلطانه على الفضاء والاثير وأجواز السماء. وأجمعوا على ان يبقى أولِمْبُسْ مقام الآلهة ومقرّ الخالدين.

٢ - وتمتد جبال اولِمْبسُ على ساحل بحر إغِيْئُس، وتُتاخم بلاد مَكِيذُنِيَا شمالاً، ومقاطعة تَسَّلِيَا جنوباً. وتنحدر نحوَ الشمال انحداراً وئِيداً، في سلسلة مترابطة من الهضاب والغابات. وأما نحو الجنوب فتهبط تلك الجبال في اغوارٍ سحيقة ووديان عميقة، تتساقط فيها الشلالات من أعالي تلك الجبال وتحفر في الصخور تجاعيد كثيرة، فتظهر بشكل أرداف أرديةٍ ضافية، وشيّدت الآلهة بها جدران قصورها الشامخة المنيفة.

٣ - وتبدو قمم الجبال المرتفعة الى اكثر من ثلاثة آلاف متر، المكللةُ بالثلوج الأبدية، عروشاً متألّقةً ساطعة، يتربّع فيها الارباب والآلهة

العظام . فيرى الرائي ذلك المنظرَ السحريّ ، ويوحي اليه مشاعرَ الجمـــال ومشاعر الجلال ، تمازجها المهابة والخشية والرهبة ، فيومن دون ريب ان تلك القمم هي هام البسيطة ، ويذكر كيف احتفر زفس وادي تَمْبِيي ، في حربه مع التيطان ليفصل بين معقله اوْليمبس وبين أوسّا معقِل الاعداء .

٤ – ويصفو الجو فوق تلك الجبال ، وتصعد فيها غيوم قطنية زاهية تنعكس عليها أشعة الفجر وأنوار الاصيل . وتنساب في وديانها الظليلة الوارفة غدرانٌ وأنهـار رائقة ، تترقرق مياهها برخاء ، كوثرية منعشة صافية . ففي تلك الأجواء البهية اصطفى الالهة سكناهم الازلية ، واقاموا فيهـــا على السعة والرخاء ، في اعالي الجبال وفي كبد السماء .

٢ – منهج حياتهم

١ – يرتع الآلهة في مقر الخلود ، وينعمون بمباهج الحبور ، في عيش رتيب وئيد . لا يخلو مع ذلك ، بين الفينة والفينة ، من المتاعب والمشاكل . اذ تحتدم فيهم المشادات ، وتقوم الاحن والخصومات ، ويصطرعون صراع البشر ، ويعتصبون ويتحزبون .

٢ – والآلهة مراتب ودرجات ، قِمّتها زفس والاحدَ عشرَ الكبارُ معه : بُسذون وذِميتِر وهيرا ، وأفرُذيتي وهستيّا وهيفستُس ، وهرميس وآرِسْ وأبوْلّنْ ، وأثينا وأرْتيميس . وفي منزلة ثانية بعدهم: ثِميس وإيُوس وهيليُسْ ، وسيليني وليتُو، وذيُوني ، وذيُونُسُس .

٣ . أما حاشية الألمبيين وأعوانهم ومنفذو أوامرهم ، فهم الساعات والاقدار وقسمة الحق[1] ، وإلاهات الأناقة واللطف الكواعب الناعمات ،

٣ – (١) تلك الحاشية معروفة عندهم باسم هوره وميره وليمسس .

وإلهات الشعر الغانيات ، وإيْرِسْ الزاهية وهيْفِي الفتّية وغنيميذِسْ .
أمّا آذِس شقيقُ زِفْس فقداعتكف مع بِرْسِفُوني وهكاتي في غياهب الجحيم ،
وأقام فيها معتزلاً لا يَريم .

٤ ـ واذا خطر ببال هؤلاء ان يتمردوا أو يتآمروا أو يتألبوا على
زفس مولى الجميع ، يقمعهم بعنف وقسوة ويبطش بهم بشدة . وهو ينتهرهم
أحيانا ويحذرهم بصراحة :

« الا فليذ عن الأرباب لمشيئتي ... والا قبضت عليهم ودحرتهم الى
ظلمات التارْتَرُسْ . ومن شاء ان يمتحن قوتي فليحاول . ايها الآلهة والإلاهات
خذوا سلاسل من ذهب وجرّوا زِفْسَ ماشئتم ، فلن تحدروه الى الارض ،
ولكني اذا شئت أن أسحبكم بدوري ، أجذبكم جميعاً مع الأرض والبحار
والجبال ، والف سلاسل الذهب على قمم أولِمْبُس ، وأدع الكلّ معلقاً
في الفضاء » .

٥ . ولكنّ هنالك من يعنو له الجميع حتى زفس نفسه ، ولا سبيل
لمعاكسة تدابيره أو مخالفة مراسيمه. وذاك المهيمن هيمنةً مطلقة دونها قيد او
شرط ، هو مَوْرُسْ القدرُ المحتوم . فهو كأمه دُجْنة الليل ، يتخذ
تدابيره في الظلام ويبسط سيطرته على الكون. وزِفسُ كأحقر البشر ينقاد لاحكامه
صاغراً ، ولا يفكر قط في العصيان ، لأنه في حكمته السامية ، يعرف تمام المعرفة
ان الخروج على القدر معناه تشويش نظام الكون ، وقد كلف هو بحفظه. ولذا
لما دهم البلاء سربذون أحد بنيه ، لم يحاول درءه عنه ، بل استسلم للقدر وخلاّه
يجري مجراه .

٦ - والآلهة يفضلون البشر ، بأجسام ضخمة قد تتجاوز مئتي متر وأكثر. فهبوا من أعالي الأولمبس تمس الارض بيد والبحر بالاخرى . ويجري في شرايينهم نجيع اكثر ميوعة من الدم البشري ، يؤتيهم حيوية دائمة ومنعة تامة . وان كانوا قابلين الجراح ، فأجسادهم تشفى أبداً مهما كانت الطعنات بليغة ، وتحفظ بلا انقطاع نضارة الشباب وريعانه .

٧ - ومن مميزات الآلهة ان يتخذوا من الاشكال مايشاؤون ؛ وان يبدوا بهيئة البشر او الحيوانات وحتى الجماد . ويتخلقون بأخلاق البشر وينجرفون انجرافاتهم . وهم عرضة لأهوائهم وميولهم وغرائزهم ، من حب وبغض وغضب وكبرياء ، وخوف وحسد وما الى ذلك . واذا نقموا على أحد صبّوا عليه جام سخطهم . وان حظي في عيونهم غمروه بالعطف والخير .

٨ - وفي سمائهم الألمبية يجلسون على عروش عسجدية ، صاغها لهم هيفستس الحاذق . ويقضون أيامهم في الولائم يتذوقون العنبر والنكتار ، ويشمون روائح الذبائح والاضاحي التي يقدمها لهم البشر . ويستمتعون بألحان أبولن يعزفها لهم على القيثار ، ويطربون بانغام الشاديات ، إلاهات الشعر والفن وتدور بهم هيفي إلهة الشباب ، تسقيهم رحيق الحياة ، فيرشفونه في كؤوس من الابريز . وعندما ينحدر الكوكب على الأفق ، ويميل نحو الاصيل ، يغادرون ردهة الاحتفال ، ويأوي كل الى منزله وقد شاده لهم الاله الحداد بمهارة منقطعة النظير .

الفصل الثاني

زفس

أبو الآلهة والبشر

١ – يشير اسم زفس ، حسب أصله السانسكريتي ، الى النور والى ضياء النهار . وقد كان في البدء إله السماء والظاهرات الجوية . فهو يأمر الرياح ويتحكم بالسحاب والضباب ، ويرسل الامطار ويرشق بالصواعق . مقره الأثير ومشارف الارض . انه الإله العلي المتعالي . وقد كانوا يكرمونه فوق التلال وفي قمم الجبال ، كالهلكون في فيتيا ، وأولمبس في مكذونيـة ، وهيمتس في الأتكي ، وإيذا في جزيرة كريت .

٢ – وعظم زفس مع الايام في نظرهم ، واكتملت شخصيته الأدبية ، وغدا في نظرهم الإله الأسمى . يعلم كل شيء ويبصر كل شيء ، ويقدر على كل شيء ، اذا تقيد بسنة القضاء والقدر . وهو مصدر كل عرافة ، يجيب سائليه مباشرة كما يفعل في ألمبيا من أعمال إليس ، وفي ذذون من اعمال إيبرس ، حيث أكرموه وذيوني ، ابنة المحيط عمه وتثيس عمته .

٣ – انه مفيض النعم وباعث المساويء . يقتص بشدة من الأشرار ، ولكنه صالح رحيم ، ميال الى الشفقة والاحسان . وهو يدفع الشرور ، ويحمي البائس والمسكين ، ويجير الملهوف والمشرد والمسبي . يسهر على الأسر والعيال ،

ويبارك الزواج والصداقة ، ويتعهد الضيوف والغرباء ، ويحافظ على نظام المجتمع . فهو إله اليونان وصائن ديارهم وبلادهم .

٤ — ومع انه حارس الأسر وصائن الزواج ، فقد خاض قبل زواجه الرسمي بهيرا ، مغامرات غرامية لاتحصى مع الالاهات والجنيات والبشريات . ولم تنته بعد إقترانه بها .

١ § — مغامراته مع الالاهات

١ — إقترن زفس لأول مرة بميتس الحكمة والدهاء ، إبنة أكئنوس عمه وتثيس عمته . وكانت ميتس تعلم كل شيء ، ويفوق علمها علم الآلهة والبشر معاً ، فأشار عليه جده أرنوس وجدته غيئا بأن يبتلع قرينته لئلا تنجب له ، بعد الابنة التي كانت تحملها ، إبناً يفوقه فهماً واقتداراً ، يقصيه عن العرش ويستبد بالآلهة والبشر . فلما قرب حين الولادة ، جعل يتودد الى ميتس حتى أغراها بمعسول الكلام وابتلعها هي وجنينها وواراها في أحشائه . وهكذا تلافى شراً مستطيراً ، وازدرد ذات الفهم والحكمة ، ليعرف منها الخير والشر . فحقق لنفسه غنماً مضاعفاً .

٢ - وعاد زفس فاتخذ حليلة له عمته ثيمس إلهة العدل والانصاف ، والنظام السائد في عالم المادة وعالم الروح . فأنجبت له إفنميا الشرع الصالح ، وذيكي العدل والحق ، وإريني السلام العادل ، وأخيراً ولدت له الساعات ، المتدفقات رونقاً وشباباً . وتسهر تلك الالاهات على تعاقب الايام والفصول

---

١ – (١) راجع هسيذس : مولد الالهة ش ٣٥٥ و ٨٨٥

والدهور ، وتفتح أبواب السماء لتبعث السحاب او ترده ، وتفيض الغيث في أوانه ، وتراقب سير القوانين ، وترعى الطفولة والشباب ، وقد حدبت على طفولة ذيونسس وهرميس .

وبعد إقتران زفس بهيرا ، لبثت ثيمس في الأولمبس عزيزة مكرمة ، تعاون زفس وتسدي اليه النصح . وتلك هن بناتها الأخوات الاثنتاعشرة(١).

٣ — وبعد ثيمس تزوج زفس بعمّته الذاكرة امنمسيني ذات الشعر الطويل الجميل ، فأقام عندها تسع ليال . ولما آن الآوان ، ولدت له ربات الشعر والفن التسع ، اللائي يبهجن ولائم الآلهة ويطربن بجوقتهن مآدبهم . ومقامهن المفضل قمم أولمبس او ذرى هلكون ، او مشارف بارنسس . وتلك الالهات يعنين بالشعر والرقص ، والتاريخ والفنون الجميلة ، وهن يؤلفن فرقة فنية رائعة ، يديرها أبولن ، وأشهرهن إفتيربي وأكليو وملبميني . وتلك الالاهات هن الاخوات التسع .

٤ - وشغف زفس بحب اخته ذميتير . ولما امتنعت عنه استحال ثوراً وغشيها . فولدت له كُورِي أوبرسيفوني . وعَلِقَ ايضاً إفرنُومي ابنة عمّه أكيَنُوس وعمّته تيثيس فانجبت له ربات الأناقة والنعومة الثلاث : أغلَيّي الساطعة وثاليا الزاهية وإفرُسيْني المبهجة المشرقة .

كانت تلك الإلهات توعب القلوب فرحا وحبورا ، وتضفي اللياقة على الحفلات ، والاناقة على المعاملات ، وتزيد بكياستهن وأدبهن ، مباهج الآلهة

---

٢ - (١) المعروفة عندهم باسم هوره وكانت ثلاثا : ساعة الربيع وساعة الصيف وساعة الشتاء ثم انضمت اليها ساعة الخريف ، ثم أضحت اثنتي عشرة عندما وزع النهار الى اثني عشر جزءاً والليل الى أجزاء مماثلة .

والبشر ، رونقا وذوقا وعذوبة . وهي تصحب ربات الفنون ، وتشاركهن في صوغ الروائع وابداع الآيات الخالدات . وقد اكرمن خصوصا في الساحات العامة والمنتديات ، وسكبت لهن السكائب في بدء الولائم تلك هي الاخوات الثلاث .

٥ - واخيراً اقترن رب الأرباب بأخته هيرا ، على زمن ابيه الخرونس ، وقبل أن يغتصب الملك لنفسه ، وذلك أن اخته الصغيرة عهد بها الى حاضنة اسمها مكريس ، في جزيرة إيڤيا الممتدة على ساحل الأتكي الشرقي ، فقصدها زفس ذات يوم ، وحملها الى جبل كيثرون على تخوم فيتيا والأتكي الشرقي ، واقترن بها هناك . ومنهم من يقول أن زواجه بها قد تم في اقصى المغرب في جنائن الهسبيريدة ، ومنهم من يقول أنه تزوجها قرب نهر ثيبريس بجوار مدينة اكنسوس .

٦ - ويروي بفسنيس ذلك الخبر رواية مختلفة . هام زفس باخته هيرا ، ولكنه خشي ألا تبادله المحبة . فأتاها ايام الشتاء في هيئة بلبل جميل ترتجف فرائصه من شدة البرد . فرمقته الإلهة برفق وضمته الى صدرها في حنان ، وراحت توليه آيات عطفها وتداعبه كل مداعبة . فمثل امامها عندئذ كما هو ، وابدى لها شغفه ووجده . فما زالت الالهة تصده حتى وعدها بالزواج . وتم اقترانه في محفل الآلهة بابهة وحفاوة بالغة .

٧ - ولم يمنعه زواجه الحافل ، في ديار الآلهة ، من متابعة مغامراته ، ومواصلة خديعة زوجته ، وملاحقة الإلهات والغانيات ، ولكنه اخفق مرارا ولم ينل دوما منهن مأربه .

فهكذا قد صده ابْرُمِيثَفْس عن مخالطة ثِيْتِس ابنة نيرِفْس ، خشية أن تنجب مولوداً يفوقه قدرة وجبروتا وهكذا لم يُوفّق مع أسْتِيريا ابنة عمّه كِيئُس وطمته فيفي . ولما ضايقها كثيراً ، تحولت الى سمّنة وطاروت ، ومن إعيائها سقطت في البحر ، فاستحالت الى جزيرة طافية على وجه الخضم . فاستحضر زفس سلاسل من ماس وشدها الى قعر البحار . وسمّيت تلك الجزيرة أرْتغي أو جزيرة ذِيْلُس اللامعة .

٨ غير ان اختها لِيتُو لم تبد كل هذا الاجفال ، وسايرت ابن عمها ابا الآلهة ، فاغضبت هيرا قرينته الشرعية ، واوغرت صدرها حنقاً وحقدا . فانبرت ابنة اخْرُونُس القديرة تلاحقها وتضايقها وتضطهدها بلا هوادة ، ولم تجد لِيتُو الناعمة البهية ، الا بعد متاعب جمة وتنقلات كثيرة ، موضعاً تضع فيه مولودَيها الالهيَّين : أبُولُّن الفاتن وأرْتِيمِيس الرشيقة القدّ .

أما مايا ابنة أطْلاس ذاتُ الضفائر الجميلة ، فقد تجنبت ببراعة حسد هِيْرا وسخطها ، اذ اعتزلت مقر الآلهة وأوت الى مغارة عميقة ، وهنالك اخفت مودتها لرب الآلهة والبشر . فكان يرتاد كهفها ليلا ، بعد أن تستسلم زوجته هيرا البيضاء المرمرية الجسم ، الى سبات هادىء عميق ، لايخامرها شك بامانة زوجها . وانجبت مايا لزفس ابنه السريع هِرْميس ساعي الآلهة . وولدت له اختها إلِكْتْرا ، ربة الانغام والانسجام هَرْمُنْيا الانيقة الهادئة ، وذارْذَنُس .

١٠ - وأحب زفس بنتا ثالثة لابن عمّه أطْلاس كانت تدعى تَفْيِتِس . وحاول إغراءها طويلا ، ولكنها صدته بجفاء وتهربت منه بلا

انقطاع ، حتى طاردها مرة فعطفت عليها ابنته أرتيميس وأحالتها ظبية . ثم بعد فترة طويلة اعادتها الى شكلها الاول . فوقفت تَفْيِيتِس للالهة غزالة وطلت قرنيها بماء الذهب . وادعى بعض الاسبرطيين ان تَفْيِيتِس استجابت دعاء رب الأولمبس . فانجبت له ابنا وسمته لَكِذِيمُن ، وملك على بلاد الكونيين ، وأسس المدينة التي تدعى باسمه .

٢ § – مغامراته مع الجنيات

١ – لقد أحب زفسُ من الجنيات ، بنتي آسبُس إغينِي وأنتيبي . أما الأولى فقد استحال الى نسر وخطفها . – ومنهم من قال الى لهيب ولكن الأمر يبدو عسيراً . – وأخذها وطار بها الى جزيرة إنُوبيا ، فولدت له ابناً سمته إيكُس ، ملكَ فيما بعد على جزيرة إغينِي . ولكن أباها آسبس ، وهو النهر الذي يجري بلجب في شمال جزيرة بيلُبُس ، استفقدها فلم يجدها . فجدّ في البحث عنها واتجه الى مدينة كُورِنثُس . فهداه سيسيفُس الى خاطفها ، ودله على الطريق . ولما بلغ وباغت زفس ، صوب الإله اليه صواعقه واكرهه على العودة الى مسيله .

وزعم بعضهم ان سيسيفُس قد فاجأ زفس على حين غرّة ، فبُغت رب الارباب وذهل ، وحوّل معبودته الى جزيرة واستحال هو الى صخرة صماء . وتُرى تلك الصخرة حتى هذه الأيام ، فوق جزيرة إغينِي .

٢ – تلك قصة زفسَ مع إغينِي . أما أنتيبي اختها ، فقد لقيها زفسُ في جولاته الرعوية ، مستلقية مغرقة في النوم ، على ضفة ساقية صافية .

في أحد الوديان الجميلة فاستحال الى صَطَرٍ بشع ،(١) وخلط الفتاة البهية . فهربت الى مدينة سِكيُونِي ، حيث اقترنت بملكها .

وروي أن أباها نيكتيفس ، وأنه انتحر عندما سمع بخبرها . وأنه أوصى ابنه ليكُسَ ، قبل أن يقضي نحبه ، بأن يثأر للشرف المفقود . فحاصر ليكُسُ سِكيُوني وقتل ملكها إبُيفسْ واسترد أخته اسيرة . فوضعت ولدين توأمين ، عُرِضا على جبل كِيثِرُون ، وأصبحا بعد ذلك من أشهر أبطال ثيفة ، وهما أمفيُّن وزيثُسْ .

٣ ـ عاشت عروسة الوديان كَلِستُو ، ابنةُ لِكَائُن ملك أركَذِيا، مع الالهة أرتِميس ، ونذرت أن تعيش بصحبتها عذراء(١) . فلمحها يوماً أبو الآلهة وسباه جمالها الخلاب ، فلقيها مرة في أحدى الأجمات ، تستريح من ملاحقة الطرائد . ولكي لا تجفل منه وتهرب ، وقف بها في زيّ أرتِميس . فقبلته بترحابٍ وسرور . ولما عرفته في حقيقته كان قد فات الأوان .وحاولت اخفاء أمرها . لكنّ سيدتها أرتميس تبيّنت ما حصل لها ، بينما كانت تستحمّ وإياها . فشاءت ان ترميها بسهم،لكن زفس حوّلها الى دبّةٍ كي يخيف أرتِميس. إلا ان الالهة الباسلة رمتها بوابل من السهام وأماتتها كعاهرة . فنقلها زفس الى الفَلَك وغدت فيه الدبّ الاكبر .

٤ ـ ويقال في ذلك قول آخر ، وهو أنّ هيرا علمت بخيانة زوجها وشقّ الامر عليها جدا .فبعد ان ولدت كَلِستُو، ومسّت مولودها أركَاس

٢ ـ (١) الصَطَرُ كائن اسطوري له راس انسان ويداه وجسم تيس من المعز .

٣ ـ (١) سنرى ان الالهة العذراء هي الثنا ابنة زفس . وهكذا يتأكد المرء ان في البشر نزعة سرية الى النقاء العذري والى الطهارة والبتولية .

وهو مغمَّر مقاطعة أرْكَدِيّا ، أحالتها هيرا الى دُبّة رهيبة . وملك أرْكاس مكان جدّه على عرش أرْكَدِيّا . وبينما كان ذات يوم يصطاد في احدى الآجام ، طلعت عليه دُبّة كبيرة ، وراحت تتأمله بوداعة وترمقه بنظرات حانية ، كأنها نظرات الأمّهات . ذلك أنّ كالِسْتُو قد عرفت ابنها الحبيب ، وابدت كل حنينها اليه ، وعجزت عن التقرّب اليه وإطلاعه على منزّها الخفيّ وسرّ حبّها وعطفها عليه . أما الولد الحائر الداهش فلم يعرف أمّه الرؤوم ، وتنكّر لهذا الوحش الوديع وحار طويلاً في امره . ولكنّ الخوف تغلّب عليه وتناول سهماً ورام أن يُرْديه . وعندما همّ وتناول القوس ، تحنّن زِفس على الامّ البائسة ، واشفق على لوعتها اليائِسة ، وأحال ابنها ايضاً الى دبّ صغير ، ونقلهما الى فلك السماء ، فأمست فيه الدبُّ الاكبر واصبح ابنها الدبُّ الاصغر .

هذا ، ومغامرات رب الارباب مع الإلاهات والجنيّات لا حصر لها ولا تعداد . وليس من شعب عندهم لا ينحدر جـــده الأول من زفس أبي الآلهة والبشر .

٣ § – زِفْسُ والآدَمِيات

آ) ١ – أولى من أحب زِفْسُ من بنات البشر نِيُوبي ابنةُ فُرُونِفْس وعروسةِ الوديان لَشْذِكي فولدت له آرْغُس . فأسّس المدينةَ التي تُدعى باسمه .

ب) ٢ – وكان لأبيها إله النهر إنَخُوْس ، ابنةٌ جميلةٌ سمّيت إيُوْ ، تَكَهّنُ في هيكل هيرا بين مِكَيْنِي وتيرِنْس ، في شبه جزيرة بيلبس . فشغف بها أبو الآلهة واستحال الى غمام ليغشاهـــا . فلاحظت هِيْرا

اختيال زوجها وأبدت له استياءها . فانكر وحاول ان يتنصل . ولكي يهدىء خاطر قرينته الظنونة ، حوّل الحبيبة إيّو الى مهاة بيضاء .

٢ – غير ان غيرة هيرا لم تهدأ ، ابهاء تلك المهاة وورونق شكلها . وتظاهرت الإلهة بالارتياح . وفي كثير من الدلال ، ألحت على قرينها الفاسق واستهدته تلك المهاة . وادعت انها أولى من غيرها بامتلاكها ، لأن البقرة كانت كاهنتها سابقاً . فاستجاب زفس امرأته وأهداها المهاة . فاخذتها واقامت على حراستها في غابات مِيكيْنِي ، عملاقاً مخيفاً يُدعى آرْغُسْ ، ذا سحنة غريبة فيها مئة عين ، اذا نام اغمض خمسين منها وسهرت العيون الاخرى. وهذا الجبار اليقظ قد قتل إيْخِذنَا الضخمة ، الحيّة الغليظة الرقطاء بنتَ تَارْتَرُسْ وغَيْئَا ، كما أهلك ثوراً وحشياً ضارياً ، عاث في أرْكَدِيَا فساداً .

٣ – فشقّ على زِفْسَ أن يتغلب لآرْغُس بعد ان استكان لهيرا . ولم يشأ أن يصرعه بصواعقه المتلظية . ولكنه أراد ان يتخلص من ذلك الجلف الغليظ بحيث لا يشعر احد بتدخل رب الآلهة . فاستدعى ابنه هِرْمِيْسْ وعهد له بهذه المهمة الخاصة .

فتنكر هرميس وتزي بزي رعاة البلاد ، وأخذ مزماره ودنا متحفظاً ، وراح ينثر في ارجاء الغاب ، اعذب الالحان وألطف الانغام ، واطرب الجبار بغنائه الشجي . فشجي آرغس وطابت له الالحان ، وثمل من نشوة الطرب ، فنام ملء عيونه كلها ، واستسلم لسبات عميق ، لم يعرف في حياته مثله .

٤ – وعندئذ ازدلف هرميس ورمى عنقه بضربة قاضية ، وخلص إيو من حارسها الشنيع . غير أن هيرا تنبهت للامر ، وذرّت عيون العملاق على ذيل الطاووس طائرها المفضل ، فازدهى من ذلك الحين بتلك الألوان الزاهية .

وفي اضطرام غيظها سلطت على إيو قمعة هائجة قاسية تلسعها وتؤلمها وتجفلها اجفالا . فانطلقت تلك المهاة البائسة ساقيها للريح ، تصعّد نحو الشمال وتنحدر نحو الجنوب ، تتسلق الجبال العالية ، وتغور في الفجوج السحيقة ، في البرد والحر والثلوج والعواصف ، ولا تزداد الا ضنكا ولا تجد سلوى او راحة . فجابت البلاد كلها ، صرودها وجرودها وسهولها ووديانها ، وبلغت ذرى الكوكاز ، حيث كبل الشيطان الجبار ابْرُمِثيفْس بنُ يابِتْس . فلما رآها رثى لحالها ، وبكت هي ايضاً عليه . وتنادما مدة طويلة وتبادلا التعزية والمؤاساة ، وانبأها الجبار باقتراب الفرج .

٥ – ودّعت المهاة صديقها الكبير ، ومضت تتابع سيرها المضني . وقطعت سباحة مضيق البسفور(١) ، ومرت بآسيا وفنيقيا وأمعنت في متاهات سيناء ، حتى انتهت الى ضفاف النيل ، فتصالحت هيرا مع زوجها الطائش ، وطردت القمعة عن ضحيتها إيو . فلامس زِفسُ ظهر البقرة فاستعادت شكلها القديم . ولكنها ما عتمت ان ولدت لزفس مولوداً اطلقت عليه لقب إبَفُوس .

٦ – فعاودت هيرا غيرتها ، ونقمت من جديد على إيو ، وأوعزت الى كهنة رِيئا في جزيرة كريت ، بان يخطفوا المولود الصغير . ولما نفّذوا أمر زعيمة الآلهات ، رشقهم زفس بصواعقه المبيدة ، ومضت إيُو مرة أخرى ، تجوب الدنيا وآفاقها النائية ، تفتش عن ابنها الضائع إبفوس . وبعد لوعة وعذاب مرير ، لقيته أخيراً في سوريا ، ثم اقترنت بملك مصر تِليغُنُس ، واستقرت هي وابنها نهائياً هناك ، وأسس إبفوس مدينة مَمْفِيس في شمال مصر وجنوب الجيزة .

---

٥ – (١) فسمي المضيق باسمها ، لان كلمة فسبرس باليونانية تعني ممر او مضيق الثور والبقرة .

ج) ٧ – كانت ذناني ابنة أكريسيس ملك آرغس ، وإفرذيكي ابنة لثميذن ملك اطروادة . وبعد ان ولدتهـــا امها انحبست احشاؤها عن الولادة . فسأل أبوها العرافين فقيل له : ستنجب ابنتك ذناني نجلاً كريماً من اصل كريم ، فتموت بيده قضاء وقدراً ، ويملك مكانك على عرش اجداده . فلما سمع الملك ذلك انشأ تحت الأرض سرداباً ، صفحه بصفائح الفولاذ ، وحين بلغت ابنته سن الزواج أغلق عليها في ذلك السرداب .

٨ – ورآها زفس واحب نعومتها ونقاءها ، فتردد عليها أولاً بشكل مطر من ابريز ، ثم كشف لها عن حقيقته وآنسها في سجنها وهون عليها مكارهه . ودار الزمان دورته وانجبت نجلاً من رب الآلهة . ولما علم ابوها بالامر ، خاف ان يقتل الغلام ، فأخذ سفطاً محكم الإغلاق ، اودعه ابنته ورضيعها ، ورمى به الى البحر .

٩ – فعام السفط وراكباه ، وتقاذفتهم الأمواج ، والطفل نائم على ذراع أمه . تهدهده وتناغيه وتناجيه بحنان : « واحسرتاه عليك ياولدي ، واحر قلباه من هذا المركب الحرج . . . ومع ذلك فأنت ترقد يابني رقاداً هادئاً هنيئاً ، في هذا المسكن المريع ، المصفد بمسامير النحاس ، انك ترقد في حضني يكتنفك وإياي ديجور رهيب . والغمر يتلاطم فوق رأسك وانت لاتأبه لصخبه ، وتزخر العواصف حولنا وأنت غير مكترث لها ، تسند هامتك الساحرة الى وسادة من ارجوان . فلو كانت الأهوال تذعرك لانصت بحذر لأقوالي ، واسترعى أذنك الغضة انيني وراعك همس تحسري الشجي . نم ياحبيبي أغف ونم . وليتم عنـا الخضم بهوله ، وليتم عنا خطبنا الذريع . يازفس أباه يارب الآلهـة ، ليتك ترد

عنا احكام القدر ، وإن كنتُ في دعـــائي أفرطت في القول ، فسامحني يا إلهي بحبك إبنك بهـذا الطفل الرضيـع (١) » .

١٠ ومـــا زالت الأمواج تتقاذفهم حتى أرمى السفط في جزيرة سيرنس . وهناك عثر عليه ذيكتس وبلذيكتس ملـكا الجزيرة ، فأضافا الأم وابنها وحوّطاهما بالاكرام والمودة . وبعد فترة من الزمن ثبت للملك بلذيكتس أنه يحبها ، وحاول عبثاً ان يخطب ودّها . فأبت وبعد صروف خطيرة مرت عليها وعلى إبنها برسفس ، عاد بها ابنها الى أرض الأجداد . وملك على مكيني وتيرنثس ؛

د) ١١ – لقد كان زفس ابو الآلهة يعبث بسخط هيرا قرينته وبما يجر من عواقب وخيمة على البائسات الضعيفات ، ممن أشقـــاهن القدر وأحظاهن في عينه .

وهذا ماوقع لسميلي . كانت ابنة لكاذمس ، ملك ثيفة في فيتيـــا ، ومؤسسهـا وشقيق أفروبي ، حظيّة ابي الآلهة . أحبها زفس بعد ان خطف إفروبي عمتها . وعلق يرتاد قصرها ويتمتع بلذة صحبتهـــا وأنس مجالستها ورفيع أدبها .

١٢ – فشق الأمر على هـيرا وتنكرت بزي فروئي ، حاضنة سميلي ووصيفتها ، ولاطفتها كثيراً ثم أوحت اليها في لطف وتودد ، ان تلتمس من عشيقها الإلهي ان يبدو لها في سناء مجـــده وضياء قدرته وجبروته . فطلبت الحبيبـــة من حبيبها ان يتجلى لها بكل عظمته . وعبثـــاً

---

٩ ــ (١) هذا النشيد لسمينذس الكيسي

حاول زفس ان يردع معبودته عن ذلك المطلب الوخيم العاقبة . وكان قد حلف لها بايمان مغلظة انه يؤتيها سؤلها . واقسم بنهر استيكس ، نهر الجحيم الرهيب انه يفي بما وعد . واذ اصرت في الطلب حزن جدا واضطر ان يظهر لها وسط البروق والصواعق واللهيب المتأجج . فأذاب الوهج كل شيء ، القصر والحدائق وكل من فيها . غير ان زفس أخذ جنين سيملي وحشره في فخذه ، حتى يحين أوان وضعه وهكذا انتمى ذيونيس مرتين الى ابيه . واحصي في مصف الآلهة.

٨) ١٣ – عنّ لزفس ابي الآلهة ان يتجول على سواحل فنيقيا . فبلغ مدينة صور وهناك على شاطىء بحرها اللازوردي ، نزل عند الاصيل سرب الفتيات كأنه سرب من الحمام . وراح في هرج ومرج يسرح ويمرح على الرمال ، يتسبح تارة ويستريح أخرى . وبدت بين النهد الكواعب إفروبي ابنة فينيكس او أغينر ملك فنيقيا .

تأمّل زفس تلك الاميرات وسباه حسن إفروبي وبياضها الناصع الفتان وورنق محياها ورشاقة جسمها ، وعقد النيّة على امتلاكها . فتقدم بهيئة عجل حوليّ ، وانضمّ الى قطيع أغينر الذي كان يرعى بقرب الساحل . .

١٤ - ولاحظت إفروبي هذا العجل الوديع . فدنا منها بهدوء وظرف وشرع يداعبها بلطف . فانست الاميرة به واستحلت نصاعة جلده ومرونة وبره الكثيف . وانحنى العجل امامها كأنه يدعوها بلسان حاله ، لامتطاء ظهره العريض . وعلت الاميرة الثور فراح يترهو بها نحو الموج . وما ان خاض في الماء ، حتى انطلق كالسفينة السريعة ، يشقّ بها عباب البحر . وافروبي على ظهره الوثير تتلفّت في حيرة وذهول ، حتى بلغ جنوب كريت .

١٥ - وولج زفس نهر ليثي بقرب مدينة غرتيني ، ونزل على ضفاف النهر وتجلى لافرُوبي الحبيبة . وما انفك يرعاها ويستعذب جوارها حتى أنجبت له مينُس ورذامنثيس .

واعجب أستيريُس ملك الجزيرة بجمال إفروبي ، وتمنى أن تشاركه السيادة على المملكة ، فرضي زفس عن ذلك الزواج ، وعاشت اميرة صورعزيزة مكرمة ، وبعد الممات رفعوها الى مصف الالاهات . وعقب اختطافها بقليل انطلق اخوهـا كاذمُس يبحث عنها في أرجاء اوربا ، فاوعزت اليه عرافة ذلفي ان يكف عن البحث ، وان يبني مدينة ثيفة عاصمة فيتيا . فبناها وملك عليها .

و)١٦ - ولم يتورع زِفس صائن الزواج وحامي قداسته ، عن هتك حصانته وعن دوس كرامته . إذ لم يكتف باغواء العذارى ، بل أمعن في غيه وغازل المتزوجات واتخذ اشكالا كثيرة لينال منهن وطرا .

فقد رأى مرة لِيذا ، امرأة تينذارس ملك إيليُن ، تستحم على ساقية صافية وبشرتها انقى من الكوثر المترقرق . فأغرم بحبهـا وارتمى بين ذراعيها ، في شكل تَم بديـع ، هارب من نسر يطارده . ذلك ان أفرُذيتي التي استحالت الى احدى الجوارح ، قد تواطأت مـع رب الأرباب لتنتقم من تينذارس في شخص امرأتـه . لأن الملك في احدى الذبائـح المقدسة للآلهـة ، كان قد سها ولم يقتطع حصة أفرذوتي . فحنقت وحدت زِفس الى الاعتداء على زوجته ، ولم يكُ زِفس بحاجـة الى حافز لتلبية ذاك الطلب الوخيم .

١٧ - وفي الليلة نفسها عرفها زوجها فوضعت في حينها بيضتين، إحداها من زفس الطائر الولهان ، وقــد حوت كاستر وبلذيفكس . والأخرى من تنذارس وقد تضمنت هليني واكلتمنيستوا . فأحصي الأولان بعد حياة مجيدة حافلة بالخير ، بين عداد الآلهة ، ورفعا الى السماء حيث أمسيا برجين من الأبراج السماوية ، التي ضج تاريخهم بذكرها .

ز) ١٨ — وهوي زفس ايضا ملكة ثيقة الفـاضلة ألكميني ، امرأة أمفترين . ولما خشي الاله فضيلتها ، وخاف ان يبوء معهـا بالفشل ، اتخذ هيئة رجلها وأتاها بشوشاً مستأنساً ، فتقبلته بارتياح وأبدت كل غنج ودلال. فلازمها فترة طويلة ثم قبلها وارتحل . وبعد إنصرافه بقليل أقبل زوجها الحقيقي، فدهش من اعراض قرينته وإحجامها عن ملاطفته . ولما أبدى إستياءه لها ، إستغربت انه نسي بسرعة قصوى ماغمرته به من دلائل الحب، منذ برهة قصيرة. فاستدعى العراف ترسيس واستطلعه حقيقة الأمر ، فأوضح له العراف ان زفس أبا الآلهة والبشر أراد ان ينجب من قرينته ألكميني بطلًا صنديداً يذود عن المـــائتين والخالدين . وُولد المولود ودُعي هركليس .

ح) ١٩ - أخيراً عرف زفس آلهات وجنيات وبشريات كثيرات جداً، خالطهن في هيئات شتى إذ استحال هكذا الى فرخ حمام والى حصان او أحـد السباع . وأنجب هكذا من الأبطال تانتلس وبرسيفس وبان وتيتيس ، وغيرهم عدداً لا يحصى . إذ تنافس رؤساء الشعوب ولفقوا الأحاديث لينموا أصلهم الى رب الآلهة بالذات ، الذي دعي لذلك أيضاً أبا البشر .

وربما كانت قصص كثيرة من قصص زفس تعبيراً شعرياً عن تفاعلات العناصر والظاهرات الطبيعية ، ونزعة ساذجـــة عند كثيرين لاحراز ألقاب شرفية أثيلة .

الفصل الثالث

هيرا
شريكة زفس في الملك

١ - هيرا هي ايضا في الأصل إلهة من آلهة السماء . وما اصطراعها وزفس على مايبدو ، إلا اصطراع عنـــاصر الكون ، التي كانت تمثلها هي وزوجها إله النور .

وقد عبدوها في البدء على المشارف وقمم الجبال نظير قرينها . وغـدت مع الايام مثالا أسمى للمرأة ، وقد أضفيت عليها هالة الألوهة . وتمثلوها جليلة مهيبة ، تحمل الصولجان يعلوه "هز ّار" ، إشارة الى ظروف اقترانهـا ، وتصحبها ابنتها هيفي إلهة الشباب في ريعـــانه ، وربات الأناقة الثلاث ، والاخوات الناعمات الاثنتا عشرة .

٢ - وقد شادوا لها معابد ، خصوصاً في المدن الشديدة النظم كآرغس ومكيني وإسبرطة . وقد كانت تكره شعوب آسيا وتحالف أعداءهم ، وقـــد غدت إلهة مكرمة عند الرومان ، ودُعيت باسم ُيو ْنو . ومن الأضاحي التي تقدم لها ، الأغنام الحولية والخنازير ، وامتنعوا تماماً عن تضحية البقر لها، لأنها في حرب العماليق هربت الى مصر واستترت في إهـــاب بقرة .

٣ - وُلدت هيرا على مايزعم أهل ساُمس في جزيرتهم ، وقد عطفت الفصولُ او الساعات إُهْوره على طفولتها . وترعرعت في جزيرة إيفيا . حيث لقيها أخوها زفس وخطب ودّها كما رأينا . وعقدا إكليلهما في قصور أولمبس بأبّهة عظمى وحفاوة مابعدها حفاوة . فوضعت على رأسها تاج السيادة ، وجلست على عرش عسجدي متألق كالشمس واشترك الآلهة طراً في الاحتفال .

إلا أن هيرا لم تلقَ السعادة الكاملة ، إذ ماونى زوجها يخونها ، مع كل أمانتها وسحر جمالها الخارق . وانجبت له اربعـــة أولاد آرس إله الحرب ، وهيفستس إله الصناعة ، وهيفي الغضّة إلهة الشباب في أصفى رونقه وروعته . وإليثيا ربة الولادة وأوجاع طلقها . وكل سنة كانت هيرا تقصد ينبوع كانثس بقرب نقبليا او نابلي الحالية من اعمال رومانيا ، وتستعيد بها بكارتها .

٤ - ولو شاءت الانزلاق وركب مركب الهوى ، لماخانتها الظروف او فاتتها الفرص . لانها أحرزت من الفتنة مقداراً كان يسبي عقل رب الآلهة نفسه . إذ ماانفك يقول عندما كان يتأملها مدّهنة معطرة مزدانة : « ماستأثر الحب بمشاعري ، ولا سيطر الوجد على شغاف قلبي في هوى إلهة أو هوى فانية ، سيطرته عليّ عندما أشاهد بهاء هيرا شريكة حياتي » .

وقد دعي إكسيّين ملك اللابثه ذات يوم الى مأدبة عند الآلهة ، ولمارأى هيرا وجمالها الفائق ، فُتن بسحرها وُخلب لبّه ، فرام معانقتها ، فكوّن زفس إزدراء به غمامة بشكل هيرا ودفعها اليه . فلما شاء مخالطتها في جنون هيامه ، ربط بدولاب ملتهب وقُذف به وإياه في أرجـــاء الفضاء ، جزاء قحته ومحاولته الآثمة .

٥ ـ ولما كانت شديدة الامانة ، تسهر على قداسة الزواج ، وتنفر من تفكك الاخلاق ، احتدم الخلاف بينها وبين زِفْسَ بعلها الخليع ، في بدء حياتها الزوجية ، واشتد النزاع مرة فهجرته وعـادت الى الأرض الى بلاد طفولتها . فاحتال عليها أبو الآلهة ليعيدها الى أُولِمْبُس ، واصطنع تمثالاً بهياً وأمر ان يُطاف به وأن يذاع في كل مكان ، أن هذه خطيبة جديدة لزِفْس أبي الآلهة . وخدعت هيرا بالعوبة زوجها ، ودنت من العربة حاملة التمثال ، وراحت بغضب متقد تمزق ثياب الضرة الغاشمة ، التي تجرأت على منافستها وعلى احتلال مكانها . ولشد ما كانت دهشتها حينما تبينت غلطهـا ، فقفلت راجعة الى السماء .

٦ ولما رسخت قدمها ، وتوالت خيانات زوجها ، عقدت النية على خلعه ودفع سلطانه الى آخر بمؤازرة بُسيذُوْنْ وأثينا وأبُوْلُنْ ، وكبَّلته بالسلاسل وقضت على سلطته نهائياً ، لولا أنَّ تِيثِيْس عمته اسرعت وانتشلته من تلك الورطة واستدعت افْرِيَارِئُس - او كما يسميه البشر إغيُئُنْ - الى نجدته(١) ونصرته. فجاء ذلك الجبار مختالاً مسيطراً ، وجلس الى جانب زفس رب الآلهة ، الذي قمته هيرا وأذلته . فلم يعد احد يجرؤ على مناوأة زفس او التطاول عليه .

٧ . وحسبت هيرا مولد أثينا من رأس زفس إهانـة شخصية لها . فوطدت العزم على ان تلد هي ايضا مولوداً قديراً ، دون مخالطة زوجهـا . فابتهلت الى السماء والارض وسألت التيطان المحبوسين في دياجير تَارْتَرُسْ ، ان يؤتوها هذه البدعة . فاوتيت طلبها وانجبت وحدها تِفُوْنَ ، ذلك الثعبان الرهيب الذي جرَّ على البشر ويلات كبرى وحسرات .

---

٦ - (١) راجع ١ : ٢ : ٣ ثم ١ : ٣ - ٣ - ٣

٨ – وقد جرت محاولات التمرد تلك على هيرا عقوبات شديدة . فقد انهال عليها زفس يوماً بالكم والضرب ، فاشفق عليها ابنها هِيفِيسْتُسْ ، وانبرى ليدفع عنها زوجها الثائر . فاخذه أبوه برجله وقذف به في الفضاء من ذروة أُولِمْبُسْ . فسقط على الارض وتهشمت ساقــاه ، وبقي اعرج مدى الدهور . واقتص زفس مرة اخرى من قرينته ، فربط يديها بسلسلة من ذهب ، وشد الى قدميها سندانا ثقيلا ، وعلقها على ذلك الوجه في السحب .

٩ فارتدعت هيرا عن ثوراتها ، ولكنها صبت جام غضبها على البائسات المائتات اللائي حظين بودة قرينها . فقد اضطهدت إيُو ، واحرقت سِميلي بلهيب زوجها المتجلي ، وبلت إنُو شقيقة سميلي بلية كبرى ، لانها حنت على طفولة ذِيُونسُس الذي خرج من فخذ أبيه أبي الآلهة والبشر .

ولم يقتصر حقد هيرا على حظيات بعلها ، ولكنه تعداهن الى كل منافس او مناوىء لها . فقد أحالت شعر أنْتِيغُوني ابنة لَئُمِيذُنْ الى حيات ، لانها افتخرت وفضلت شعرها على شعر ربة السماء .

١٠ وقد ضربت ابنتي ابْرِيتُس ملك آرغس بالجنون والبرص ، لاحتقارهما تمثالا لهيرا مصنوعاً من خشب . ولم تنالا الشفاء بعد ان طافتا ارجاء المملكة ترتديان اطماراً بالية ، الا بعد تنازل ابيها للساحر مِيلَمْبُس عن ثلثي مملكته . وقد نكبت بلداً باسره لان باريس قد مس خيلاءها عندما اعطى الافضلية للزهرة أفرُذِيتي ، في مباراة جمال ، جرت بينها وبين الزهرة وأَثِنَا .

الفصل الرابع

أثينا
الهة الطهر

١ هذه الإلهة هي ابنة زفس المفضّلة(١) .وقد أثار مولدها الغريب دهشة اهل السماء ، وأثار عطفُ زفس عليها ورعايته لها ، غيرةً بعض الآلهة ونقمتهم الخفيّة المكبوتة . كما اثار سخط هيرا ، فشاعت ان الد هي ايضاً مولوداً عظيما تنفرد في انجابه ، فوضعت هولةً ووباء .

٢ ـ لما تخوّف زفسُ من انذار الجدّين الأوّلين الارض والسماء وتحسّب لغير الدهر وصروف القدر ، ابتلع قرينته ميتيس ، وازدرد هكذا الفهم والذكاء والحكمة والدهاء . ودار الزمان دورته وآن الأوان الذي كان يُنتظر أن تضع فيه قرينتهُ المبلوعة مولودها ، فشعر ابو الآلهة والبشر بصداع أليم لايطاق ، واستدعى ابنه هيفستُس وشكى له حاله وقال : « تشدّد يابني ولا تخف ان تنفّذ ما آمرك به . خذ فأسك وشق رأسي، فعلّي ارتاح من ألمي المبرح ووجعي الذي لايطاق . »

٣ ـ ذعر الاله الحداد من ذلك المطلب ، وظنّ أن والده يتربّص به شرّاً ويدسّ له دسيسة . فرفض وانقلب راجعاً الى مصنعه ، فاحتدم ابوه

١ ـ (١) وتدعى عند الرومان منرفا .

غيظاً ولما عرف مخاوفه ، طمأنه من جديد وألح في الطلب ولما انفلق رأس زفس برزت إلهة ساطعة كأنها نجمة الصبح ، ممشوقة القد بديعة المحيّا ، يتلألأ ناظراها كفرقدين في السحر ، تحمل الدرع والمذراق ، وثيابها ناصعة منمّقة في منتهى الفن".

٤ - بدت تلك الإلهة على ذلك الوجه الخلاب ، فضمّها ابوها بكل حنان وجعل يقبّلها بكل حب . ولما شاهدها الارباب سطا سحرها على القلوب وخلبت مفاتنهـــا الالباب ، فزُلزِل اولمبس من بزوغها وارتجّت الارض والسماء ، واندفعت الامواج من مرابضها الى قلب الفضاء . ولما رآها آرس بسلاحها ، خشي في شخصها منافسةً عنيدة . وبعد فترة من الزمن ، اشتدّ الحسد في قلبه لاسيما بعد ان عرف بأسها الشديد ، وجعل يقرّع اباه قائلاً : « لقـــد انجبت ابنة حمقاء ، همّها التخريب والاساءة ، وهي ممعنة في العصيان والجسارة ، بينما ننقاد نحن لكل إشارة وانت موافقها على غيّها ، ولا تردعها في كبيرةٍ او صغيرة . »

٥ - اشتهرت أثينا عندهم بالبطش والقوة ، وقد أدّت لأبيها في حرب العماليق اخطر الخدمات وأجلها . ممّا زادها حظوة في عينيه ، وضاعف حبها في قلبه . فقد اجهزت على بَلاسْ ، احد الجبابرة الصناديد الذين نازعوا أباها الملك وسلخت جلده ، واستمدّت منه درعاً واقية . وحملت بمركبتها وجيادها الاربعة على العملاق أنْسكِلاذِس ، وفتّت في عضـــده وكبلته بسلاسل الخزي تحت جزيرة صقليّة . وانبرت لآرس إله الحروب ، مختالةً على مركبة ذِيُمِيـيْذِس وصرعته بضربة رمح ، لمّا عادت اهل أطرُوادة وناصرت شعوب اليونان .

٦ ـ واذا اشتهرت بالفروسية والمفاخر الحربية ، فقد ذاع صيتها لمهارتها في الصناعة والحياكة وبعض العلوم او المعارف المفيدة . فقد اطلعت اهل القيروان على فن ترويض الخيل وبينت لارِخثُونيُس كيف يَشدّ الخيل الى مراكب الحرب ، واشرفت على بنــاء سفينة أرْغو ، وركّبت دولاب الخزاف ، وصنعت الاواني الاولى ، وعلّمت النساء الغزل والحياكة . وقد لجأت اليها هيرا لتطرز لها ثوباً بديعاً فاتناً . فقد كانت مغرمة بفنها هــذا ولا تقبل فيه لها منافساً .

ويُحكى أن فتاة من لذيّا اسمها أراخْني ــ او عنكبوتة ــ مهرت في ذلك الفن ، وفاقت كل فنانة اخرى ، حتى تحدّت أثينا نفسها . ظهرت لها الإلهة بهيئة عجوز وحرّضتها على العدول عن تحدّيها الذي لا يليق . ولما أصرّت الفتاة على موقفها ، بدت لها الإلهة كما هي ، وقبلت مباراة الفتاة . فرسمت أراخني موضوعاً دقيقاً ، يتناول غراميات الآلهة ومضت تطرّزه باتقان . ولما فرغت من عملها الفني عرضته على ندّتها أثنا . فأ كبت الالهة تنعم النظر فيه ولما تأكدت انه لا عيب فيه ، حنقت وأحالت اراخني الى عنكبوتـة ، تفرز الخيطان من جسمها وتحيكها في حركة دائمة .

٧ ــ وقد عزوا اليها اختراع المزمار . وذلك ان الإلهة أثنا بعد أن قتلت الغرغونة مِذُوسا ، ارادت ان تصوّر زفير الهولة القتيلة . فاستنبطت تلك الآلة السمجة . وانبرت في محفل الآلهة تنفخ فيها بحماس . ولما رأى الآلهة خدودها منفوخة علقوا يهزؤون ويسخرون . فحنقت أثينا ونرفزت ورمت بتلك الآلة البشعة . ولما التقطها الصَطَر مَرْسِيَّس اقتصت منه الإلهة بشدة .

ويقال ايضاً ان أثنا بعد قتل الغولة مِذُوسا ، تلقّت دماءها في وعاءين ، وأهدتها لأسكليبيُوس . دم الوريد الأيمن في وعاء ، ودم الوريد الأيسر في وعاء ، لأن الأول يعيد الى الحياة والثاني يورد مورد الموت . وقد أحيت هكذا المهندس امْنيسِكليس بعد ان وقع من شاهق ، وهو يشرف على بناء الأروقة التي تجمل هيكلها في أثينا .

٨ - وعطفت أثينا على المدن كما عطفت على الشعوب . وكل شعب حوى تمثالاً لها أو لصديقتها المحبوبة بَلاس ، كان لايقهر في الحروب . ولهذه التماثيل الصغيرة روايات ، منها أن أثينا ذات يوم كانت تلاعب بَلاسَ ابنةَ مربّيها أثْرِ تونيُس، فقتلتها دون ما تعمّد . وشق عليها الأمر كثيراً ، فنحتت في جذع شجرة تمثالاً لحبيبتها الراحلة ، يمثّلها أفضل تمثيل . ووضعت التمثال امام زِفس ، فألقى به زِفس على أرض إيْليُن . وبنى له إيْلُسُ هيكلا ، فكان حرزاً ووقاية منيعة للبلاد . ولم يستطيع اليونان ان ينالوا من عزّة اطروادة ، حتى سرق أذِسّفْسُ وذِيُميذس ذاك التمثال الغالي ، فانخلع قلب أهلها ، وسطا عليهم اليونان ونكبوهم أيّة نكبة .

٩ - أحبت أثينا اليونان ، وفضّلت منهم شعب أثينا . فهي الهتهم المعبودة وشفيعتهم المشفّعة ، وباسمها دعيت مدينتهم . ومن أفضالها الكبرى عليهم هبتها لهم شجرة الزيتون . وذلك انها تنافست ذات يوم هي وبُسيذُون إله البحار ، وطالبت امام كيكْرُبسَ ، أول ملك على أثينا ، بحماية الأتيكي كإلهة خاصة وشفيعة ، فضربت الصخر برمحها وانبتت شجرة زيتون . وأما بُسيذُون فأخرج من الارض برمحه المشعب جواداً شامساً . فنصرها الآلهة لدى التحكيم ، على خصمها . وغدت هكذا لأثينا شفيعةً محبوبة ونصيرة.

١٠ - وهي في نظرهم ، إلهة الحرب وإلهة السلام العادل أيضاً . إنها إلهة الذكاء والفهم ، وطائرها المفضل هو البوم ، لأنه يخترق الليل بنظره الحاد، كما يخترق الذكاء ظلمات المجهول وديجوره . وهي علاوة على ذلك إلهة العمل كما رأينا ، وإلهة الفلسفة والفنون الجميلة والآداب . وفوق هذا كله فهي عندهم الالهة العذراء الطاهرة . وقد دعوا هيكلها في رأس مدينتهم البَرْثَنُون أو هيكل العذراء شاده لها ابن هيْفِسْتُس إرِخْثِيفس،عندما تبناه كِيكْرُبْسُ واضحى ملكا على أثينا ، اعترافاً بفضل الالهة التي حدبت عليه وربته واعتنت بأمره .

١١ - وقد أقام لها أعياداً ، أشهرها الأثينيْنا . وقد نظّمها بعده ثِيسِفْس ، وأطلق عليها اسم بَنَا ثِينَيْنا ، اي أعياد أثينا الحافلة ، يشترك فيها كلّ الأثينيين في تطواف فخم، وألعاب مختلفة فروسية ورياضية ،وحفلات أدبية روائية وشعرية وموسيقية . وكانت هذه الأعياد الكبرى تقام كل أربع سنوات ، وتجري فيها مباريات ومنافسات في الرياضة والرواية على تعدد أنواعها . ويهبون المنتصرين فيها جوائز مختلفة ، من جملتها أكاليل من ورق الزيتون ، وقوارير من الزيت المقدس .

١٢ - ويزفّون للالهة في تلك الاعياد البِبْلُس الشهير ، وهو رداء فضفاض جميل وثمين جداً ، تعنى بحياكته وتطريزه فتيات شريفات في أثينا مدة أربع سنوات ، ليكون جاهزاً في أعياد أثنا الحافلة . وبعد إنجازه كنّ يضعنه على سفينة سحرية ، تموج على اليابسة بجهاز سري . وغبّ عرضه على تلك السفينة ليرى الجميع مآثر الالهة مُطرّزة عليه ، ويقرأوا أسماء الأبطال الذين حمتهم ، ومشاهير الرجال الذين اغاثتهم،يحملنه من الكِرَمِيكُوس وهو محلّة كبرى

في اثينا ، مزدانة بالهيا كل والاروقة الجميلة والملاعب والمسارح ، يأخذنه إذن ويصعدن به في موكب فخم الى البَرْثِينون في قمّة المدينة ، وهنالك يقدمنه للالهـــة العذراء .

١٣ - وكما خصت الشعوب برعايتها وعطفها ، خصّت الابطال أيضـا بعونها وحمايتهـا . وقد دافعت عنهم ، لأن هيرا قستهم وتحاملت عليهم ، كما قست أمهاتيهم وتحاملت عليهن . فلمّا باشر هيرَكْلِيسُ بن زِفس وأَلْكمِينِي أعماله المجيدة ، لزمته أثينا وناصرته وبلّغته الهدف . فهي التي أعطته صنوجاً من نحاس زجر بها طيور بحيرة اسْتِيمْفَلُس . وهي التي رافقته الى الجحيم عندما قمع فيها كلبها الشرس وحارسها كِيرْبِيرُس ، وجاء به الى الارض . وهي التي في نهاية مطافه ، استقبلته على أعتاب السماء ودخلت به محفل الآلهة . ولذا اعترف البطل بفضلها وقدّم لها كآي شكرٍ واكرام ومحبة ، تفاحَ الذهب الذي جناه من حدائق المغربيّات في أقصى المغرب .

١٤ - وحمت أثينـــا بيرْسِيفسَ بنَ زِفس ودَنَاءي ، في حملته على الغُرْغُونِيس ، ولما حوّل نظره عن الهولة لئـلا يستحيل الى حجر ، سدّدت أثنا يده ليحزّ عنق العجوز البشعة ، ويقطع رأسها الثعباني . وقـــد أهدى في ما بعد الرأس المخيف الى ربّته ونصيرته ، فوضعته على ترسهـا لتجمّد وتيبّس كل من ينظر اليه .

وأصلُ العداء بين أثينا وميدُوسا احدى العجائز الثلاث ، ان هـــذه خلافاً لأختيها كانت على شيء ساحر من الجمال ، فاحبها بُسيدُوْنُ ابهائها ورونق شعرها الطويل . فاستحال الى عقاب وخطفها ، ووقع بها في احد هيا كل أثنا وعرفها هناك . فاشمأزت الالهة صاحبة المقـام ، وفي سخطها على انتهاك قداسة

المكان المقدس ، جعلت سحنة ميذوسا منكرة شنيعة هائلة . واحالت شعرها الجميل الى حيايا زافرات .

١٥ - وساعدت اثينا فيلِرُفُوْنَ عندما وطّد العزم على قتل خيمِيرا ، تلك الهولة الضارية التي لها من الاسد رأسه ومن تيس المعز جسمه ، ومن التنّين ذيله . وهي ترمي بالحمم من فيها والشرر من عينيها . فاهدت الالهة بطلها لجاماً من ذهب ، ليمتطي به بيغَسُس ، ويُجهز على الوحش المفترس .

واخيراً درأت المخاطر عن أذسِفْسَ في عودته من اطروادة الى إثاكي موطنه . ولما تاه في البحار زمناً طويلاً ، ومضى تيلِيمَخُس في طلبه ، بدت الالهة في هيئة مِنْتُرَ الحكيم ، وسدّدت خطاه الى مقرّ ابيه المفدّى .

١٦ — ولم تُبدِ اثينا لاصدقائها من البشر تلك العناية وذلك العطف إلاّ لكرم اخلاقها وطيبة قلبها . ولم تنسق الى ذلك بعامل الهوى او الشهوة المنحرفة المسيطرة على الآلهة والبشر . لأنها وحدها بين سكّان السماء اغرمت بالطهارة كما أغرم غيرها بالعهارة ، وحافظت على البتولية بكل حرص محافظتها على انفس الكنوز واكرم الجواهر واقدسها .

ولذا بينما كانت تستحمّ ذات يوم مع وصيفة لها من الجن في احدى البحيرات ، مرّ بها اتفاقاً العراف تِرِسيِسْ . ولمّا ابصرها بلته الالهة بالعمى ، لغلطة لا تعمّد فيها . وعبثاً تدخلت الجنية خَرِكْلُو في الامر ، وطلبت العفو عن العراف البائس ، فلم تلن الالهة ولم ترجع عن قرارها ، ولكن نظراً لحسن نيته منحته روح العرافة : فغدا مكفوف البصر مرهف البصيرة .

١٧ - وشغف هيفيستس بأثنا اخته وراودها كثيراً وحاول جرها الى مأربه . ولكنها كرهته واشمأزت من مناوراته . وذات يوم قصدت مصنعه والتمست منـــه بعض الاسلحة ، فامسك بها وشاء اغتصابها . فهربت مُغضَبة مهدّدة صاخبة ، وأبدت له كل ازدراء ونفور . لكن الاله الاعرج لحق بها وكاد يكرهها . فدافعته ومنعته اخيرا ولم يقض منها وطرا ، بل افسد على الارض الجدّة الكبرى ، فولدت له في الاوان إرِخثُونِيُس . فأخذته اثينا وعهدت بتربيته الى بنات الملك كِيكْرُبْس . لكن الالهة دفعته اليهن في صندوق ، وامرت البنات الثلاث ان لا يفتحن الصندوق . فتقيّدت واحدة بالامر ، وأمّا الاثنتان فحداهما الفضول الى فتح الوعاء . ولما رأتا ثعباناً ملتفاً حول الرضيع اعتراهما الجنون فطوّحتا بنفسيهما من اعلى الحصن في رأس المدينة . وأما الولد فقد شبّ وترعرع وملك بعد كِيكْرُبْسّ على أثينا ، وحوّط إلهته المحبوبة وحامية طفولته ، بالتجلّة والعبادة والاكرام .

الفصل الخامس

أپولن
اله النور والفن

§ ١ - مولد أبُولّن وتأسيس هيكله في دِلْفِي

١ ـ لا يُعرف بالضبط شيء من اصل اسم هذا الإله . وهو عندهم ابهى الآلهة واكثرهم ضياء ورونقاً واشعاعا ، ولا عجب لأنه إله النور وضياء الشمس ، ولا اختلاط له بجرمها او امتزاج ، لأن الشمس كنجم أو فرقد سماوي اله خاص ، يدعى هيلْيُس ، يركب مركبته ويجوب اجواز الفضاء وينير الأرض والسماء .

وبما أن أبُولّن اله الضياء ، فهو الاله الذي يميت ويحيي ، مرسلاً سهامه كأشعة الشمس . وهو إله الزرع والضرع ينمي النبات ويحمي القطعان : اذ يقتل الجرزان والحشرات الضارة بالزرع ، ويقصي الوحوش الضارية الفاتكة بالضرع .

انه اله العرافة خصوصا والإنباء بالغيب ، وأشهر معابده في جزيرتي دِيلُسْ و تِينِيذُس ، وفي مدينة اكْلارُسْ ، من اعمال إيُنيّا ، وبَاتَرا في

لِكِيّا ، وتلّة بَلَتِينُس في روما ، و كيِثيري من اعمال كَمْبَانيا وذِلْفِيه من اعمال فُكِيس .

٢ ـ ففي تلك المعابد كلها، ولا سيما في معبد ذِلْفِي ، كانوا يستشيرونه ويستمدّون منه العون والتأييد ، لمباشرة اعمالهم الخطيرة ، من رحلات وحملات واستعمار ارض ، وبنيان الصروح والعمارات ، ووضع الشرائع والقوانين . ومن ثم فقد عدوه اله البنائين واله البحار ، وعلاوة على ذلك كله، فقد كان اله الموسيقى ، واله الطرب والغناء ، يضرب على القيثار او الناي ، ويبهج مع جوقته مجالس الآلهة وولائمهم .

٣ ـ ويزهو أبُولُّنُ بين الآلهة بجماله الرجولي ، كما تزهو أثينا أو أفرُذِيتي بالجمال الانثوي . تصوّروه بهيئة شاب بهيّ الطلعة نقيّ المحيا ،أجرد ذي شعر طويل يداعبه النسيم ، وتمثّلوه تارة عارياً وطورا مرتدياً جلباباً موشّى ، والقيثارة بيده أو الى جانبه . شاراته الرمزية القوس والجعبة وعصا الرعاة والقيثار . وحيواناته المحببة التمّ والباز والعقاب والغراب ، والديك والصرّار والذئب والأفعوان . أما النباتات التي تسره فهي الدِلْفة والزيتونة والنخلة والطرفاء .

٤ ـ أمه لِتُو البيضاء ابنة كيئُس وفيبي ، وقد عاشرها زفس وصاحبها قبل اقترانه بهيرا أمّ الخفّ العسجدي . هذا مازعمه هسيئُذُس وهُومِيرُس ولكنهم صوروها في مابعد كسريّة لزفس ، وقد نكّلت بها هيرا تنكيلا ولاحقتها واضطهدتها .

فلما حملت لتُو بعد مخالطة زفس ، ودنا وقت وضعها ، رامت لها محلاً لائقاً لتضع ابنها الالهي . فسألت بقاعاً كثيرة الواحدة تلو الاخرى واستأذنتها بذلك . لكنها كلهـا رفضت على رحبها واتساعها ، تحسّباً من سخط هيرا . وهكذا لا الأتِـكي ولا إيڤيا ولاثر ّاقية ولا جزر البحر قبلت أن تؤويها . ولم يوجد أخيراً غير أستيرِيا اختها لتجرؤ على ضيافتها . وذلك أن ّ أستيريا عندما لاحقها زفس ، استحالت اولاً الى سمّنة ثم الى جزيرة جميلة .

ه ـ قرّت عصا الترحال بلِتُو في جزيرة ذِيلُس العائمة على وجـه الغمر ، ولكن صعوبـة كأداء كانت تعترض ولادتها . لأن هيرا اقسمت بنهر استِكْس ّ، أن ّ منافستها لن تلد الا في الظلام . فنصب بُسِذُون مياه البحر كقبّة فوق الجزيرة ، ودعم الجزيرة بأربـع اعمدة ، اذ مابرحت تموج حتى بعد ان شدّها زفس الى القاع بسلاسل من الماس .

ولم حُم ّ الأوان حضر الآلهة ليساعدوها في الولادة ، وتخلفت هيرا وحدها واستبقت عندها قابلة الآلهة إليِثْيا ، تسعة ّ أيام وتسع ّ ليال . ولتو تعاني في تلك الغضون آلام الطلق المبرحة ، حتى اشفق عليها الآلهة ، فانطلقت إيرِس سفيرة الخالدين وصـديقة هيرا ووصيفتها ، ونجحت في وساطتها ، واحضرت القابلة المتخلفة . « وعندئذ أمسكت لتُو بجزع شجرة ، ووطئت بركبتيها المرج الاخضر وابتسمت لها الارض تحتها ، وطفر أبُولّن الى النور . فصاحت الإلاهات من الفرح ، وأخذت ِفيبُس ّ المتألق ، وغسلته بماء مترقرق في صفاء البلور وألبسته ثوباً ناصـع البياض ،وشددن خصره بحزام من نضار (١)

ه ـ (١) من نشيد يعزى لهومرس

وبعدما وضعت مولودها الذكر ، عادت وأعقبته باختٍ له هي الإلهة أرْتِميسُ أو ديانا عند الرومان .

٦ـ بعد مولد أبُولّن وأرْتِميس ، خافت لِتُو مكايد هِيرا الثائرة ، فهربت الى بلاد التِرْمِيتْ ، في لِكيا احدى مقاطعات آسيا الصغرى الى جنوبها الغربي . ولما افضت الى ضفاف بحيرة صافية الأديم ، وقد بلغ منها الضنى والتعب كل مبلغ جلست على شاطىء البحرية ، في ظل شجرة وارفة والتمست من رعاة هبطوا بقطعانهم الى البحيرة ، قليلا من الماء تروي به غليلها . فما اكتفى الاوغاد بالرفض ، ولكنهم اقبلوا على المياه العذبة يعكرونها ويثيرون اوحالها الراكدة . وعندئذ استشاط غضب الالهة ، فاحالتهم وقطعانهم الى ضفادع حقيرة تنق في الغسق على ضفاف البحيرة .

٧ وأبولن في صغره ، لم ترضعه أمه ، خلافاً للأطفال الآخرين . لان ثميس جدته مسحت شفتيه الناعمتين برحيق العنبر ، واطعمته النكتار طعام الآلهة . فرمى بقمطه جانباً ، وأحرز قوة اليافعين من الرجال ، وما عتمّ ان استعملها في قتل بثون تلك الانثى الرهيبة من الثعابين ، وقد ولدتها غيئا الجدة الاولى ، لتحضن تِيفُونَ التنينَ الضاري .

كانت هيرا في اتقاد غضبها قد قررت ان تغتال لِتُو عدوتها الكبرى ، فاطلقت بِثُونَ من جحرها لتهجم على لتو وتنفث سمها في اعضائها الغضة ، وتميتها وتقتل معها ولديها . ولكن بُسذُونَ حماها وطفليها ، فارتدت الحية الى سفح جبل بَارْنَسُسْ ، فاشلة خاسئة هي والتي أرسلتها .

٨ ـ وما كاد أبولن يبلغ اليوم الرابع من عمره ، حتى تشدد وترعرع فهب كالشبل وانطلق يبحث لنفسه عن مكان يشيد فيه هيكلا ليعبده الناس .

فتسلح بما سن له هيفستس من سهام ، واندفع يجوب الآفاق ويقطع البحار ، حتى بلغ وادي اكـرِسّا . وهناك اشارت عليه جنية اسمها تلفوسا ، رامت المحافظة على مقاطعتها ، بان ينحدر في فجّ من فجوج بارنسس الموحشة ، كانت تأوي اليه الحية بثون . وعندما رأت الأفعى الضخمة الإله ، انقضت عليه بضراوة . ولكنه بسرعة البرق رشقها بأحد سهامه المحرقة ، فصعقت في مكانها. ولما استعادت شيئاً من القوة ، انسابت الى اجمة قريبة ، وجعلت تتلوى من الألم الكاوي ، وما عتّمت حتى لفظت انفاسها القذرة ، وسط نهر من الدماء . فجاء الاله الطفل وركسها برجله ، قائلا : « إفطسي الان حيث انت بالثيمة ، لانك تحاملت على من لا ذنب له . فليهلك مثلك كل رجس شرير » .

قال ثم اعتزل في وادي تمبي ، في مقاطعة تسليا ، ليكفر عما لحقه من نجاسة ، في مقتل الافعى بثون . ولما قضى سنة التكفير عاد مظفراً يواكبه رهط من كهنة الأرض ، الى مقامه المفضل الى خليج ذلفي . وقد مثلوا انتصاره وتكفيره ، في عيد ستبتيريا . وقد أقاموه كل تسع سنين .

٩ - ولما إختار تلك البقعة الوادعة ، بنى لنفسه مذبحـاً في غابة ظليلة مقدسة . ثم علا هضبة وراح يسرح بصره الى طرف الأفق ، فوق اللجة اللازوردية ، المتألقة بأنوار الأصيل ، المشربة من ضيائه الفسجدي . وإذ لم يكن له من يشرف على هيكله وشعائر عبادته ، رأى على الغمر السحيق ، مركباً يتهادى فوق اللجة . فدنا أبولن من السفينة ، بهيئة ذلفين وديع ، وإرتمى على جسرها بين النوتية . فلما رأى البحارة الحوت الصغير بينهم ، جزعوا وأخذهم الذهول . وقفز الحوت الى البحر ، ولم ينقد المركب بعد للقبطان ، بل شرع يسير وراء الذلفين ، الى أن بلغ الشاطىء . وحينئذ تجلى لهم أبولن بجماله الالهي ،

وأقامهم سدنة لهيكله ، وكهنة يشرفون على عبادته . وكرّمهم إكرامـــاً وأسبغ عليهم فيضاً من الخير والنعم .

١٠ ـ وخصّ بعنايته كاهنته العظمى ، التي دعيت باسم بثونسا نسبة الى الأفعى بثون . لأنه بعد مقتلها ، سلخ جلدهـا ولفّ به منصباً ، كانت تجلس فوقه كاهنته العرافة . وقام هيكل أبولن في دلفي ، الى جوار كهف مشقق ، عميق الشقوق جداً . وبين الفينة والفينة كانت الأبخرة تصعد من تلك الشقوق ، فتجلس بثونسا فوق منصبها ، ويستولي عليها روح العرافة ، وتأخذ تتنبأ في سيل من الكلام الغامض المتقطع ، يلتقطه الكهنة ويضمون أطرافه ، ويؤدونه جواباً لمن يسألهم عن الغيب ، من الحجاج والزائرين .

٢ § ـ بطولة أبولن ومقامه السامي بين الخالدين وعبوديته

١ ـ عرف أبولن بمآثر جليلة ومفاخر كثيرة . فاذا رمى الهدف بنباله فهو لا يخطىء . وتطـاول مرة إفيالتس وأخوه أوتس على هيرا وأرتميس ، وعزما على اختطافهما للاقتران بهما عنوة . وجدداً محاولة التيطان ، وقصدا فتح أولمبس وشرعا ينقلان الجبال الى الجبال ، ويركمان التـــلال فوق التلال . وإذ شعر الخالدون بذلك ، إنبرى أبولن للغاويين الفاحشين ، ورشق كلا منهما بنبل قتال ، فأحبط المؤامرة الجريئة ، وصد الجبارين عن قصدهما . وعلم أبولن ذات يوم ، أن العملاق تيتيس تجاسر على والدته لتو وتال من شرفها ، فأجهز عليه في ثورة غضبة ، وأعدم السفيه الحياة .

٢ ـ وسطا على ممر يؤدي الى دلفي جبار شديد اسمه فترقاس ، ما انفك يسلب الحجاج زادهم ، ثم يدعوهم الى المبارزة ، فيصرعهم وينكّل بهم ويقتلهم .

فتصدى له الاله بهيئة مصارع ، وقضى عليه بلكمة على أنفـه افقدته النسمة .

واشتبك يوماً أبُولـّن مع هِيرَكْلِيس ، لأن البطل المغوار سأل العرافة عن أمر فلم تستطع تبيانه . فحنق ابن زفس وحمل منصب العرافة ومضى به . وبينما هو في الطريق ، عارضه أبولن ، ورام انتزاع كرسي النبوءة . وحميت المعركة بين أبولـّن وخصمه القهّار ، حتى تدخل الوالد في الامر وراضى هذا وذاك وأمّن الصلح بينهما .

ولما اعتدى أغَمِمْنُنْ تحت أسوار إيلِيُنْ على كاهنه أخْرِيْسِيسْ ، سلـّط أبولـّن نباله مدة تسعة أيام على جنود أغِمِمْنُن ، وانزل منهم فيالق الى دياجير الجحيم .

٣ — ونظراً لكماله السامي وجماله السابي العقول ، احتلّ أبُولـّن في السماء مكانة مرموقة عالية ، وعطف عليه أبوه زفس ، وحوطه بدلائل الاكرام فان دخل مقرّ الآلهة ، نهض له المحفل كله ، واقبلت عليه لِتُوأمّه ، وانتزعت منه الجعبة والقوس ، وعلقتها باسطوانة العرش . وبش له ابو الآلهة وقـدم له باكبار ، العنبر ورحيق النكتار ، في كأس من الذهب النضار .

الا ان رب الارباب فرض على ابنـه المحبوب عقوبة قاسية شديدة في ظرفين أليمين ، تمرّد فيهما أبُولـّن وعصا أوامر القدير .

٤ — ذلك أنّ أبُولـّن تحزب لعمّته هيرا ، لمـّا نقمت على زوجهـا لامعانه في الخيانات ، والبت عليه الآلهة . فقضى زفس على بُسِدُون وعلى ابنه أبُولـّن ، ان يخدما مـدة عام ملك اطروادة لَوْمِيدُن . فكـُلّف اله البحر ببناء الأسوار ، وعُهد الى الاله الراعي برعاية القطعان . ولما انصرم زمن الخدمة ، امتنع الملك لَوْمِيدُن عن أداء الاجرة المستحقّة . فسلـّط أبُولـّن

وباء على رعيـة الملك ، وسلّط بُسيذُون تِنيناً على الحيوان والبشر ، فهلك أناس كثيرون في جشع ملكهم الشرير .

٥ - وغضب ابو الآلهة زفس، من ابنه أبُولّن لأنه قتل العمالقة الثلاثة الماثلين ، أرغيْس وافرُنْتِيس واستِرُبيس ، أي البرق والرعد والصاعقة انتقاماً لأبنه أسكْلِيبْيُوس . ذلك أن أسكْلِيبْيُوس برع ولمع في الطب ، واتقن كلّ فنونه ، حتى شفى الكثيرين ، وأقام الاموات أنفسهم . فخشي زفس حفيدَه ، وخاف ان يلبث البشر مخلّدين على الارض ، فلا ينحدر منهم أحد الى هاوية الجحيم ، فتقفر مملكة أخيه آذِس . فأمر العمالقة الثلاثة بصنع صاعقة خفية رشق بها أسكْلِيبْيُوس ، ولمّا انتقم أبُولّن ، نفاه أبوه في حنقه وأخضعه لملك فِريتة . فاخلص الاله الخدمة وساعد الملكَ آذْميتس ، وسهل اقترانه بألكيستيس ، ابنة بيليس احد ملوك تِسّاليا ، اذ علمه كيف يروض الوعل والاسد ، ويشدهما الى عَجَلة ، وهذا هو الشرط الذي فرضه الملك ابوها على من رام خطب ودّها .

٦ - وفي زمن عبوديته عند الملك آذْميتس ، كان أبُولّن يجلس في الغابات ويلعب بقيثاره ، فيسبي السامعين بسحر فنه ، فيقبلون نحوه يصغون اليه بكل انشراح ، من البشر كانوا أم من الحيوان . فتتجمع هكذا حوله وحوش الغاب ، ويخالط النمر الغزال ، والاسدُ وعول الجبال . وبينا هو على تلك الحال ذات يوم ، انبرى له الصَطْرُ مَرْسِيس ، ورام مباراته بزماره ، وقد التقطه بعد أن رمت به أثينا ، واتقن العزف به وبرز . فحكّمت إلاهات الموسيقى وبعض اصحاب الفن والطرب، ومن جملتهم ملكُ افرغيا ميذَس .

فيحكم الجميع لأبُولّن بالتفوّق ، إلاّ مِيذّس وقد حكم لِيمَرْسِيَّس . فبدّل الاله اذني الملك باذني حمار، وعلّق الصَّطَّر المكابر بجذع شجرة وسلخه حيّاً عليها.

٣ § – غراميات أبُولّن

١ – لقد أحبّ أبُولّن نظير أبيه جنيات كثيرات من عرائس الغدران والوديان ، وبشريات كثيرات من بنات الملوك والاميرات . ولا يعرف له قرينة خاصّة ، لأنه كان شاباً طائشاً ، يقتفي آثار والده في تهتّكه ومجونه . ولم يمتنع عن حبّ الشباب انفسهم .

اعتاد أبُولّن ان يصطحب ربات الشعر والموسيقى ، الاخوات التسع بنات زفس وامْنِمُسِينِي . وتلك الاخوات مع الساعات كن يؤلّفن جوقة أبُولّن في حفلات الآلهة . فانجبت له كَلِيُبي ربّة الشعر القصصي والفصاحة ولدين ، ورزق من ثَلِيّا ربة الشعر الهزلي الكُرِيفَنْتِيس ، وهم كهنة رِيئا ابنة غِيئا الجدّة الكبرى اي الارض . وولدت له تِيرْبْسِيخُورِي ربّة الشعر الغنائي والرقص لِينُسَ ، واضعَ أصول النغم والايقاع . وتصدّى يوماً لِينُسُ لابيه في فنّه ، فقتله ونصبوا له تمثالاً على جبل هِلِكُون ، وكرّموه اكرامهم احدى ربّات الشعر والفن .

٢ – وبعد هؤلاء ولد لأبُولّن مواليد كثيرة من الجنيات . ولكن عرائس الوديان أو الغدران لم تكن جميعها تنقاد له على جماله الاسمى . وقد جابهته هذه أو تلك بمانعة جافية عنيفة .

ففي أيام عبوديته عند آذمتيس ، لقي ذات يوم على ضفاف نهر بَنِيئُس جنية بديعة . ففتنته حسنها ورام ان يصادقها ويقترن بها . فقالت له : « ان النهر أبي

قد خطبني لرجل شريف اسمه لِفْكيدُسْ ، ولا سبيل أن آخذك » . ولم تكن دَفْني ابنة نهر ثِسَّلِيّا ، تحب سوى ذلك الانسان . فشق الامر على أبولّن وعزم على الاقتران بهـا عن محبة أو قهراً فتوقع مجيئها الى احدى الغابات واقبل نحوها مشغفاً . ولما شعرت بقدمه أجفلت وفرّت كالنسيم . ولكن الواله المستهام ماعتّم أن لحق بها ، وكادت يداه تلامسها .

٣ – وفي ذلك الضيق الشديد ، دعت من اعماق كيانها امها الارض ، فانفتحت امامها وتوارت ، فأنبتت الارض في مكان اختفاء ابنتها ، شجرة دائمة الخضار . ودعيت تلك الشجرة دَفْني ، او دِلْفة ، باسم حبيبة أبولّن ، فدنا الإله من الشجرة المسحورة ، واخذ منها غصناً وعقده على جبينه إكليلا . ومن ذلك الحين جعل ابطال الالعاب الأُلمبيّة والبيثيّة يتكللون بأكاليل الغار أو الدلف ، وأخذ الناس في زمن الاوبئة ، يضعون اغصان الدلف على اعتاب بيوتهم تيمناً بأبولّن ، والتماساً لحمايته من الأمراض والأرزاء .

٤ وشاهد الإله مرة من المرات ، وهو يتجول في احدى الآجام ، مشهداً غريباً مدهشا . شابة ممشوقة رائعة من الجنيات تصارع أسداً غضنفراً . فهو يصول عليها ويزمجر زمجرة الرعد . وهي تثبت له ببسالة وتلقي ساعديها حول عنقه وتحاول خنقه . فلما رآها أبولّن على تلك الحال ، رشق الأسد بسهم جانبي مزق به جنانه ، واقبل على الفتاة يطري شهامتها ونبلها ورواء طلعتها ، ثم نقلها على عجلة عسجدية الى ليبيا ، فأنجبت له أرسْتيفُس ،

وعرف أبولن من البشريات خيُوني فولدت له فيلمُون . وصاحب ذِيُوني ابنة مينْسُ فأنجبت ميلِتُسْ ، مؤسس المدينة المشهورة بفلاسفتها الفزيائيين . وأحب ابنة ملك أرغُس ، فولدت له ابسَميثي طفلا دعته

إيثُس وعرضته في غاب خوفاً من ابيها اكْرُتُبُس ، حيث افترسه الذئاب ..
ولما علمت بذلك حزنت حزنا عميقاً ، فضحت بــــه حالها . فحكم عليها أبوها
بالموت . وضرب الاله مدينة أرْغُس بطاعون فتاك ، لم ينفكّ عن البلاد شره،
حتى نفي الملك الظالم .

٥ – ولأبولّن مـع كَرُوني مغامرة اليمة كلها شجو وأسى .
فتلك الأميرة ابنة ملك ثيبة رآها أبولّن تلعب في مرج مـع وصيفاتها ،
فأحبها وعاشرها وتوثقت أواصر المودة بينهما، الى أن حبلت بابنها أَسْكْلِبْيُوس ..
وتعرفت كُروني على أمير من أركذيا ، وقبل أوان ولادتها بقليل، تزوجت
من ذلك الامير . فأسرع الغراب وأخبر أبولن . فلعن الاله رسول الشؤم ،
فاسود ريشه من ذلك الحين ، وأصبح للبشر نذير سوء . وعهد الاله الى
اخته ديانا أن تقتص من خليلته الخائنة ، فقضت على كروني وزوجها ،ونضدت
حطباً للمحرقة واصعدت جثتيهما فوقـه . ولما أخذت كروني تحترق ، جاء
أبولّن وانتشل الجنين ، وعهد به الى الصطر خيْرُن ، فأقام عنزة لترضعه
وكلبا ليسهر على حراسته فنما الرضيـع وتعلم خصائص الاعشاب والنباتات،وغدا
اكبر طبيب عندهم ، ونُقل الى مصف الآلهة .

أما افْلِغْيَس والد كُروني . فقد زحف بجيشه الى مدينة دِلْفي ،
واحرق فيها هيكل أبولن . فرماه الاله بنباله المهلكة ، ودهوره الى ظلمات
تارترس، حيث علق فوق رأسه صخرة ضخمة رهيبة ، تهدده دائما بالسحق والسحل .

٦ - كانت اكْرِنُوسا ابنة إرِخْثِفْس . فخرجت يوماً الى حديقة
في جوار الأكْرُبُولِس ، وانصرفت الى قطف الزهور. فلاقاها أبولّن وخلا

بها في مغارة . ولما رزقت ابنها إيُن . أوعز أبولّن الى اخيه هيرميس ،
بأن يحمل الصبي الى هيكل ذلفي ، ليربى هناك ويكهن للاله .

وتزوجت امه في تلك الاثناء ، اكسوتس بن هيلين . ولبثا عقيمين
زمنا . فقصدا معبد ذلفي وسألا العرافة : « هل ينجبان اولادا ؟ » فأجابتهما :
« أول ولد تلقيانه لدى خروجكما من عندي يكون ابنكما . فلما خرجا وجدا
إيُنَ الصغير على مدخل الهيكل،فعانقه اكسوتس وتبناه . أما اكرثوسا
فلم تقبله ولا استلطفته ، بل حاولت تسميمه ، ولكن البيثونسّا العرافة
تدخلت في الامر وعرفت الاميرة على ابنها من أبولّن . وانبأت اثنا ابن
هيلين أنه سيولد له ولدان ذورس وأخيئس ، فيمسيان مع إيُن آباء
الشعوب اليونانية .

٧ — وصاحب أبولن اميرة اسمها ثِرينا، فأنجبت له ابناً دعاه ككنس.
وصادق ككنس رفيقاً له كان يخرج معه الى الصيد . ثم أعرض فيليُس عن
خليله ككنس فارتمى هذا في بحيرة واختنق . ولما رأته أمه على تلك الحال ،
زجت بنفسها في البحيرة وماتت . فأحالهما أبولن الى تمين جميلين ، وعرف ذلك
الطائر عندهم باسم ككنس .

وأغرى أبولن كريني ، فولدت له إذمون وهو أحد الذين اشتركوا
في رحلة السفينة أرغو . وخصه ابوه بروح العرافة ، كما خص بها ابنه يامس من
خليلته إفذني ، فأصبح أصل سلالة اليميذه في ألميا .

٨ — ومن الأميرات الصغيرات اللائي مال اليهن أبولن كسّاندرا ابنة
ابريمس ملك اطروادة ، وقد ضاهت بجمالها أفرذيتي. ففي حداثتها تركت مرة

في هيكل أبولن ، فالتفت الحيات حول جسمها ، وجعلت تلحس لها أذنيها ، ولقنتها لغة الآلهة ولغة الحيوان والنبات . وبعد ان شبت الاميرة ، هام بها الآله أبولن ، ولكنها هي لم تمل اليه . وأغراها بروح العرافة فضلاً عما تعرف من لغات عجيبة . فوعدته حينئذ بنفسها ولكنها أخلفت بالوعد . واكتفى الواله المتيم بأن يحظى منها بقبلة لاغير ، وفيما هو يقبل فاها سحب منها قدرة الاقناع . ومنذ تلك القبلة المشؤومة عدها الناس معتوهة ، ولم يصدقوا قط إنباءها بالغيب ، ولا تحذيرها من وقوع البلايا (١) .

٩ — واستمال أبولن جمال الفتيان . وله معهم شؤون وشجون . فلقد شغف الاله بكبارسس . وكان لهذا الفتى وعل فقتله عن غير تعمد ، وحزن عليه حزناً شديداً . فأحاله الاله الى سروة .

وعلق ايضاً هياكنثس ابن ملك لكنيا أمكلاس . وكان غلاماً لطيفاً ناعماً ، أحبه فريئس ريح الشمال ، كما تودد اليه النسيم زيفرس . ولما رأى كل منهما أن أبولن قد استأثر بالفتى ، ملأت الغيرة قلبيهما . فبينا كان أبولن يلاعبه ذات يوم ويعلمه رمي القرص ، حوّل الشمال اتجـــاه القرص ، فضرب صدغ الغلام المحبوب ، وسقط صريعاً يتخبط في دمه ومن النجيـع المهراق على الارض نبتت زهرة فاتنة فريدة ، دعيت باسم الفقيد الغـــالي ، الذي رُفع الى رتبة الخالدين . وفي بلاد لكـنيا كانوا يقيمون عيداً سنوياً ، لذكرى الاله وحبيبه المعبود ، يقضون اليومين الأولين منه في الحداد وتقديم ذبائح الموتى ، واليوم الثالث يقضونه في الفرح إشادة بانتقال هياكنثس الى الملأ الأعلى وعالم النجوم . وكأنهم رمزوا بذلك الى أن الموت فترة عابرة ، تليها حياة البقاء والخلود . وفي حفلات اليوم الثالث كانت الفتيات الشريفات تركب العربات المزينة وتشترك في المآدب الفاخرة .

---

٨ - (١) راجع سيرتها في الالياذة .

الفصل السادس

أرتميس
إلهة الصيد والسحر

أرتميس إلهة من آلهة الحقول . وتتلاقى في ذلك وأخاها أبولن . فهي ربة الصيد وإلهة الغابات . وحيوانها المفضل هو الدب . وهي إلهة النور والضياء، ضياء القمر في الليالي القمراء .

وتحمل القوس والجعبة نظير أخيها ، وترسل نبالها الصائبة المهلكة . ولكنها تغمر بالخير والإنعام كل الذين يكرمونها . وبالاضافة الى امتيازاتها فهي مع إليثيا الإلهة القابلة ، تسهل ولادة من يدعوها من النساء ويستغيث بها .

وبينها وبين أرتميس الأفسسية إلهة الخصب والتوالد بون شاسع . كما أن بينها وبين أرتميس التراقية إلهة القمر والسحر وعالم الموتى بعض الاختلاف .

٢ تكرم أرتميس في أركذيا خصوصاً . وقد عبدوها في كل بلاد اليونان ، لاسيا في اسبرطة وكريا وأثينا وألميا وذيلس . وخصص لها الرومان يوماً من ايام الاسبوع دعوه باسمها . وهو الاثنين او يوم القمر عندهم . وهذا معنى الكلمة اللاتينية التي تقابل الاثنين عندنا(١) . وقد مثلوها بشكل عذراء فتية ،

---

٢ – (١) Lundi أو Lunae die أي يوم القمر .

ممشوقة القامة نحيلة الخصر ذات محيا ناعم القسمات ، وشعر مضفور ملتف حول رأسها ، يحدق بها شيء من الجلال ، يضفي على جمالها رونقاً ومهابة .

وترتدي أرتميس ثوباً قصيراً مشدوداً على الخصر ، لايتجاوز الركبتين. وتحتذي خفاً يشبه البوطين ، سموه كوثُرنس . أما أرتميس الأفسسية فقد لفوا جسمها كله ، ماخلا الرأس واليدين ، بجبة ضيقة وُشحت برؤوس الحيوانات : من أسود ووعول وثيران ، وبرزت أثداؤها الكثيرة ، وتتجاوز الستة عشر. فهذه إلهة الخصب ، وتلك إلهة عذراء انصرفت عن الشؤون الزوجية الى الصيد.

٣ - اعتقد بعضهم ان أرتميس هي ابنة زفس وذميتر ، او ابنة زفس وبرسفوني ، او كريمة ذيونسس وإِزيس . ولعل هذه الرواية تنطبق على إلهة الخصب وإلهة التوالد .

أما أرتميس الالهة القانصة فأبوها زفس وامها لِتّو . وقد ولدت يوماً واحداً قبل مولد أخيها أبولّن في السادس من شهر ثَرْغِلِيُون ، أي شهر أيار ، وهو من اجمل شهور السنة في الربوع الشرقية ، ولم تدع جزيرة أُرْتيغيي ذِيلُس الا بعد ان اضاء أبُولّن على الجزيرة ، فسميت ذِيلُس المشعة .

٤ - ولما علمت أرتميس بعد أيام بنكبات امها وبقصتها مع بيثُون الافعى الرهيبة ، التي اطلقتها هيرا في اعقابها ، لتقضي عليها وعلى توأميها ، ثارت لحن أمها وابتغت الأخذ بثأرها في صحبة اخيها الجبار الرضيع . فحملت معه على التنين الرهيب وشاركته في قتله وسلخ جلده ورافقته ايضا في غربته ايضا الى مقاطعة ثِسّلِيّا لتقضي معه زمن التكفير .

وبعد تلك الفترة ، انتحت أرتميس ارجاء أرْكَذِيّا ، في وسط شبه جزيرة اليونان ، وانقطعت فيها الى حياة ريفية صرفة . ففي تلك الجبال الوعرة ،

وفي تلك الصرود والوديان ، استسلمت الالهة الفتية الى الصيد . وقد مهرت فيه جداً يصحبها ستون جنية من بنات أُكِئَنُوس ،وعشرون فتاة من عرائس الغدران ، يسهرن على ثلّة[1] الكلاب ، ويعنين بها ويطعمنها ، ويقسمن بينها الطرائد والغنائم .

٥ - واذا فرغت الالهة من عناء الصيد ومشقته ، راحت ووصيفاتها تنعم بلذة السباحة ، في الجداول العذبة المنسابة بين الاجام ، او البحيرات الرائعة في الغابات . ولم تستسلم أرتميس الى ملذات الجسد ، كغيرها من الآلهة والإلاهات ، ولا تمتّعت بأطايب الحياة الزوجية . ولكنها اصطفت لنفسها شظف الحياة ، وآثرت التبتل والطهر بعد ما رأت من مكاره أمها ، وفرضته سنة على من رغب في صحبتها ، كما فرضته على كهانها وكاهناتها . وقد ذهبت هكذا كَلِيسْتُو ضحية نزوات زِفَس ، وانزلاقه في حمأة الشهوات . فلم ترحمها أرتميس وقضت عليها بوابل من النبال .

٦ - تتلمذ حفيد كاذْمُس للصّطَر خيْرُنْ ، فدربه على أصول الصيد ، واقتنى لنفسه مئة من الكلاب من ذكور واناث ، وانقطع الى تلك الهواية . واذ ألحّ يوماً في مطاردة ظبي ، بلغ ضفاف بحيرة جميلة ، فوقع نظره على مشهد فتنه ، وراح يتأمل الإلهة أرتميس ، تستحم في تلك المياه ، وتستجم قواها بعد شدة العناء . فابصرته الالهة العذراء وأغضبت لتماديه وجسارته ، فأحالته الى وعل ضعيف . واقبلت ثلة كلابه تعمل فيه العض والنهش ، حتى غدا أثراً بعد عين .

---

٤ - (١) الثلة بالفتح الجماعة الكبيرة من الغنم ، والثلة بالضم الجماعة الكبيرة من الناس . ويقال عمن لا يفرق بينهما : « فلان لا يعرف الثلة من الثلة » .

٧ ـ. ومالت أرتميس الى جبار عنيد يدعى أريُن ْ وصادقته وأحبته .. وكان ذلك الجبار قد ولد من جلد بقرة ، بال عليه زفس وبسذون وهرميس .. فاذا مشى في عمق اليم ، برز فوق الماء رأسه . وقد كان صياداً بارعاً ، وسباحاً فريداً ، وانساناً شهماً ، ذا فتنة وجمال . ولعل الغيرة نهشت قلب ابولن لما راى اخته العذراء تحنو اليه ، وتخصه بالالفة والمودة .

واذ استسلم ذات يوم لهوايتـــه المعتـادة وراح يسبح في عرض البحر ، اقبل ابولن على اخته ارتميس وقال لها : « يا اختي الحبيبة هل لك ان تصيبي بسهم من سهامك التي لا تخطىء ، ذلك الهدف البعيد ، المائج على وجه الغمر ? » وما كان من الإلهة الا ان راشت سهمها ، وضربت الهدف العائم على سطح البحر ، وهي تجهل ما تفعل . فأصابت صدغ أريُن ، وأردته قتيلاً . ولما بان لهـــا الامر جزعت جزعاً مريراً وتالت من ابيها ان يغدو برجاً من ابراج السماء هو وكلبه سيـِيرِيُس ْ .

٨ ـ ويقال ايضا في خبر موته ، انه تطاول مرة على الالهـة وهو يصطاد معها في جزيرة خِيـُس َ ، فأثارت من الأرض عقرباً قتالاً يشول بذنبه ، لسع كاحل أرين فاماته . واتهم بعضهم ابولن انه دهم اخته على مذبحهـــا وفي هيكلها بذيلس . وليس ما يثبت هذا الادعاء ... وقد اجهزت مع اخيها ابولن على العملاق تيتيس عندما تجاسر وغشي امها ليتـُو . كما يحكى انهـا هي التي قتلت ابني ألـُيِـُفـُس َ عندما ارادا اختطافها هي وهيرا قرينة زفس . فاستحالت الى ظبية ووقفت بينهما . ولما قصدا طعنها بالحراب ، تطاعنا كلاهما وقضى كل على رفيقه . وغلبت الحيلة حيث لم تـُجد ِ الحيلة .

٩ — واجبت ارتميس ، نظير غيرها من الآلهة ، ان يحوطها عابدوها بدلائل التجلة والاكبار ، وان يبادروها ببوادر التبجيل والاكرام . وان قصّر مستهتر عن اداء الواجب وتغاضى عن التفخيم والتعظيم ، وتمادى في غلوائه وكبريائه ، ونافس الإلهة او تطاول ، الحقت به فوراً شديد العقاب .

أنجبت خيُوني ابنةُ ذِيْذَلْيُس لهِرميس نجلا ، ولأبُولن نجلا آخراً ودعت الأول أتُولكُسْ ، ودعت الثاني فلمُون .. وتباهت يوماً أمام النساء وفضلت نفسها على أرتميس ، لأن الإلهـــة بقيت عاقراً ، وولدت هي ابنين رائعين . فلما سمعت الالهة كلام الساخرة ، راشت سهما من سهامها النافذة ، وأصمت المكابرة قتيلة .

١٠ — زُفّت نيوفي ابنةُ تانتلس وشقيقة بيليس الى ملك ثيبة أميفيّن ، فرزقت منه سبعة بنين ورزقت ايضاً سبع بنات . وزهت نيُوفي لكثرة بنيها ، وتكبرت على الالهة ليتُو ، وبلغت الخيلاء بها مبلغاً حقّرت معه الالهة الناعمة ، ورامت ان تخصّ دونها بالعبـــادة . فساء الأمر نجلي الالهة . واستسلم ابناء نيوفي الى هوايتهم المعهودة ، واخذوا يتبارون على متون الخيل وفيما هم على تلك الحال ، اذا بنبال خفية تنهال عليهم ، على خيلهم ، وترديهم جميعهم صرعى على الأرض . واذ علا العويل والصياح ، واسرعت الاخوات يندبن عليهم ، أصماهنّ خفيّ النبال ، وسقطن يتضرّجن في الدماء ولبثت الجثث سبعة أيام ، ونيوفي الشقية في ذهول شديد ، ودمعها ناضب لفرط الاسى . فاشفق الآلهة على ثكلها القتال ، وأحالوها الى صخرة صمّاء ، تتفجّر منها مياه الشقاء .

١١ ونسي آذميتُس في حفلة الزواج ، أن يسكب السكب للالهة ارتميس . فلما همّ ان يدخل مخدعه ، راعه حفيف الافاعي ، ولم ينج منها حتى استدرك امره باستغفار الالهة ، والتكفير عن اهماله . ولما فات انفسّ ملك كيلذُوْن ، من أعمال إتِليّا ، أن يقدم بواكير غلته لأرتميس ، سلطت على أرضه هلوفاً ضارياً ، عاث في الأرض فساداً ، وهلكت اسرة الملك في تعقبه ومطاردته.

ولم تكف الالهة عن مقاومة أغَمَمْنُن ، لانه رام منافستها في الصيد فحصرت اسطوله في مرفأ أفِلِيْس ، ولم تطلق سبيله حتى ضحى لها بابنته إفِغينيا لكن الالهة وقت الذبيحة ، اختطفت الفتاة الى تَفْرِيسّ ، لتكهن لها هناك ، واستعاضت عن الفتاة بظبية . وفي ذلك المعبد النائي ، كانت ابنة الملك تشرف على ذبائح الالهة من الضحايا البشرية . حتى قـــدم اخوها أريسْتِيس وتعرف عليها بعد جهد طويل ، ولم تنجُه من الموت المحتوم ، الا بالهرب معه الى الوطن العزيز .

١٢ — وعند الفرار مع أخيها ، حملت تمثال الالهة أرتميس ووضعته في احد أحياء الأتيكي ، المعروف باسم افْرَفْرُوْن . ثم نقل من هناك الى معبد في الاكْرُبُولسّ ، حيث اكرموا الالهة ولقبوها باسم ذلك الحي ، الالهةّ الفْرَفْرُنيّة . وحيوانها المفضّل هو الدب . وقد روضوا احد الدببة واطلقوه في احيائهم . لكنه اهتاج ذات يوم ، وكاد يمزق شابة بمخالبه ، لو لم ينجدها ذووها ويجهزوا على ذلك الحيوان الكاسر . فغضبت أرتميسُ لدبها وسلّطت الوباء على البلاد ، ولم ينج سكانها منه حتى وقفوا بناتهم الصغيرات للالهة أرْتميس . واحيوا تلك الذكرى الاليمة ، مرة كل خمس سنوات ، بعيد افْرَفْرُونيا الجميل ، حيث كانت فتيات أثينا من الخامسة الى العاشرة ، يرتدين ثياباً بلون

الزعفران ، ويطفن شوارع المدينة الى هيكل الالهة في رأس المدينة ، بقرب حصن الاكثر بُولسْ .

١٣ — وعندما يكفهر القمر ، ويكمد لونه ويصفر ، ويخطر في الغمام ويمرّ ، كان الرعب يستولي على البشر ، لان الالهة أرتميس تفقد صفاء محياها اذ ذاك ، وتستحيل الى الهة السحر والهة الشعوذة والتعاويذ ، وتغدو الهة رهيبة ، تضرب عن بعد بالسهام وتبلو بالعقم والوباء . ولذا سميت في تلك الحال ، الالهة هكاتي ذات الوجوه الثلاثة : الفرسِ والكلبِ والخنزيرة ، او الثورِ والكلبِ واللبؤة . وسميت ايضاً إلهة الطرقات ، حيث تُتَيه العقول وتخاف . وكانوا يسترضونهابضحايا بشرية ، ابدلها لِيكُورغُسُ باضاحي حيوانية من الكلاب والظباء والمعز .

١٤ — وتوهمّ بعضهم أنأرتميس الافسسية ، هي الهة واحدة وأرتميس اخت ابولن الالهة الصيادة . غير أن الالهـة الافـسسية الهة الخصب والتوالد ، وهي نظير ذميـترْ او برِسفُوني تمثل الارض بمطاها وخصبها وجناها . وهي الهة كبكازية الاصل ، جاءت بها وبعبادتها امة الامَزُون ، عندما اسست مـدن اسميرْني وايفَسُس وكيمي ومريني وبافُس . وتألفت تلك الامة من النساء فقط ، ولم تكن تقبل بين ظهرانيها جنس الرجال . بل كانت تنطلق مرة في السنة نحو امة مجاورة تقطن غَارْغَرة ، وتضاجع الرجال فيها ثم تعود ، ولا تحتفظ من المواليد الا بالبنات ، يُنَشّأن منـــذ نعومة اظفارهن على الرياضة والصيد وركب الخيل ، وكلّ انواع الفروسية والمبارزة والمقارعة .

وقد اجتاحت تلك الأمة الباسلة المقاتلة بلاد اليونان على عهد ميثيفس لانه اختطف الاميرة انتيوبي ، شقيقة الملكة هبّليتي . واعتاد الأثينيون ان يقدموا الاضاحي كل سنة ، لارواح تلك النسوة الغازيات الباسلات . ونازلت في لكيا من مقاطعات جنوب آسية الصغرى هركليس الجبار فقتل ملكتهن هبّليتي . ولا ريب ان بسالة الامزونيات وطبـــاعهن الخشنة هي التي حدت اليونان على تسمية إلهتهن الكبرى باسم ارتميس ، اخت ابولن المشعة اللامعة .



الفصل السابع

هرميس
ساعي الآلهة ورسولهم

١ — خصائص هرمس وامتيازاته

١ — أحب اليونان إلههم هرمس ، لأنه في نظرهم إله الخير واليمن. وإله الرفق والتوفيق ، وإله المعروف والاحسان ، لا يستثني منها احداً . ولقد كان مقرباً الى كل الآلهة فهيرا نفسها عطفت عليه وأرضعته بكل حنان ، مع انه ابن غير شرعي لزفس .

فهذا الإله إله الفلق عند انبلاج الصباح ، وإله الغسق لدى إقبال الليل. فهو ينهض قبل الفجر ويبشّر بقدوم زفس إله النهار ، ويقدم فيفس الساطع يشع بشمسه . ومن ثم فهو ساعي الآلهــــة ورسولهم ومعتمدهم في المهمات ، يبلّغ مشيئاتهم الى البشر ، ويمهّد لهم السبل لتنفيذ مآربهم السامية او السافلة ، المشرّفة أو الشائنة .

٢ — وإله الصباح هذا هو ربّ التجار والتجارة ، ومبدع اللهجات واللغات التي تلم شمل المجتمع ، ومن ثم إله البيان والبلاغة . إذ يحتاجها الناس في صلاتهم المختلفة . ولذا قدّموا له في ذبائحهم لسانات العجول والديوك . وهو

إله المرابح والمغانم المشروعة والمحرّمة ، بما فيها لعب القمار ، آفـــة الآفات الخلقية الموبقة ، لأنها تجرّ الى كل رذيلة . وهو إله البراري والطرقات ، يقطعها بلا انقطاع ويمرّ فيها مرّ النسيم . وقد خصّوه بمنعطفات الطرق ومفارقها ، تقوم له فيها تماثيل نصفية ، ذات أوجه عدة ، كل وجه ينظر الى مفرق ، ليهـدي المسافرين سواء السبيل ويرشـد الضالّين . وهو أوّل من صنع قيثارةً بجباء سلحفاة وأهداها لأبولّن . وأول من مارس الرياضة وعلّم البشر ألعابهـا ، ليؤتي أجسامهم رشاقة ورونقاً وبهاء . وإليه بالذات تعزى الملاكمة والسباق . وهو اخيراً إله الرعيان والقطعان .

٣ — تلك خصـائص هرْميس كإله للصباح . وله خصائص اخرى كإله للمساء ، منها انه يرعى اللصوص ، ويسهل لهم ارتيادهم المنازل ، للخطف والسلب والنهب . وهو الذي يرافق الارواح بعـــد الحياة الدنيا ، الى مقرّها الأخير في ديامس الجحيم وظلالها . وهو الذي يواكبها في عودتها أحيانـاً الى النور ، إذا سمح بذلك الآلهة .

ولـكي يقوم هرميس بكل ذلك النشاط وكل تلك المهمات ، حمـل بيده عصا عسجدية ، وجعل على كاحليه جناحين ، ومثلها على منكبيه ، ومثلها على نقرتي جبينه الصبوح او على قبعته التي كان يحمل مثلها المسافرون . وقـــد مثّلوه فتى بهيّاً ذا قوة ونعومة ، شعره كثّ مكزبر ، وجسمه رشيق منوّر ، ذا رأس لطيف ووجه نحيف ، ينمّ عن العطف والمودة والرفق .

٢ – مولد هرْميس ومسلكه .

١ — قام على جبل كلّيني في شمال أرْكَذِيّا المتوسطة شبهَ جزيرة

اليونان ، كهف كبير عميق ارتادته ميّا ابنة أطلاس ، لتلاقي فيه حبيبها رب الآلهة . وفي ذلك الكهف المنفرد ولدت لزفس ابنه هرْميس .

وما كاد الإله يرى النور ، حتى انساب خلسة من سريره الى خارج الكهف ، وطار الى جنوب مَكِدُنيّا الى جبال بيِيرِيّا حيث كان أبولّن يرعى قطعان آذْميتْس ، ويبيت معها في سفوح تلك الجبال . فاختار خمسين بقرة جميلة مكتنزة ، وساقها امامه وهي تمشي الى خلف كي لا يُعرف اتجاهها . وقد اصطنع لأقدامه الناعمة خفّاً غليظاً من فروع الآس والطرفاء أو الأثل ، واجتاز بها في ليلته تلك بلاد اليونان حتى بلغ ضفاف ألْفيُوسّ في مقاطعة إيلِس . فخبأها هنالك في حظيرة ، واصطفى عجلتين حوليتين ، وقسمها الى اثنتي عشرة شقة ، وقدمها للآلهة العظام الاثني عشر ، وهو من جملتهم .

٢ — وفي تلك الغضون انصرف أبولّن الى اللهو والعبث ، بصحبة ربات الفنون وعرائس الجبال والوديان . ولما عاد الى قطيعه ، وجده ناقصا . فعمد الى رُقْيته ليعرف السارق وتبيَّن له في الحال صاحب السرقة . وكان هيرْميس قد تسرب الى سريره كنسمة الخريف او كالبخار الخفيف . فوقف به أبولّن وأخذ يشاجره ويستدل منه على مخبا البقر . واذ انكر الرضيع وأصرّ في نكرانه ، حمله أبولّن وطار به الى ابي الآلهة ، واحضره مجلسهم وجعل يشكو من فعلة هيرْميس. فقهقهزفسُ وأغرق المحضر كلّه في الضحك. واخيراً أمر زِفسُ نجله الطفل بأن يعيد ما سلب .

٣ — ووجد هيرْميس إبّان رحلته سلحفاة كبيرة. فأخذ إزميلاونحت خباءها وعمل منه قيثارة ومدّ عليها أوتاراً ، وعزف عليها أنغاماً شجية . واذ لاحظ أن أبولّن لا يفتأ يتنكر له وينظر الى آلة الطرب برغبة ، جعل يضرب

عليها ضرباً مطرباً ، حتى أنس إله النور واستفزه اللحن البديع ، فنهض الاله الصغير وقدم له تحفته الموسيقية . فطاب قلب أبولّن وأهدى هيرميس عصاً من نضار ، وعهد اليه برعاية القطعان ، وأضحى هو رب الغناء والطرب . وتوثقت عرى الصداقة بينهما ، وتولى هيرميس رعاية أولاد أبولّن عند مولدهم ، وحضن هكذا أرستيفس وإيّن وأسكليبيوس .

ولقي ذات يوم حيتين في قتال محتدم . فأدنى منهما عصاه فألتفت كلتاهما على العصا وصارتا من ذهب . فغدت تلك العصا السحرية رمزاً للسلام .

٤ـ ولم يكتف هيرميس بتلك اللعبة التي لعبها على أخيه أبولّن . بل لعب ايضاً لعبات مماثلة على الآلهة او الالاهات . فقد انتشل لهذا زناره ولذلك سيفه ولآخر أدوات الحدادة ولاله البحار خطّافه المثلث . فنفاه زفس من السماء ، وجاء هيرميس يسلي أبولّن في غربته . وقد عبدوا هذا الاله في أركديا خصوصاً على جبل كيليني ، وفي كريت ذات الحضارة العريقة والتجارة الواسعة .

٣ ـ خدمات هيرميس وأشهر أولاده .

١ ـ لقد ادّى هذا الاله الصالح خدمات جلّى لأبيه واخوته الآلهة وابناء ابيه الابطال والى البشر عموماً ، اذ كان نشيطاً هماماً ، ذا مكر ومهارة ودهاء .

ففي حرب العماليق اعتمّ بقبعة آذس ، وهي قبعة الأخفى ، واحتال على هيبولتس الرهيب وقتله . ولما أمسك تيفيئس رب الآلهة ، وقطّع اعصاب يديه ورجليه ، خفّ هيرميس الى اسعافه ووصل ماتقطع من أوتار

وأعصاب ، واطلقه من سجنه المظلم . وهو الذي القى على آرغُس السبات وفك عقال إيُو حبيبة أبيه ، وذبح حارسها اليقظ الجبار . وبعد مولد ذيُونيسُس هو الذي حدب على طفولته ،وحمله الى إنُو شقيقة سيميلي البائسة ، الى مدينة أُرخُميني .

٢٠ – ولما أمر ابناءُ ألُيُفنس اله الحرب آرس ، واختفى أثره مدة ثلاثة عشر شهراً ، اكتشف هيرُميسُ مخبأه واطلق سراحه الى النور . وهو الذي وجد عند طانطَلُس ابن ابيه من أبلُتُو الأفيانسية ، الكلب الذي سرقه بنَدَرِفسُ من قصر زفس .

وقد ساعد هيرَكْليسَ في انحداره الى الجحيم ، وشجع پرسيفس على قطع رأس الغُرغُونة ،وقد القى بعصاه السحرية سباتاً عميقاً على معسكر أغَمَمْنُن ، واتاح هكذا لأبْريَمُس أن ينتشل جثة ابنه المحبوب هِكتُر . واعطى أذيسّفس عشبة سرية قاوم بها رُقى كيِرْكي الساحرة ، ابنة الشمس ، فأحبته واستسلمت لسعادة العيش بألفته سنة كاملة . واخيرا هو الذي اعاد روح پيلُبس الى جسده ، عندما طبخه ابوه طانطلُس ،وقدمه في مأدبة للآلهة . ورافق أرفِفسَ في بحثه عن عقيلته إفْرِذيكي ، وقاده اليها في دياميس الجحيم ، حيث تتبعته الارواح « وهي تصوي كأنها خفافيش الظلام ، ليبلغها الى مروج الزنابق ، فتستقر هناك بعد متاعب الحياة » . ولذا دعوه هادي الأرواح .

٣ – ولد لهذا الاله كغيره من الآلهة مواليد كثيرة . ولا يروون له مغامرات الا مع الالاهات پرسيفُوني والقمر هيكاتي والزهرة أفْرُذيتي .

ولكنه امعن في مغازلة عرائس الغابات والغدران ، فانجبن له بنين وبنات اشتهر منهم ذافنيس راعي صقلية الجميل ، وبان إله الحقول في أركديا .

إبان منفاه في أركديا أحب هيرميس ابنة مولاه اذ رئبس .
فولدت له ابناً ذا قرنين ، ووبر كوبر المعز ، ورجلين كأرجل الوعول .
فاشمأزت منه امه واهملته في احدى الأجام . ولفه أبوه بجلد أرنب ، واتى به محفل الآلهة . فسروا بذلك المنظر وداعبوا الاله كثيراً ، وهنأوه على هذه السلالة المباركة . ويروى أن بان ولد لهيرميس من أنسية تدعى بنيلوبي كان الاله يراودها بهيئة تيس .

وأحب هيرميس من البشر أككليس بنت ميئس واختها خيوني ، محبوبتي أبولن . فانجبت له الاولى كيذن موسس مدينة كيذنيا ، وانجبت له الثانية أفتولكس ، اكثر الناس مكراً واحتيالا . وقد منحه موهبة إخفاء مايمسه من الاشياء . فسطا هكذا على قطيع سيسيفس طاغية كورنثس . لكن الطاغية السفاح استضاف أفتوليكس وعرف من أظلاف الذبائح ، لاشارة خفية نقشها فيها ، أن مضيفه هو غريمه . فأعجب افتوليكس من مهارة سيسيفس ومن نباهته .

الفصل الثامن

آرس
آلهة الحرب

١ - أصل آرس وأوصافه :

أصل هذا الاله من ثراقية وبلاد أسكثيا ، وهي الآن بلاد الكرم في شمال البحر الأسود ، وجزء كبير من جنوب روسيا . وقد أحبه في القدم أهل تلك الأمصار ، لانهم كانوا شعوباً وقبائل تميل الى الحروب والفتوحات . وقد أكرمه اليونان ايضاً عن خوف لا عن محبة ، وشادوا له الهياكل والمعابد ، في أثينا واسبرطة وألمبيا .

وقد مثله فنانوهم بهيئة محارب مدجج بالسلاح ، بخوذة ولأمة ولحية كثيفة مسترسلة . ثم صوروه في هيئة شاب شبه عار ، يلعب الحب عند قدميه ، والى جانبه الرمح والمجن . وقد وقف له الرومان يوماً من ايام الاسبوع ، وشهراً من الشهور دعوها باسمه ، وهما يوم الثلاثاء وشهر آذار . وكلمة ماردي وما اليها تعني يوم مارس اي آرس .

٢ - ميزته الخاصة : شراسته وشكاسة طبعه .

١ - إن آرس هو ابن زفس وهيرا . وقد ابغضه الآلهة والبشر على

السواء ، لقلة فهمه وشراسة طبعه وجفاء تصرفه . فهو كالضواري متعطش الى سفك الدماء ، يبطش في الحروب بطشاً أعمى ، ولا يوبخ دوماً اذا خاض غمارها. وأبوه في إلياذة هوميرس يزجره بعنف وينتهره بقسوة: «انك يا غلام أبغض الأولاد إلي . فديدنك النزاع والخصام والتناحر والصدام . ولك مالها من نزوات ونزغات ، ولا يكفيها مني القول لزجرها أو ردعها.....» .

٢ ـ انه اذا نزل ساحة الوغى ، إمتطى جواده المطهم ، وشهر رمحه وأخذ يجول ويصول صولات السباع الكاسرة ، ينحر ويطعن ويقتل ، ويرجف العدو بصوت دونه جلبة عشرة آلاف رجل . يواكبه الهول عن يمينه والذعر عن شماله ، وتحف به كيرس إلاهات النقمة ، ذائبات عطشا الى شرب الدماء، وإنيو المتلهفة الى الدمار والخراب .

لا غرو أن آرس كان مقارعاً مغواراً . ولكن شجاعته قامت كلها على الفتك والبطش ، بلا هوادة ولا تمييز . وحماقته هذه وضراوته عرّضته مراراً لنقمة الآلهة والأبطال .

٣ ـ فبينا كان في يوم من الايام يخوض معمعة حامية الوطيس في سهول إيليون ، تصدى له خصم عنيد ، كله فهم وبأس وتمييز . وما الخصم غير أثنا ربة الفروسية والمآثر الحربية . واذ رآها آرس في واحة القتال ، جن جنونه وإستشاط غضباً ، وهجم عليها هجوم المستميت : « ايتها الذبابة الوقحة ، لماذا تثيرين الإحن والخصومات بين الآلهة ؟ ستؤدين لي اليوم حسابا عسيراً عن كل إساءاتك إلي ... » ثم صوب طعنة الى مجنّها الحريز ، الذي لا تخترقه صاعقة زفس نفسها ؛ فتنحت الالهة وتناولت صخرة وضربت عنق آرس . فتضعضع جسمه ورجفت ركبتاه ، وسقط مغشياً عليه يتضرج بدمائه . وغطى جسمه

مساحة مئتين وعشرة أمتار . فتبسمت أثينا وخاطبته بازدراء وشيء من الاشفاق قائلة : « ايها الغبي الأبله ، ألم تع بعد كم أبذك اقتداراً وبأساً . اذهب الآن واخبر بمصابك الأليم ».

٤ ـ أخفق آرس إجمالاً في مباراته الآلهة ، ومصاوعته إياهم . ولحقه الخزي لما استولى عليه الجباران ولدا ألئس ، فتوارى عن الأبصار ثلاثة عشر شهراً ، أذل في غضونها وذاق مرارة الأسر ، حتى تمكن هرميس من وجوده وفك عقاله . ولما قتل هركليس ككنس بن آرس ، لكثرة جرائمه وقطعه الطرق ، أراد إله الحرب الانتقام ، فنازل هركليس . فأجهز عليه البطل الصنديد وأثخنه بالجراح ، فعاود آرس مقر الآلهة يجرر أذيال العار . ويقال ان زفس ليفصل بين ولديه ، ألقى بصاعقته وسط المتبارزين .

٣ ـ مغامراته .

١ ـ شُغف آرس بحب أفرذيتي ، ومالت إليه إلهة الخلاعة والدعارة ، لان زوجها هيفستس كان أعرج دميما . فغازلها ردحاً من الزمن ، وصديقه الكتريون يؤمن له بسهره ويقظته ، راحته وسرور قلبه . لكن الصديق الساهر اليقظ تغافل مرة عند السحر ، فأقبل هيفستس وأطبق على آرس وقرينته العاهرة بالجرم المشهود . فضبط نفسه وتجاهل الأمر لغرض في نفسه . إلا ان الاله الفاسق عرف ان أمره لم يخف وان سره قد انفضح ، فحنق على صديقه الكتريون وحوله ديكاً . وهذا معنى اسمه .

٢ ـ وتظاهر هيفيستس ذات يوم أنه منطلق في رحلة طويلة الى جزيرة ليمنس . وأعلن عزمه في حضرة الآلهة وخرج . فاستبشر آرس لذلك

السفر وعندما ارفضّ المحفل ، قصد قصر هيفيستُس ، وخاطب أفرُذيتي قائلًا : « هيّا يا خلياتي ، هيا يا معبودتي ، فالقلب مستعر والروح في اضطرام، تذوب شوقا اليك. ونحن الآن في أمان ، لأن قرينك الاعرج ، في رحلة طويلة الى جزيرة ليمنُس ، جعلها زِفسُ موفقة » .

قال وأخذ بيد الحبيبة وعانقها بشغف. فمضت معه الى مخدع هيفيستُس. وقد سرّها مقال المتيّم الولهان . ولكن الاله الاعرج باغت الزانيين ، واطبق عليها بشباكه . وذلك أنـه في تلك الغضون ، قـد أعدّ شبكةً ناعمة دقيقة لاترى ، في متانة لاتوصف . فلما أمسك آرس في جريمته ، صاح بأعلى صوته ونادى محفلَ الآلهة وقال :

٣ — « يا زَوْسُ وانتم يا معشر الخالدين ، هبّوا من الرقاد وانظروا هذين الفاسقين . إنّ الخليعة افرذيتي تمتهن عاهتي ودمامتي ، وتُعجب بجمال هذا الفظ ورشاقته . ها هما مستلقيان على سريري ، ولكنّهما لن يستسلما بعد الى هناوة النوم . وهذه الاغلال لن تبرح مطبقةً على القحة والفسق ، حتى يعيد لي زِفسُ إتاوتي في هذه الفتاة السمجة . »

والتأم الآلهة في قصر النحاس ، واستولى عليهم الضحك فترة طويلة ، واستلقوا على الحضيض من شدته . وخزي الفاسقان خزيا ما بعـده خزي . وما افرج عنهـما هيفيستُس حتى تعهد آرس بالتكفير عن الاثم . ففرت أفرُذيتي الى جزيرة كريت ، وأمّت مدينة بافُس . وهرول آرسُ الى جبال ثراقية ، وهو لا يدري كيف يمحو لطخة الشنار . وقيـل أن أفرُذيتي ولدت لآرس ابنة دعوها هَرْمُنيّا ، وتزوجها كاذمس ملك ثيبّة .

٤ — ووُلد لآرسَ من آغلَفْرُسَ ابنةٌ سمّوها ألِكيبيّ . فاعتدى عليها ابن بُسيذُونَ هَلَرُوتِيُسْ وخالطها . فقتـله آرس وانتقم لشرفه .

فساقه بُسيذُون أمام محفل الآلهة الاثني عشر ، وعقدوا جلستهم على هضبة بازاء قمّة المدينة في أثينا . فبرأه المحفل ودعيت الهضبة « تلة آرس » أو آريُس باغُس . ومن ذلك الحين ما انفك مجلس القضاء الاعلى عند الأثينيّين ، يعقد جلساته على تلك التلّة ، للنظر في القضايا الجنائيّة .

٥ - وولد لآرس مواليد كثيرون ، من الجنيات أو البشريات . واشهرهم كيكنُس الذي قتله هِرَكْليس ، لأنّه كان مجرما ولصاً ، يقطع الطرق في وادي تمْبي . وذِيُميذس أحد ملوك ثراقية . وإنُوْمَوْس بن هَرْبِينّا بنت نهر آسُبُس . وقدملك على بيسّا وهي مقاطعة بقرب ألمَمْبيا في شبه جزيرة اليونان . فلما كبرت ابنته هِبُذَميّا أقبل الامراء يخطبون ودّها لما ازدانت به من جمال. لكن الاب رفض دوماً خوفاً من نبوءة أنبىء بها ، ومفادها ان صهره قرين هِبُذَميّا سوف يقضي عليه ويملك مكانه . واخيراً ظن انه يمنعها من الزواج ويأمن النبوءة المشؤومة ، اذا فرض على طالبي الزواج سباقاً تأكد النصر فيه، لأن أباه آرس كان قد أهداه خيلاً مجنّحاً يطارد الريح . فتقدم الى المباراة سبعة عشر اميراً غُلبوا جميعهم على أمرهم ، فقتلهم وعلق رؤوسهم على أسوار مدينته . وأخيراً تقدّم بيلُبْس بن طَانْطَلُس ونال من عم أبيه بُسذون خيولاً مطهّمة ذات أجنحة وحوافر ذهبية لا تعرف الملل والكلل ، وبالاتفاق مع حوذيّ إنُوَمَوْس وابنته الاميرة هِبذَميّا ، احتال على الملك المستبد ، وخلخل احدى عجلات مركبته . ولما آن وقت السباق واندفع الملك على مركبته يسابق الريح ، انقلبت المركبة وقتل هو لساعته ، وربح الامير بيلُبْس وتزوّج هِبُذَميّا .

وأحبّ آرس احدى النساء ، فولدت له ولداً وماتت وقت الولادة ولكن آرس سهر على الولد ورضع الى وقت الفطامة ثدي أمّه الفقيدة .

الفصل التاسع

هيفستس
إله الصناعة

١ - أصله ونشأته

١ — يبدو أن عبادة هيفستس انطلقت من ليكيا في الجنوب الغربي من آسيا الصغرى . وتوزعت في جزيرة لمنس البركانية ، ومن هناك اجتاحت الأتيكي فبلاد اليونان الصغرى والكبرى وخصوصاً جزيرة صيقلية .

هذا الاله عندهم إله النور والنار والبروق والشرار ، ولعل عرجه يشير الى تعرج الصواعق في انقضاضها . وهو إله ودود محسن ، يسدي إحسانه الى الآلهة والبشر : وإله صنّاع ماهر يتقن غاية الاتقان صنع المعادن على اختلافها، ويتفنن في صوغها . ويبلغ من فنه فيها حدود الابداع والاعجاز .

٢ — ان هيفستس هو ابن هيرا وزفس . والأغلب انها حبلت به قبل اقترانها الرسمي بأخيها زفس ، أبي الآلهة والبشر . ولكي تخفي فعلتها ، اختلقت تلك البدعة ، وادعت انها ولدته دون ان تعرف اباه زفس ، على زعم هسيذس .

ولما ولد هيفستس ، ألفته أمه دميماً شنيعاً مخلعاً ، فألقته من ذرى السماء فهوى الرضيع البائس في اللجة . فالتقطته ثيتس ابنة نيرفس ، وإفرنومي

ابنة آكئنوس ، وعالتاه وخبأتاه في كهف مظلم . فلبث تسع سنين يصوغ للجنيتين العطوفتين عقوداً من الذهب وتيجاناً ، وقروطـــاً وأساور وحلى مختلفة مدهشة ..

٣ – وأرسل ذات يوم الى امه هيرا عرشاً متألقاً من النضار الخالص. فابتهجت لمرآه وجلست عليه باعتزاز ، وأحاط بها الآلهة ينظرون الى العرش وصاحبته الفاتنة . ولما كثرت الجلبة حولها ، همت بالنهوض تبغي العزلة والهدوء ولشد ما كانت دهشتها عندما تبينت انه لا سبيل الى ذلك . وحاول الآلهة انهاضها فلم يفلح منهم احد . واخيرا عرفوا ان صغيرها المنبوذ ، صاحب الآية الفنية الفاتنة ، يستطيع فك عقالها السري . فانفذوا اليه آرس ، فجاء ساخطاً يتهدد ويتوعد ، وأقبل نحو الإله الصغير وتوهم انه يسوقه عنوة . فدفعه وطارده الإله الحداد بالسبائك المتأججة وكواه كياً مؤلما ، فعاد أدراجه فاشلا خائباً ، ولبث هيفستس في كهفه السحيق في اعماق المحيط .

٤ – فلجأ الآلهة الى ابن سميلي ، الى فاكخس ربيب الكرمة ، وتودد لابن عمته بلين ، ولاطفه وداعبه طويلاً ، وسقاه رحيقاً مشعشعاً فثمل . وعندما طرب من نشوة الخمرة ، أركبه صهوة بغلة فارهة ، ودخل به قصر الآلهة . غير ان الإله الحاذق ، لم يفك اسر امه حتى وعدته بالزهرة الزاهرة ، إلهة البهاء والفتنة الساحرة . ولكنه لغمه اخطأ الاختيار .

وبعد تلك اللعبة الطريفة ، توثقت الصلات بين الابن والام ، ونسي المنبوذ حقده السابق ، وانبرا يوماً يدافع عن هيرا ، عندما اغلظ لهـــا زفس الضرب والشتم ، واثقل رجليها بالحديد ، وعلقها بين السماء والأرض . فاخذه

حاشد الغيوم بتلابيبه وقذف به في الفضاء الرحب . فهوى هيفستس يقلب في الجو ، ولبث هكذا طيلة النهار من الصباح الباكر حتى الأصيل ، وعندئذ سقط في جزيرة لمنس ، وهو يكاد يلفظ أنفاسه ، وتهشمت عظامه بتلك السقطة . لكن أهل الجزيرة عالجوه ، وضمدوا جروحه وجبروا كسوره ، وبقي أعرج من ذلك الحين .

٢ ـ حداد الآلهة وصانعهم البارع .

١ - وعاد هيفستس الى السماء ، لما صفا الجو بين هيرا وزفس . وقبل ان تزف اليه زوجه ، بنى قصوراً لآلهة أولمبس ، وابتنى لنفسه قصراً منيفاً ، من الفولاذ والشبه النقي . ورصّع تلك الابنية الفخمة بالذهب والحجارة الكريمة ، وأهدى الآلهة عروشاً جميلة ومناصب ذات حركة ذاتية ، تتمايل بمشيئة صاحبها . واستنبط لنفسه تمثالين حيين ، كلا منهما بهيئة عذراء ، يتوكأ عليهما في حال العناء لثقل جسمه وضعف ساقيه .

ولما شغر منصب الساقي وكفت هيفي ربة الصبا ، عن تقديم كؤوس النكتار ، ازدلف هيفستس يجر ساقيه ويحجل متخلعاً بين صفوف الآلهة ليقوم بتلك المهمة الدقيقة . فقهقه المحفل كله واستولى عليه الضحك فترة طويلة ، فخجل الأعرج المخلّع ، وهجر مقر الخالدين ، وقصد جزيرة نكسُس ، وحاول الاستيلاء عليها ، ليقيم مصانعه فيها . فصده عن قصده ذِيُونسُس ، لانها جزيرته المحبوبة . وقد اختارها لراحته واستجمامه . فلم يشأ ان يُلوث جوها بغازات المصانع وان يعكر صفاؤها بأزيز المطارق .

٢ – عندئذ هجرها هيفستس عن رضى ، ومارس صناعته المحببة ، في براكين جزيرة ليمنس . وهدير تلك البراكين ، كان ينبىء الناس بوقع مطارق الاله الحداد ، ومطارق معاونيه العمالقة ، اصحاب العين الواحدة المستديرة ، والجثث الشبيهة بالجبال . فهؤلاء العمالقة يشبهون العماليق الثلاثة ابناء الارض ، الذين قتلهم ابولون انتقاماً من أبيه لأبنه إله الطب . وساعده ايضاً ابناء من الجنية إتنا ، المعروفين باسم بلكي . وزعم بعضهم انهما ابنا زفس من الجنية إتليا إبنة هيفستس . والامر غامض لا يعرفه بالضبط أحد . ويقال ان هيرا حنقت على إتليا عندما اقترن بها زفس ، فاختبأت في أعماق الارض من نقمة هيرا ، حتى كبر ولداها وعادا الى النور . ولذا سميا العائدين الى النور .

ومن جزيرة ليمنس ، هاجر هيفستس الى جزر ليباري قرب صقلية . واقترن هناك بكافيرو بنت ابرتيفس فأنجبت له ابناءه ومساعديه في صناعته ، الكافيري . وتعرف هناك على الجنية إتنا ابنة المحيط ، واقترن بها فانجبت له على الاغلب ، الحدادين الكبيرين الملقبين باسم بلكي .

٣ . ولما اقترن هيفستس بإتنا ، أوشك المدخر من المعادن في جزر لباري على النفاذ ، فاقنعته زوجته المحبوبة ان يهجر تلك الجزر الصغيرة ، المتداعية المهددة دوماً بالانهيار ، ويؤم جزيرتها الرحبة الراسخة وموطنها الجميل المفدى في جبال صقلية البركانية . فأذعن لنصح زوجه ، وركز مصانعه نهائيـاً في بركان إتنا وفي كهوفه الواسعة ووضع سندانه الاكبر على رأس الوحش الأكبر تيفن ، الذي تصدى لجبروت زفس . فاذا ارتعشت أرض الجزيرة ومادت جبالها واندلع اللهب والدخان من فوهات براكينها ، فما ذلك الى لتململ الوحش ومحاولته اليائسة للافلات من اغلاله الوثيقة ، تحت تلك الجبال .

٣ مآثر هيفيستُس وآيات فنّه

١ - خلا قصورَ الأولمبُس وعروشها العسجدية ، صاغ هيفيستُس صولجاناً لزفس ، كما سبك له بعض صواعقه . وركّب عجلة هيليُس ، وسقى اسهم أبولّن ونبال أرْتِمِس ومنجل ذِميتِرْ وخوذة هِرَكْلِيس . وهو الذي جهّز سلاح بيليفْس وإنيفْس وأخيليفْس . وعقد هَرْمُنيّا عقلية كَاذْمس، وتاج أرِيَاذْنِي وصولجان أغَمِيمْنُن ، وآيات أخرى مدهشات .

ولا نريد ان نغفل في هذا المقام ، العجول النحاسية القاذفة من خطمها شرراً ولهيباً ، ولا كلاب اللجين والذهب التي أهداها الى الكينوْس ، ولا عملاق الشبه القائم على حراسة الشجرة العجيبة في كريت . ويذكر انه هو الذي كون بَنْذُورا من ماء وطين ، ونفخ فيها نسمة حياة ، وشوّقها باكليل من نضار ، وزفها الى إبِمِثفس . كما أشرف بذاته على تكبيل ابرمثفس فوق قمم الكوكاز . وشق رأس زفس لتخرج منه أبهى الالهة ، إلهة الطهر أثنا .

٢ . وقد انقاد هيفستس تماماً لمشيئة أبيه أبي الالهة ، وحضّ الارباب على إجلاله والإذعان لأوامره . وكم مرة حرّض هيرا على الخضوع والتجمل بالصبر إزاء نزوات قرينها : « تأسّي واصبري ياأماه ، مع انجراح مشاعرك ، فاذا رأيتك تُضربين ، فلن أستطيع إغاثتك ، على شدة تألمي ، إذ لايمكن التصدي لزفس ، أبي الالهة والبشر . هذا ، وعلى كل حال ، فلا رونق للمآدب ولا بهجة للولائم ، اذا سادها التنافر والخصام ، فلذة العيش كلها في التصافي والوئام[1] » .

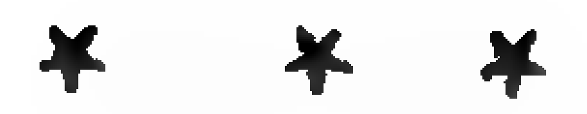
---

٢ - (١) راجع الياذة هوميرس ن ١٨ ش ٣٧٦

٤ ـ غراميات هيفستس :

١ ـ لقد اقترن الإله الحداد بالزهرة أفروذيتي . غير ان الإله الدميم اخطأ في اختياره وجلب لنفسه المتاعب والهموم . فإلهة الجمـــال والعهارة ، ما انفكت تخدع زوجها وتمكر هناه بلا انقطاع . وقد رأينا انتقامه منها ومن خليلها إله الحرب .

ومتاعبه مع الزهرة الزهراء ، لم تحمه من الولع بإلهة الطهر . ويحكى انه فرض على أبيه زفس ، لقاء شج رأسه وشقه ، بان يزوجه العذراء البارزة الى النور . فقبل أبو الآلهة ورفضت ابنته أثينا .



الفصل العاشر

الزهرة افرذيتي
أو إلهة الأنوثة والجمال

١ – أصلها ومنشأها وميزاتها .

١ – اصل الزهرة ، في الغالب الأعم ، أصل شرقي فينيقي . وعـدها الأقدمون إلهة الحب في اسمى مجاليه المشرّفة ، وفي احطّ ظواهره الزائفة .

فأفرُذيتي الاورَنِيَّة ، أي الزُهَرَة السماوية ، كانت إلهة الحب النقيّ ، إلهة الحب المثالي ، في طهره وصفوه وقداسته . وأفرُذيتي النيمفيَّة ، أي الزُهرة المتزوّجة ، كانت تسهر على الزواج ، وتقرّب سبل عقده . ولذا اكرمتها العذارى والأرامل والتمسن منها أزواجاً أماثل .

أمّا أفرُذيتي بَانذِمُس بُرْنِيي ، أي الزُهرة العمومية الفاسقة ، فهي إلهة الزنى العاهرة ، وإلهة الدعارة الفاجرة ، وشفيعة الفسّاق والبغايا .

٢ – اكرموا الزهرة أفرُذيتي في كلّ بلادالبونان والرومان. ولكنّ عبادتها تجلت بالمجالي الثلاثة التي أشرنا اليها . واهم مراكزها مدينة بافُسَ في قبرص ، وكيثيرا في كَريت . ومن أفخم معابدها هيكل اكنيذُسَ في

كْرِيتّا ، وهيكل جزيرة كْنُوْسَ في بحر إكار[1] على الساحل الجنوبي الغربي من سواحل آسيا الصغرى ، وهيكل جبل إرِكْسَ في صِقِلّيّة .

وقد عبدوا الزُهرة بُرْني في ثيبة ، حيث نحتوا لها تمثالا في قرون السفينة التي حملت كَادْمُسَ ، من فنيقيا الى بلاد اليونان ، عندما أخذ يبحث عن اخته أرُوبّا ، لما خطفها زفس ، وتحوّل عجلًا لتلك الغاية . وعبدوها أيضاً في أثينا حيث تمثّلوها جالسة عارية على متن تَيْسٍ . وازدهرت عبادتها خصوصا في إيْفِيسُسْ و كُورِنْثُس ،حيث انبرت المومسات رسميًا لتكهنها .

وعبدوا الزُهَرة العروس في إسبرطة ، وفي نافبَكْتُس من اعمال فكيس ، على الخليج الكورنثي . اما الزُهَرة السماوية فقد شادوا لها الهياكل في سكيوني وآرغس واثينا .

٣ — وتمثلوا إلهة الجمال في ازياء ومواقف كثيرة ، تمتّ كلها او جلها الى الاغراء ، والاثارة الحسية والجنسية . وقد عمدوا لتصويرها ونحت تماثيلها الى اشخاص حية نظير الغانيات والمومسات الشهيرات من امثال لَئيس وافرني واكْرَتيني و كامْفِيسْ خليلة الاسكندر ، فصوروها عارية في اوضاع مختلفة ، كلها غواية واستفزاز . ومن هذا القبيل ، تماثيل ابرَكْسِتيلِسْ التي تصور مولد الزهرة وبروزها من المياه . وبرّز هذا الفنان عندهم وبلغ غاية الابداع . وقد اشمأز بعض الأقدمين من تلك الرسوم الخليعة ، نظير اهل جزيرة كْنُوْس عندما اتوهم بتمثال مثير لالهتهم .[1]

---

٢ ـ (١) راجع السياسات ١ : ٢ : ٥ ح ١ .

٣ — (١) راجع السياسيات لارسطو ، طبعة ١٩٥٧ حريصا ، ٧ : ١٥ : ٨ في في هذا المقام يقول امير الفلاسفة : « فليمن الحكام بألا يمثل رسم أو تمثال أو شيء آخر ، قباحة من تلك القباحات ، الا في هيا كل بعض الآلهة ، ممن يدع لهم الشرع هزلهم الخلاعي»..

٢ ـ مولد الزهرة وتحكيم بَارِسْ :

١ – زعم بعضهم نظير هُوْمِرُس، ان الزُّهَرة ابنة زفس من ذِيُوني بنت المحيط و تِثِيْسْ . والحقيقة انها عمته ، أخت أبيه الزمان ، من جدّه أُرَنُوس. فلما جدع الزمان أباه السماء ، وطفا عضوه المبتور فوق اللجة ، امتزجت دماؤه بمياهها ، وارغدت وازبدت فبرزت حينئذ إلهة ساحرة ، تسبي القلوب والعقول ، شقراء لجينيّة البشرة ، كلها اعتدال وكمال ، وفتنة وسحر وجمال .

يدفعها النسيم الرقيق الى جزيرة كِيثِيرا . فنظرت الالهة الى الجزيرة ، من فوق محارتها اللؤلؤية ، ولم تتوقف . وتابعت مسيرتها الى قبرص . فتقبلتها الساعات وشوفتها أبدع شوفة ، وزينتها افخر زينة ، وعصبت شعرها الذهبي باكاليل من الماس ، فبدا جبينها وكأنه نبراس ، وتألق محياها كفرقد الصباح ، والحب عن يمينها والشغف عن يسارها ، وطارت بها الأخوات الاثنتا عشرة الى ديار الخلد أُوْلِمْبُس . فلما رأى الآلهةُ الساحرة البهاء تشرق البسمة على محياها الوضاء اغتبطوا في قلوبهم غاية الاغتباط ، وتمنى كل منهم ان يأخذهـــا لنفسه ، ويوليها على جوارحه مدى الاحقاب .

٢ – فأثار سحر الالهة الفاتنة مع الأيام ، كامن غيرة هِيرا وأثينا ، وغيرة إلهة الصيد أُرْتِيمِيس . فمع كل جمالهن الخلاب ، لم يحظين في نظر الآلهة حظوة الزهرة الجذابة الفاتنة ، ولا سبين قلوبهم كما سبتها الالهة الجديدة . ففي دقائق جسمها الاغراء وفي كل تقاطيعها البهاء ، بينما كن يوحين المهابة . وقد حزمت خصرها بزنار ، عُرف من بعد بزنار الزهرة ، طُرّز تطريزاً بديعاً ، « وحوى صنوف الغواية ، وكل هيام وشوق وحب ، كما حوى الحديث الناعم

الظريف ، والضحك المحبّب ، وسحر العيون ونشوة الحنين ، مما يسبي عقول الحصفاء ، فأحرِ بقلوب الجهلة الأغبياء »(١) .

٣ وفي حفلة زفاف ثيتس إبنة إله البحر زفس ، الى قرينها البشري بلفس ، دعي محفل الالهة الخالدين ، ولم تدع إيرس الهـة النزاع ، الى كهف خيرُون في جبل بيلين ، حيث اقيمت أفراح الزفاف فمرت إلهة الخصام والنزاع ، ورمت تفاحة وردية ، لذيذة شهية ، في علبة عسجدية ، عليها كتابة واضحة جلية : « للالهة الفاتنة البهية ، المتفوقة بروعتها الشجية ، وسحر الطلعة والجاذبية » .

ألقت التفاحة وتوارت بسرعة ، فطالبت بها هيرا وأثنا وأفرذيتي . ولما طال الأخذ والرد ، وحمي النزاع واحتدم الخصام ، أمر ابو الإلهة والبشر أن يحكم في الخلاف حَكمٌ ساذج من أولي الانصاف ، واختـــار لذلك الامير الراعي بارس ، ابن ملك اطروادة ابريمُس .

٤ ــ فقاد رسولُ الالهة هرميس الإلهات الثلاث المتنافسات ، الى جبل إيذا في افرغيا ، حيث راح الامير بارس يرعى قطعان الاغنام والثيران . ولما مثلت الالهات امامه ، سبين حواسه وقلبه ولبّه . وبعد ان عرف ما حضرن لأجله ، رفض التدخل في أمرهن ، لئلا يصيبه من حكمه البلاء . ولما أمره هرميس بالخضوع لمشيئة أبي الالهة زفس ، قبل بمهمة التحكيم .

فوقفت به هيرا في مهابة وجـــلال ، وقالت له : « يابني ان منحتني الجائزة المشتهاة ، في هذه المنافسة والمباراة ، دفعت اليك ملك آسية بلا عناء ولا مبالاة » . ومثلت امامه أثنا في رشاقة ووقار وقالت له : « ايها الفتى المختار ان نصرتني في هذه الساعة ، أوليتك النصر في كل معمعة » . أخيراً جاءته الزهرة

٢ - (١) راجع هسيذس : مولد الآلهة .

ربة الجمال في كثير من الغنج والمرج والدلال ، وفكت الزنار وخلعت الإزار، وقالت : « ياأخي بارس ، انك لأبهى من كل فارس ، فلست انا من المحاربين الأشاوس ولا أهديك ممالك فارس ، ولكني أزف إليك أبدع الأوانس » .

قالت فوقع اختياره عليها وساق جائزة الفوز اليها . فأمست في نظر الالهة والبشر ملكة الجمال والهة العهر . وجر الحَكَمُ المنساق وراء الهوى ، صنوفاً من الأهوال والويلات على نفسه وبلاده، بسبب تهوره وتفضيله المنحاز . وحرب اطروادة شاهدة على هذا .

٣ ــ مغامرات الزُهرَة .

١ ــ إستعر الهيام في قلوب الالهة ، إذ رمتهم أفرذيتي من سحرها بسهام. ورام كل منهم ان يسعد بها ، وان ينعم سرمدا بألطافها ومحاسنها . ولكن القدر المشؤوم جعل الهة الجمال من حظ الحداد الدميم الشنيع كالبوم . فأنفت تلك الصحبة الكريهة ، وراحت تتعزى بقوة آرس ودعابة هرميس . وحصل لها مع آرس ماحصل . وربح الجولة هيفستس وضم الضاحكين اليـــه واخزى العاشقين المستهترين .

وتأثر الالهة كلهم ، ماخلا هستيا وأثنا وأرتميس ، بسلطان أفرذيتي ، لانها «أزاغت عقل رب الالهة زفس ، وأغوت روحه اليقظة ، وقرنته بنسوة مائتات». إلا ان ابا الالهة خدع الزهرة الغاوية أفرذيتي ، وألهب فؤادها بحب رجل فاني « فاهتاجت الالهة بغرام أنخيسس ملك ايلين ، الذي كان يضاهي الآلهة بحسنه وجماله .

٢ — فتوجهت نحوه الى جبل إيذا ، وعرجت في طريقهـا على جزيرة قبرص ، فجاءت هيكلها في بافس ، وتزينت بأبهى زينـــة ، وضمخت الإلاهات الاناقة واللطف جسدها بأفخر الأطياب ، وجعلن أساور في معصميها وعقداً في عنقها وتاجاً على رأسها . وراحت الالهة تصعد في الجبل وثلة من النمرة والأسود والسباع ، تواكبها وتقفز حولها ، وتداعب أهداب ثوبها . فانست الإلهة بها، وألقت الحب في قلوبها .

ولما بلغت مكان محبوبها ، تنكرت له وتظاهرت انها ابنة ملك أفرغيا: أترفس، وأضافت : «ماقولك في وصل من يطلب وصلك؟». فامتثل رغبتها ومضى بها الى قصره وقضى الليلة معها . ولما اصبح الصبح ، أشرقت له الالهـة بضياء الالوهة ، فذهل وارتعد وأشفق على نفسه من شيخوخة مبكرة ، إذ هذا مصير كل انسان يخالط إلهة . فطمأنته وسكنت ماجاش في قلبه من وساوس . ولما دار الزمن دورته ، أنجبت له إبناً كريمـاً هو إينِيّسُ التقي النبيل ، الذي برّ بوالده .

٣ — ولم تهوَ افرذيتي ذلك الفـاني فقط ، بل علقت مائتين آخرين . نظير آذن وفَتَيْثُونَ بن إِوُوسَ وكيفَلِي ، الذي خطفته الالهة ، وأقامته على هيا كلها الدنسة سادناً ليلياً .

واشتهر في أمَتُوسَ ، إحدى مدن قبرص ، نحـــات مبدع اسمه بيغْمَلِيُّنْ ، قد كره الناس لاسيا النساء ، وابتعد عن عشرتهن وصحبتهن . وذلك لأن زمرة من صبايا الحيّ ، قد انكرن الوهة أفرُذيتي . فاقتصت الآلهة منهنّ وأزاغت بصائرهن ، فتهتكن وبذلن ذواتهن للرائح والغادي ، ولكل

عابر سبيل . فاشمأز النحات من ذاك التصرّف الشائن ، وابغض النساء لذلك . واستحالت تلك الفتيات الخليعات الى صخور صمّاء .

٤ ـ غير أنه نحت مرة تمثال امرأة ساحرة وافتتن بجماله . ولفرط شغفه بذلك التمثال ، أخذ يقبله ويضمه اليه كأنه يعانق شخصاً حيّاً . ولكن الرخام ما كان ليشعر بشدة وله . واذ راح ذات يوم يقبّل تمثاله ، ويغمره ضمّاً وشمّاً اذا بمحبوبه يلين بين يديه ، ويرد القبلة قبلتين ، ويشارك العاشق حبه وغرامه . وذلك بلفتة من أفرُدِيتي ،وقد عطفت على عابدها ، وارادت أن تبرهن للجميع انها تسيطر حتى على الجماد بسحر اغرائها ، فتفجّر فيه الحياة والبهجة والحبور .

وبئس الفانيات اللاتي تستبد بهن الزُهَرة وتتيه عقولهن ، اذ يتركن بيوتهن والاهل والواجب ، ويتبعن هواهن ويجلبن البؤس والشقاء على أنفسهن وعلى الاهل والوطن: نظير ارياذني وهليني . وقد شذّت ابنة مينُس بَسِفَائي حتى جامعت ثورا . وولدت تلك المولة الرهيبة المدعوّة منوتفرُس .

بيد ان الزهرة كانت تسهر على الزواج الشرعي ، وتحمي الازواج والزوجات ، اذا حوطوها بالعبادة والاكرام .

٥ ـ وقد وُلد لها بنون وبنات، من جملتهم هَرْمُنيّا عقيلة ملك ثيبة كَادْمُس الفنيقي . وقيل عن هذه الفتاة انها ابنة زفس وحفيدة أطلاس من ابنته إلِكْترا .

اما ابن أفرُدِيتي من هِرْميس ، فقد دعته باسمها واسم ابيه ، فأصبح اسمه هِرْمَفْرُوذِتِس . ولهذا الولد قصة غريبة . وذاك ان الزهرة عندما وُلد ابنها هذا ، أرادت ان تخفي إثمها مع هِرْميس ، فأخذته وعهدت به الى

جنبات جبل إيذا . فنشأ الطفل بين تلك العرائس ، يتنقل من هضبة الى هضبة، ومن واد الى آخر . فلما شبّ وترعرع ، في تلك البيئة الجافية ، وعاش عيشة الشظف والحرمان ، طُبع على الخشونة والقسوة ، وشيء كثير من اللامبالاة وشدة الحيـــاء . واذ كان في كـريّا ذات يوم يتردد بين الغابات ، في صحبة حاضناته عرائس الجبال ، بلغ ضفاف بحيرة ترقرقت مياهها العذبة كاديم السماء، فاستهوته تلك المياه ونزل لينعم ببرودتها اللذيذة ، في ذلك اليوم اللافح .

٦ — وعندما صار في الماء ، بدت له ملكة البحيرة ، تلك الجنية الفاتنة المعروفة باسم سَلْمَكيِس ، وقد سباها جمال الغلام . فاقبلت وباحت له بحبها وعرضت عليه وصالها . ولكن الفتى اليافع خجل واصطبغ محياه بلون قرمزي وابى الانقياد لدافع الهوى . فدنت ربة البحيرة واخذته بين ذراعيها عنوة ، وراحت تغمره بقبلاتها وتراوده على ذاتهـا ، فلم يستسلم الغلام . وعندئذ لفته بجسمها الناعم ، وهتفت بمنتهى الهيـام والشوق : « ايها القلب الجافي ، فؤادي مستهام بحبك وانت لا تبالي . انك تحاول عبثاً الافلات من عناقي . ايتها الآلهة القديرة ، اسمعي دعائي وادمجي جسده بجسدي ، بحيث لا ينفك عني ولا انفك عنه ابدا » . فتداخل جسده في جسمها وامسيا جسداً واحدا .

وقبـل انصهاره في عشيقته ، تمنى ان تفقد مياه البحيرة القوة لكل من يستحم فيها . وغدا هو والجنية جسما غريبا ، لا يحتاز بخصائص النساء ولا بخصائص الرجال ، بل هو جسم وَسَط ، قد أشرب من كلا الجنسين .

٤ — موكب الزهرة ، إرُسْ وابْسيخي .

١ — يقول هيـيْذُسْ في مطلع مولد الآلهة : « كان الخواء قبل كل شيء ، ثم بدت غيثاً الارض الرحيبة الصدر المترامية الاطراف ، وأخيراً ظهر

إرُسْ ، الذي يذيل النفس ويسيطر في قلوب الآلهة والبشر طراً ، على العقل والارادة النبيهة » .

فهذا الاله الذي بدا بعد الارض حالاً من الخواء . والذي يسيطر على الكون باسره ، لأنــه سنّته وشريعته الاولى والاخيرة،لم يعرفه قدماء اليونان قبل هيسيُدُس،ولا نجد له ذكراً في عهد هُوْميرُسْ . وهو على كل حال ، يختلف اختلافاً كبيراً عن إله الحب الصغير ، الذي تمثله الاغريق بهيئة طفل ، يحمل قوساً وجعبة ، ويسدّد سهامه الى قلوب الآلهة والبشر ، ويثير كوامن حنينهم ، ووجدهم وشوقهم العميق ، فيقعون ضحية الهيام والغرام ، وفقــا لنزوات ذلك الاله الصغير .

٢ ولم يُعْرَف بالضبط منشأه . واختلفوا بشأن ابيه ، كما اختلفوا بشأن أمه . فنسبوه الى زفسَ وهذا الأغلب ، ونسبوا ابوته الى آرسْ وهيرميس وزيفرُسْ . أما امه فقد قالوا انها إليثيّا الهة القبالة. وقالوا انها إيرس أنجبته من زيفُرس ، وقالوا انه ولد قبل الزُهرة وكان مع رهط الساعات والهات الأناقة في استقبالها وموا كبتها الى مقر الخالدين . ولكن الشائع الاعم عندهم ، انــه ابن أفرُذيتي إلهة الجمال والغواية والهوى .

ولم يكن يحترم احداً ولا والدته بل ما برح يصوّب اليها سهامه النافذة الناعمة وكم من مرة اضطرت الى ضربه وتجريده من جعبته ومن اجنحته . بيد انه اسدى اليها اكبر الخدمات ، وآزرها في مشاريعها خير مؤازرة ، ورافقها دوماً وسهّل لها المهمات ، ولم ينجُ هو نفسه من اسهم الوجد ، وقد صوبها الى الجميع حتى الى ذاته ، فوقع في غرام الأميرة أبْسخي .

٣ ولفرط جمال الأميرة شادوا لها هيكلا، فغارت منها الهة الجمال، ووكلت الى ابنها إرُس امر معاقبتها ، وابلغت اباها نبأ رهيباً يحل به وبمملكته ، ما لم يعرض ابنته لهول هائل ، في قمة الجبل المجاور للمدينة . فصعدت الفتاة الى قمة الجبل ، وهي تبكي شبابها . وواكبتها الأميرات والوصيفات بعض الطريق يلطمن ويندبن عليها ، وبقيت هناك تتوقع أسوأ المصائر ، وترتعد فرائصها من مقدم الوحش الرهيب . فلما جُنّ الظلام ، اذ بنسيم عليل ناعم ، نسيم زيفرس يحملها برفق على ساعديه ، ويطير بها الى قصر بديع . وهناك القيت على فراش وثير ، وما عتم القصر حتى احست الى جانبها بشخص في منتهى اللطف يلاعبها ويداعبها ، فأنساها كل همومها . ولما أنست اليه ، طلب منها الامتناع عن تبين شخصه ، والاطلاع على صفات محياه .

٤ – لبثت الفتاة تتردد الى قمة الجبل ، وتنتقل من هناك الى قصرها ، وتعيش فيه باتم السعادة ، فحرك الفضول قلوب أخواتها وصديقاتها ، فأشرن عليها ان تستجلي الامر وتتبيّن ملامح الاله الذي أحبها ، وصوّر لها بصورة وحش مخيف . فاخذت قنديلا وقدمته من وجهه وهو نائم الى جانبها ، واذا بمحيّا ساحر فتان لا ابهى ولا أروع . فأخذت بذلك المنظر الخلاب ، وتقدمت بالقنديل من الحبيب المعبود ، الذي وقفت على امره اخيراً . وبينما هي تتأمل تلك الملامح الاخاذة ، وقعت نقطة على كتف إرُس الاله المعبود ، فأرتعش وتنبه من سباته العميق ، ونظر الى حبيبته بحزن ، وتوارى عن ابصارها هو والقصر وكل فتنته . وبقيت الاميرة على صخرة صماء في عزلة موحشة . وشاءت لفرط غمها ان تنتحر ، فألقت بنفسها في نهر قريب ، لكن المياه حملتها من ضفة الى ضفة سليمة معافاة .

٥ - وابلغت الشهرة الطائرة أفرُذيتي أن ابنها الصغير مريض حزين ، فآستنه وعالجته ، وسألته عن سبب حالته ، فاعترف لها بكل شيء . فالحت عليه باللائمة ، وانزلت بالاميرة محنا لا تحصى ، تغلبت عليها كلها بمؤازرة خفية من اله الحب . وفي نهاية المطاف ، وعدت أفرُذيتي ابسخي انها تعيد اليها حبها المفقود ، اذا انحدرت الى الجحيم وجاءتها من عند برسفُوني ، بعلبة زينة قدّمتها لها الهة الجحيم وعندما اخـــذت الأميرة العلبة ، حركها الفضول في طريق العودة ، وفتحت العلبة فتطاير منها دخان كريه ، غشّى جسمها البض المضاهي ببياضه بياض السمّور ، اسودادٌ داكن . ولم تستعد بياضه الزنبقي ، الا باعجوبة من زفس . وقد استعطفه الحب لحبيبته ، فأعاد نقاءها وصفاءها وآتاها الخلود . وزفّت لحبيبها في حفاوة بالغة ، واشتركت في الاحتفال افرُذيتي نفسها ، بعد ان اسفر سخطها عن رضى ، واستحال كرهها الى حب . وما قصة ابسخي اي الروح ، الا قصة النفس يستهويها حب الخير والجمال والكمال ، فتسقط وتشقى وتكفر ، ثم تعود بالرزايا والمحن الى جمالها الاول ، وتحظى بالخلود والحياة الفضلى والهناء المؤبد .

٦ - وواكب الزهرة مـــع ابنها ارُس ، الشوقُ المذيب بوثس ، والرغبة الملحة العذبة هيمرس ، وأحاطت بها الهات اللطف والظرف والأناقة احاطة الاسوار بالمعصم .

وتلك الإلاهات ، كما رأينا ، بنات زفس وإورنومي الثلاث : أغلئي اللامعة وافرسيني المبهجة وثـليّا الزاهرة . فعند اقبال الربيع كنّ يشتركن مع الهات الفصول وعرائس الغدران ، في الأغاني الشجيّة والرقصات البهيّة ،

ويوفرن في القلوب مع الضياء وفرة الخير والهناء ، وبهجة السرور والصفاء ، الفائض بالبشر وعرفان الجميل . لان تلك الالهات كن إلاهات معرفة الجميل والشكر عليه . ولذا زعم بعضهم خطأ انهن بنات النسيان بنات الالهة ليثي ، لان اسرع الأشياء الى التقلص والنسيان ، هو الاعتراف بالمعروف وشكرانه.



الفصل الحادي عشر

بسذون
إله البحر والخصب

١ § – منشأه وامتيازاته

١ – ادعى هيرُوْدُتُسْ أن هذا الاله من أصل ليبي ، ولكن الاصح أنـــه إله يوناني قديم عبده البيلَسْغِيِ ، وهم أول شعب عُرف في بلادهم . واتخذه الايونيين إلها لأمتهم ، ونقلوا عبادته من شبه جزيرتهم الى سواحل آسيا الصغرى التي استعمروها وعمّروها وانشأوا فيها حضارة خالدة ، غدت ركناً من أركان الحضارة اليونانية واحدى دعائمها الثابتة .

وقد كرمه اهل اسبرطة بصورة خاصة ، وعبدوه عبادة قوية في المدن الساحلية نظير كُوْرِنْتُسْ وابِيِدَفرَسْ وتِيِنْثَرُنْ . عبدوه كاله للبحر وهـــو اله الارض أيضاً في المبادىء ، وقد دعي بلقب « مُزلزل الارض » إنْسِيخثُون . لأن الآلهة ابناء الزمان ، عندما اقتسموا أرجاء الكون ، خُصَّ بُسِيذون بسلطان الارض ، وآذِسْ سُلّط على الجحيم كما تسلّط زفس على ارجاء السماء وعلى مختلف ظاهراتها : من رعد وبرق ومطر وبرد . فكانوا يقولون قد امطر زفس كما يقولون لقد ارعد وابرق .

٢ ــ أمّا الحيوانات التي خصّوا بها بُسذون ، فهي الحيتان والخيل والثيران . وفي بعض اعياده المدعوة تافرية أي الأعياد الثورية ، كانوا يزجّون في لجّة البحر بعضاً من الأثوار السوداء ، تقدمة زكية لاله البحر . وفي غيرها من الاعياد الكبرى أقاموا مباراة على صهوات الخيل . وقد وقفوا له الحصان والثور ، لأنه بشعّبه المثلث أخرج الحصان من الارض ، ورمزوا بالثور الى قوته المخصبة .

وتمثلوا بُسِيذُونَ كإله قدير ، على جانب كبير من المهابة والجلال ، لا يقلّ عظمة عن أخيه رب الآلهة . ورسموه منتصباً ، بلحية كثّة وشعر مجعد ، يستر عريه ثوب فضفاض ، وقد وقف الى جانبه حوت صغير .

٢ § ــ مولد بُسِيذون ومآثره

١ ــ إن هــــذا الاله من ابناء الزمان اخْرُونُس ، وعقب مولده ابتلعه أبوه كما ابتلـع سائر اخوتـــه . ولم يعـد الى النور ، إلا بعد أن تناول الزمان من يد زفس ابنه مقيّئاً عنيفاً ، لفظ بفعله كل أولاده المزدردين .

ولكن بعض المطلعين عندهم زعموا أن ريئاأمه وارته ما بين قطيع حملان ، وألقمت أباه مهراً صغيراً لتهدىء به نهمته . وشبّ الغلام بقرب مَنْتِينيا وآزر أخاه زفس في حرب العماليق ، كما آزره في سحق التيطان (١) . وعند إقتسام الغنائم حظي بالسيادة على البر والبحر وعلى السواقي وعلى كل نهر .

وقيل ان الاله بُسِيذون في مقارعته العماليق ، قصم صخرة من جزيرة كُوس ، ورشق بها الخصم بُلِيبُتُس ، فأردته ووقعت في البحر ، وكونت من بعد جزيرة نسيروس ، وفي تلك الحرب عينها اقتلع الجبال والتلال ونثرها جزراً في البحار .

---

٢ . (١) راجع هنا ١ : ٣ : ٣

٢ – ومع ان الاله عديل لأخيه العظيم زفس ، بالمحتد والجاه والسؤدد ، فقد اضطر ان يخضع له وان يذعن لسيادته المطلقة ، وان على مضض وضيم . وقد تآمر مع هيرا وأثنا ، للقضاء على سيطرة أخيه ، وسلبه الصولجان والعرش ، وإقصائه عن السيادة والملك . ولكن تأييد افرياريُس أعـــاد لزفس مهابته ، فاستكان بين يديه كل عزيز جبار ، وغدا الاله القدير القهار . ففرض على أخيه بسذون أن يستعبد لعاهل إيلين ، الملك العاتي لوميذن .

٣ – واعترف الجميع بسيادته على البحر ، واما سيادته على البر فقـــد نازعه إياها كثيرون منهم زفس وذيونسس وأبولن ، وهيرا وأثنا وهيليُس .

أما زفس فقد نازعه إغيني ، بعد ان أحال معبودته الى جزيرة ، واستحال هو نفسه الى صخرة فوقها . وذيونِسُس نازعه جزيرة نكسُس ، وأبولن مقاطعـة ذلفي ، وكان بسذون يملكها بالمناصفة مع غيثا ، فأعاضـه زفس عنها بجزيرة كلافريا على سواحل الأرغليس ، في شبه جزيرة اليونان . واما هيرا فقد نازعته السيادة على الأرغليس . وحكم في الدعوى نهر إنخوس ونهرا أسترين وكفسوس ، فخسر اله البحر دعواه ، وأنضب الانهر الثلاثة وأصاب المقاطعة بالجدب .

وزاحم اثنا على امتلاك الأتكي ، ففشل كما فشل في خصوماته السابقة ، فاغرق البلاد بغمر من المياه العاتية . ولكنه قاسمها السيادة على مدينة اتْرِزين الأرغُليّة . وأخيرا اختصم وهيليُس على برزخ كُورنْس ، فحدد الحكم افرياريس المدينة كمنطقة نفوذ لهيليس ، وترك الباقي من البرزخ لبسذون . وهناك اقاموا الالعاب الازمية اي الالعاب البرزخية .

٤ – اما سيادته على البحار فلم ينافسه فيها منافس ، ولم ينازعه اياها منازع . فقد وطد دعائم ملكه في اغوار بحر إغيئس ، حيث شاد له هيفستس

« قصراً منيفاً من أفخم القصور ، تغشيه الجواهر وصفائح الذهب . وأرسيت قواعده لتثبت الى الأبد » . فمن ذلك القصر المضيء ، كان ينطلق على مركبة سريعة ، تجرها كالبرق خيول مطهمة ، نواصيها نضار وحوافرها نحاس . فاذا اندفع على مركبته ، انفلقت اللجج امامه ، ونشطت الحيتان تتلاعب حوله ، ابتهاجاً بمليكها العظيم المفدى . واذا غضب بسذون لأمر ، ثارت الاعاصير وعصفت العواصف ، وهدرت الامواج الزواخر .

٣ § – زواج بسذون ومغامراته الغرامية :

١ – واقترن بسذون بأمفتريتي بنت زفس . وقد شاهدها ذات يوم ترقص مع اخواتها جنيات البحار في جزيرة نـكـسس ، فشغف بحبها وفاتحها بما جاش في نفسه ، فاضطربت الفتاة وهربت منه واختبأت في طرف الغرب ، عند الشيطان أطلاس . فبعث بسذون دلفينا ليبحث عنها ، فوجدها وحملها على ظهره وأتى بها سيده . فكافأه إله البحر وأعلى منزلته وجعله برجاً من ابراج السماء .

واتخذ الجنية حليلة محبوبة ، وعاش واياها بسلام وصفاء . ولم تشاكله الا بشأن سلا ٘ احدى عرائس البحار الجميلات ، اذ بالغ في هيامه بها وكاد يتركها من اجل تلك الجنية الفاتنة .

٢ – قلنا انه عاش وقرينته بسلام ، لانها كانت وديعة مسالمة . ولكنه في حياته الزوجية ، ابدى كثيراً من الطيش ومن قلة الامانة ، وسلك في هواه مسلك أخيه أبي الآلهة .

فقد أحب جدّته غـيـئا ، فانجبت له الجبار أنـتـيـئس . وعلـق أيضاً اخته ذ ميـتـير ، وراح يضايقها بملاحقاته . فاستحالت لتتخلص منه الى حـجر

جميلة بيضاء ، وتحوّل بدوره ليرتادها الى جواد اصهب شديد اللجب ، فانجبت له الحصان أريِنْ ، بقدمي انسان وقائمتي فرس ، وقد اوتي الفهم والنطق .

واغرى مـِدُوسَ في هيكل أثنـــا ، واتخذ لاغرائها هيئة حصان ، فحنقت الالهة من فعلته السمجة ، وحولت شعر مـِدوس الى ثعـابين . وغازل بـِـسِيذون جنيات كثيرات ، منهن ألـِكيـِـُوني والدة إثوسا التي عشقهاوعبدها أبولّن ، وأمُ هيـِريـِنـْتُرَ وهيـِريـِفـْس وقد ملك هذا الاخير على فـِيـُتِـِيـّا . وزاره فيها زِفس وبُسِـيذون ، واعطوه ابناً من جلد ثور (١) .

٣ - وأحب ايضا الهاِرْبِيـا كيليـِنو ، فولدت له ليكس وإفـْرِيـْبيـِلـْس وأحب أسْتيـِالي أخت إفرُوْبِـي وخيـُوني ابنـة فْرِيـْنـْس ، وإيـْنـْرا قرينة إغيـْنـْس ووالدة ثِيـِفـْس .

ومن حظايا بُسِيذون ثِيـُفاني ابنةُ فِـِسَلـْتيـِنـْس . واذ كثر المعجبون بها لفائق جمالها نقلهـــا الاله الى جزيرة اكـْرِيـْنيـِسّا . واحالها هناك الى غنمة وأهالي الجزيرة الى قطيـع غنم ، واستحال هو الى كبش ضأن ليراودها . فانجبت له الكبش ذا الجزّة الذهبية .

وتعلق ايضـاً بالـِبّيي ابنة كيـِرْكيـِنْ . فولدت له ابنـــاً سماه هيـِوثـْنـْس ، لأن أمه خافت من أبيها ، فألقته في غابة . وهناك عطفت عليـه فرس وارضعته حتى نما وترعرع .

٤ - وممن عبدهن بسذون ميـِنـْنـْرا ، كريمـــةَ ملك ثيـِسّاليـِا إرسيخثون . ولهذا الملك قصة غريبة ، وهي انــه انتهك حرمة غابة مقدسة لهيرا ، فاقتطعها واحرقها . ولما أقدم على ذلك الاثم ، بلته الالهة بنهم لايرويه

---

٢ - (١) راجع هنا سيرة أريَين .

مأكل، وقد اضطر ليسكن سعيره ان يبيع كل شيء . ولما نفذ ماله واستنفد كل ارزاقه ، اضطر الى بيع فتاته . فآتاها عابدها بُسيذون القدرةَ على التحول من حال الى حال ، ومن هيئة الى هيئة اخرى . فنجت هكذا من شرّ ابيها وشر من اقــدم على شرائها . ولكن أمرها انفضح أخيرا ، فأرغم الملك ان يفترس نفسه .

٥ – ولما ثار ثائر بُسيذون ، واحتدم غضباً على إنَخُوس ، فانضب ينابيعه وسلط الجدب والعطش على أرْغُلِيس ، ارسل دَنَئُوسُ كريماته الخمسين لارتياد الماء . وفيما هن يبحثن عنه ، تعبت أميمُوني احداهن ونامت فرآها صطر في الغـــاب وارتمى عليها . ولكن بُسيذُونَ خفّ الى نجدتها ، فانست به ولاطفته ، وأنجبت له ابناً سمّته نافْبْلِيُس ، أسّس مدينة نَفْبْلِيّا وابتعلته الغمر لانه جدّف على الآلهة .

وقد انجبت الجنية بريني لبسذون ابنــة بديعة وديعة ، أحبت ارتميس وتبعتها في حياة الصيد والطهارة والشظف . فرمتها الالهة خطأ بسهم واردتها . فسالت دموع أمها الثكلى ولم تنضب ، واستحالت الى نبع غزير فيّاض .

وقد خدع الجنية ترو ، بعد ان يئس من صداقتها ، فبدا لهـا بشكل عشيقها انيبئس الاله النهر ، فاستأنست به واستسلمت لمودته وانجبت له ولدين هما بليس ونلفس .

§ ٤ اعقاب بُسيذون المشاهير

١ – اعقب بُسيذون نظير اخيه زفس ذرية لا يحصى عديدهـا ، لأن أهل مدن كثيرة من المدن الساحلية آثروا الانتماء اليه ، كما آثر غيرهم الانتساب

الى اخيه زفس أو احد كبار الالهة . واشتهر بين اولئك المواليد إيفغيُس ابن إفروبي . وقد شارك بُسيذُون أخاه في حبها . واعطى مولوده منها قدرة السير على المياه ، واشترك ذلك البطل المغوار في رحلة السفينة أرغُو . ورزق من بيتاني ابنة بهية اسمها إفاذني آحبها أبولّن ، فأنجبت له جامُس . وباضت مُلثُوني لبُسيذون بيضة فضية ، أسفرت عند نقفها عن توأمين ، قادا جيوش أفغيُس وبارزا هيرَكليس عندما اخلف الملكُ بوعده . فأجهز البطل عليهما وقتلها . واعتقد بعضهم لشدة التشابه بينهما ، انهما امتلكا جسماً واحداً برأسين واربع أذرع وأربع أرجل.

أما كيكنُسُ بن هربالي ، فقد اصبح ملكاً على كُلُوني من اعمال اطرُآس . واشترك في حرب اطروادة . واذ كانت منعته تصونه من الجراح ، خنقه أخيلِفُسُ بسير قبعته . وعندما اراد تجريده من سلاحه استحال جسمه الى تِمّ .

٢ - وملك آميكُس بن ميليا على فينيا ، وقد كان جباراً شديد البأس سيءَ الخلق والخلق ، يصارع الغرباء الذين يؤمّون بلاده . ولما جاءه بحّارة أرغو عرض عليهم المبارزة . فتصدّى له بُليذيفكيس ، بنُ ليذا وزفس ، وقتله .

والجباران إفيالتيس وأوتس وُلدا له من إفيميذيا عقيلة ألتيفس . وقد تجاوز طولهما عشرين متراً ، ولما يبلغا بعد التاسعة من عمرهما ولما تطاولا على هيرا وأرتميس ، احتالت عليهما هذه فاقتتلا ، ورُبطا الى عمود في التارتَرُس بسلاسل من ثعابين .

٣ - وقد انتحى كيرْكيُن براري إلِفسيس ، وقطع الطريق هناك على المسافرين اذ كان يتحدّاهم ويصارعهم ويقتلهم . فظفر به سيِفْسُ وصرعه كما صرع وقتل لصاً من ابناء بسذون اسمه سِينِيس ، اقام في برزخ كُورِنْثُس يشلح المسافرين ، ويشدهم الى شجرتي صنوبر كان يدنيهما الواحدة من الأخرى . وبعد ان يعلق اطراف ضحيته بهما ، يتركهما تأخذان مداهما . فينشق المسكين المربوط بهما . فقمعه ثِيسِفْسُ وقضى عليه بالعذاب عينه .

وفي عداد من اشتهروا من ابناء بسيذون ، الجبار بُلِيْفيمسُ بن ثُوُسا وقد فقأ أذِسِفْسُ عينه الوحيدة في وسط جبينه . ونجا هكذا هو ومن تبقّى من الرفاق ، وافلت من قبضته ومن انيابه الطواحن .

٤ وخلص هيرَكْليسُ الديار المصرية من طاغية استولى عليها اسمه فُسيِرِس . وكان هذا الطاغية ابن بُسيذون ولِيفيا . ولكثرة شروره ضربت الآلهة بلاده بالجوع . ولما اشتدت المجاعة وخاف ثورة في الشعب ، اشار عليه عراف قبرصي ان يذبح غريباً استعطافاً للآلهة . فأخذ العرّافَ وذبحه . ولبث على هذه الحال يذبح كل سنة رجلا أجنبياً . ولمـــا قدم هيرَكْلِيسُ الديار المصرية ، أمسكوه وهمّوا بذبحه . ولكنه افلت منهم وقتل ملكهم . وابطل هكذا الذبائح البشرية عندهم .

وقد اعتـــاد بُسيذون ان يسلّط "الضواري" على خصومه ، ويبتليهم هكذا بالتنانين والسباع ، والوحوش الكاسرة المفترسة . فلا عجب اذا وُلد له بنون يضارعونه فظاظة وشراسة .

الفصل الثاني عشر

هستيا أو الهة الموقدة

١ ان هستيا الهة قديمة عريقة في القدم . وهي علاوة على ذلك إلهة وادعة حليمة محببة . فالموقدة لايستغني عنها أحد ، وهي نقطة الثقل في البيت، وواسطة العقد في عناصر حياة الأسرة . ولذا أحب الجميع إلهة الموقدة ، وأكرموها وحوطوها بالتجلة والمحبة .

فحول الموقدة اجتمعت الأسرة ، وهي التي جمعت شملها . وعندما كانت الاسر تنمو وتتفرع ، فالفروع المتشعبة عن الاسرة الاصلية، كانت تأخذ منها الجذوة الاساسية ، لتضيء وتشعل موقدة جديدة . وعندما كانت تتجمع أسر كثيرة لتؤلف بلدة او مدينة ، كانت تنشيء قبل أي شيء آخر ، موقدة عمومية تعد موقدة البلدة او المدينة او الدولة ، وينصبونها في دار الشورى . وفوق كل اعتبار ، كانت الموقدة ضرورية لتقدمة الذبائح ، إذ منها كانوا يأخذون النار لاحراق المحرقات وتقديم الاضاحي .

٢ — فهستيا نظير هيفستس إلهة النار ، ولكن لا نار البراكين ولا نار المصانع والحدادين ، بل نار المنزل ونار التدفئة ، ونار الصداقة ونار الألفة والمحبة فهستيا إلهة عائلية ، والهة اجتماعية تحمي الاسرة كما تحمي المجتمع ،

وتحمي المدينة كما تحمي الدولة . وقد شادوا لها هيا كل مستديرة وتمثلوها بهيئة سيدة كريمة وزينة جليلة ، أسبلت رداءها الفضفاض الى القدمين ، وغطت رأسها بوشاح تهدل فوق الكتفين .

ويقول لنـــا هسيذس انها بكر اخرونس وريئا ، ومن ثمّ بكر الألمبيين والآلهة المخلدين . وقد عرف ذلك اليونان ، وسكبوا لها السكب في بدء ولائمهم ، وسكبوها لها في ختام مآدبهم . وما اشتركت قط في منازعات الالهة ، بل تجنبتها بحزم ، ولبثت دوما في دعة وسلام .

٣ ـ وارادها بسذون شريكة لحياته وسلطانه على الينابيع والبحار ، ولكنها أبت عليه ذلك ، كما ردّت طلبات أبولن ابن اخيها زفس مجمع الغيوم . ولما لجوا وألحوا في الطلب ، وقفت في محفل الخـالدين ولمست هامة اخيها أبي الالهة ، وأقسمت انها ستبقى عذراء مادامت الدهور وتعـاقب الملوان . فقبل زفس قسمها ، وفازت مع أرتميس وأثنا ، بامتياز العفة والطهر . وهكذا نرى ان شعب اليونان ، على إباحية العالم القديم ، قد عظّم البتولية والطهارة ، وخص بها ثلاثاً من كبار الإلاهات ، وقدّس قيمة من أسمى قيم الانسان ، وعرف ان المرأة ليست اداة لذة ، وان لها في ذاتها قدراً سامياً وإمكانيات الهية رفيعة .

الفصل الثالث عشر

آلهة السّماء الأصاغر

انطوت سماء أبي الآلهة على آلهة أكابر عرفنا جانباً من امجادهم ومخازيهم وانطوت ايضاً على آلهة أصاغر قاموا إجمالا على خدمة الآلهة الأكابر .

١ § الالهة ثِيْمِيس الهة الحق والعدل .

١ ـ هذه الالهة هي ابنة السماء والارض ، وابنة غِيئا وأُرَنُوس ، ولمّا استولى الألَمْبِيّون أبناء أخيها اخْرُوْنُس على مقاليد الامور في الكون ، لم تنسحّ مع إخوتها التيطان عن سياسة العالم ، ولم تقصَ من سماء المخلّدين ، بل لبثت في قصر زِفس ، وجلست دوماً الى جانب عرشه ،لتسدي اليه النصح والمعروف . ويبدو أن هيرا شريكة حياته ، لم تر في الأمر إجحافاً بحقّها ولا تعدّياً عليها . واذا دخلت محفل الآلهة ، تناولت من يد زوجة زفسَ الثانية ، وأمينة سرّه ومستشارته الحاضرة ، كأسَ النكتار ، بكل بشاشة واستئناس .

٢ ـ وما ذلك الا لانها تعرف جيداً أن ثِيْمِيس هي إلهة الانصاف والحق والعدل . وهي التي ترتّب عيش الآلهة ، وتعد لهم المآدب والولائم ،

وتشيع الهدوء والسكينة والنظام في حياتهم ، واذا اختلّ جانب من ذلك النظام ، فهي الساهرة على إحقاق الحق واعادة العدالة الى نصابها . وقد حدبت على حداثة زفس ، ولذلك أحبَّها واقترن بها ، قبل أن يفضّل عليها وعلى غيرها نهائياً اخته هيرا . وهي التي سهلت ولادة أبولّن وأرتيميس ، ومنحت أبولّن موهبة العرافة ومقامها في دِلْفي . ومن اقترانها بزفسَ وُلد لها ربّات الفصول والساعات ، وربات المصائر الثلاثة . ويُقال أن المغربيّات بناتها أيضاً.

٣ – وقد تمثّل قدامى اليونان هذه الالهة بشكل امرأة كاملة السن جليلةٍ مهيبة . واحبّوا احيانا أن يشيروا الى نزاهة العدالة ، وبعدِها عن كل تحيز ، فصوّروها مقنّعة بمنديل ، وقسطاسُ الحقّ والعدل في احدى يديها . وشادوا لها المعابد في كل مكان ، في اثينا وثيبْة وتانَغْرا والَمْبيّا ، ومدنٍ غيرها كثيرة .

وقد أكرموها في تلك المعابد ، كمخلصة من التعدي والظلم ، ومشيرة في محافل الأمة ومجالس نوابها ، ومرشدة نصوح في الأعمال والملمّات . وروى بعضهم انها هي التي اشارت على دِفكلِيُّن وامرأته ، بعد الطوفان أن يأخذا عظام الجدة الأولى ويرميا بها وراء ظهريهما ، لبعث البشرية من جديـــد على وجه البسيطة.

٢ § – إرِيْسْ رسولة زفسَ ووصيفةُ هيرا .

١ – لما اقترنت الارض غيئاً بابنها بُنطُسَ اي البحر ، انجبت في ما انجبت ابناً دعته العجب العجاب وذاك العجب ثَفْماس اتخذ له حليلة الِكْترا بنتَ المحيط واخته تيثْس ، فولدت الِكْترا لثَفْماس الالهـــات الخاطفات

وإريس قوس قزح . وهذه الالهة عندهم هي مبعوثة الارباب ورسولتهم ، ولا سيما زفس وامرأته هيرا ، فاذا أراد ابو الآلهة ان يبلغ أحد الخالدين أو المائتين امراً ، انفذ اليه قوس قزح . فتنحدر تلك الالهة تخترق الأجواء أو تتخذ قوسها اللامعة كجسر بـين السماء والأرض ، وتطير باجنحتها السريعة الى صاحب العلاقة ، وتبلغه المشيئة الصمدانية . وكانت إريس تخترق البحار كما تخترق الفضاء ، وتبلغ دركات الجحيم بالسهولة والرشاقة نفسها . وكثيراً ما قصدت تلك الديار لتملأ من مياه استيكس كأساً ذهبية وتعود بها الى مقر الخالدين ، ليحلفوا بتلك المياه وبربة تلك المياه الرهيبة .

٢ – قامت إريس بتلك المهمة الجليلة خير قيام . وبالاضافة اليها ، اقامها زفس وصيفة لعقيلته هيرا ، وتابعة امينة ومزينة فنانة . فهي التي كانت تحممها وتلبسها وتمشطها وتشوفها افضل شوفة ، وتسهر عند قاعدة العرش ليل نهار دون ان تحل سير حذائها او ترخي زنارها او تستسلم الى الوسن والثبات .

هذا وان تلك الالهة المشرقة كالنور والناعمة كألوان قوسها الزاهية لم تقصر خدماتها على ابي الآلهـة وقرينته ، بل في نعومتها وطيب سجاياها ، أسرعت مراراً الى نجدة الآلهة الآخرين ، وتقديم الغوث والعون لهم . فهكذا عندما جرح ذيميذس الزهرة أفروذيتي في سهول اطروادة ، أقبلت إريس بلهفة وآست الالهة الجريح ، واصعدتها على مركبة آرس ، وعادت بها الى محفل الآلهة .

٣ – ولم تستثن من عطفها وإحسانها البشر أنفسهم . فقـد سمعت يوماً أخلفس بن ثتيس وبلفس ، يبكي صديقه بتركليس ، ويشكي من اللهيب الذي أبطأ في إلتهـام جسمان الحبيب الراحل . فخفت رسولة الآلهة وأتت كهف

زيفرُس" ، والتمست منه ان يغادر صحبه ووليمته ، وان يأتي مع ُفرْيثّس ويضرم النار المحرقة .

وقد زعم بعضهم ان النسيم زيفرس هو قرين إِريس ، وان اله الحب إِروس هو ابن هذين الخالدين . وقد أكرموا الالهة إِريس خصوصاً في جزيرة ذيلس ، وقربوا لها كقربان مرضيّ تيناً يابساً وقطائف بعسل .

۳ § — هيفي إِلهة الفتوة ونضارة الشباب .

۱ . هذه الالهة الفتية هي ابنة زفس وهيرا ، وقد استحلاها والدها واستحلى فيها خصوصاً نعومة رجليها وقدميها، فنصّبها ساقية في الأولمبس، تدور بمحفل الارباب ، وتصبّ لهم في آنية عسجدية ، رحيق الخلود وطعام السعادة . وفيما هي ذات يوم تقدم لهم رائق النكتار ، زلّت بها قدمها اللطيفة ، فانقلبت أمام الخالدين مقلباً سيئاً ، فاعتراها الحياء والخجل الشديد ، واستولى على الالهة والإلهات ، موجة من الضحك صاخبة ، بلغت ذرى السماء . وعلى الأثر إستاءت الفتاة الخالدة ، واعتزلت قصر ابيها ، واعتصمت في خلوتهـا ، لاتحضر مآدب الارباب . وان حضرتها لزمت مكانها ، لا تُقدم على شيء من مهمة السقاية ، كما اعتادت في الأمس وما قبل .

۲ — ولكنها لبثت تعنى بمركبة أمها ، وتشد الخيول السوداء والبيضاء اليها بسيور من ذهب ، وتساعد الالهة ذات المهابة والجلال في إعتلاء المركبة والنزول عنها . ولما انجز هركليس أعماله المجيدة ، وقُبل في مصفّ الالهة المخلدين ، زفت اليه هيفي كزوجة محبوبة مكرمة .

وهذه الالهة الرامزة الى بهاء الفتوة ، وريعان الشباب ونضارته ، عبدها

اليونان . وشدوا لها المعابد والمذابح ، في أثينا وسيكيُون وافليُوس ، من أعمال شبه جزيرة اليونان . وفي المدينة الاخيرة المذكورة ، وقفوا لها غابة مقدسة ، امتازت بحق اللجوء . فلا يُقبض فيها على المجرم ولا يساء اليه ، مالبث معتصماً بذاك الملجأ المقدس .

§ ٤ - غنيميذس ساقي الآلهة

١ - ليس هذا الشريف المؤله إلها ولا نصف اله ، وإنما بشراً جاد عليه أبو الآلهة والبشر بموهبة الخلود . فهو نجل ملك افريغيّا اترُوْس من قرينته كلروْئي ومنهم من نسبه الى احد ولدي اتروْس او حفيده لوْميْذن او ابيه إرخثُونَ بن دَارْدنُس بن زفس من الكترا بنت أطلاس ..

ومهما يكن من امر ، فقد احرز ذلك الشاب جمالاً خلابا ، سبى قلب ابي الآلهة بالذات ، وقد كان يبحث آنذاك عن خلف لهيفي ، يخلفها في مهمّة السقاية . فلما وقع بصره على الغلام ، اعجبه قدّه وهو يميس كغصن بان ، ورونق محيّاه وهو يتألق بهاءً وبشراً ،ووقع الى جانبه على جبل ايذا بهيئة نسر .

٢ - عجب الفتى لذلك الطائر النبيل ، ولم يعتد قط الألفة والمؤانسة . عجب منه يدنو بوقار ، ويبدي الكثير من الهدوء والاستئناس ، بدل الوحشة والابتئاس . ويفرد جناحيه في ظرف ولين ، ويداعب باحدهما خليله المنفرد مثله في رؤوس الجبال . وكأنه يدعوه الى امتطاء ظهره وركوب متنه ليحلق به في الفضاء .

عنت الفكرة للغلام الناعم البديع ، فعلا ظهر النسر وامسك جيدا بجناحيه ، واذا بالجارح الجبار ، يندفع براكبه المحبوب في اجواز السماء ، حتى بلغ ديار الخالدين . وعهد اليه بمهمة هيفي المستقيلة . فقام بها الساقي الجميل خير

قيام ، واثار بذلك على شعبه وامته حفيظة هيرا ، لانه اختلس في نظرها منصب فتاتهـــا المحببّة . وعوض زفس الملك المفجوع عن تلك الخطيفة بخيول تسابق الريح .

٥ - الحوريات وربّات الفصول والساعات .

١ - تعني كلمة هُوْرهْ عنـدهم السنين والفصول والساعات . ولذا اختلفوا على عدد تلك الربات او الحوريات ، كما اختلفوا ايضاً على مهامهن وامتيازاتهن .

ففي البدء كانت تلك الحوريات إلاهات الغيث اذا همى والسيل اذا طمى ، ومن ثمة الهات الاثمار والفواكه ينميها وينضجنها ، ويؤتينها الوانهـــا الزاهية ونكهتها اللذيذة ورائحتها الشذية .

بالاضافة الى تلك الامتيازات على الصعيد المادي ، خصوا تلك الحوريات بامتيازات على الصعيد الروحي ، وجعلوها حافظات للنظام الاخلاقي وساهرات على الشرائع والعدالة والسلام . فهن اللائي ، كما يقول هـيـيـئْذُس ، «ينضجن اعمال البشر ، ويحوّطن الشبيبة بالعطف والدراية » .

أما في مقر الخالدين فقط انيـــط بتلك الحوريات فتح أبواب السماء وإغلاقها ليدخل الآلهة ويخرجوا ، وهن كنا ينشرن الغيوم ويطوينها . ويشددن الخيول الى مراكب الالهـــة . ويحدبن عليهم في ولادتهم وطفولتهم ونعومة اظفارهم . فقد عنين هكذا بهيبْرا وهيرْميس وذيئُونسُس . وكن مع ربّات الاناقة والظرف ، يحيين حفلات الآلهة الراقصة تحت اشراف أبُولـّن ، ويظهرن فيها كخود فاتنات ، عصبن شعرهن الطويل ، المسبل على اكتافهن ، بتيجان من نضار وجواهر ساطعة .

ويحكى عن كَرْبُو إلهة الربيع انها كانت محبوبة النسيم ، وانها احبت هي ابن النهر الاله مِيَنْدَرُس ، ولما يئست من اكتساب وده ، ألقت بنفسها في النهر ، فحولها زِفِس الى ثمار . أما اختها إِرِينِي اي السلام ، فقد انجبت ولداً ثَرِيّاً سمّته ثَرْوَت ، وقال بعضهم ازدهار .

وقد عبدوا هذه الحوريات في أثينا وآرغس وألمبيّا وعلى الاخص في كُورِنْتُس .

* * *

الباب الثالث

آلهة الأرض والماء والفلك والهواء
وحياة الإنسان والجحيم

الفصل الأول : آلهة الأرض

الفصل الثاني : آلهة الماء المالحة والعذبة

الفصل الثالث : آلهة الفلك

الفصل الرابع : آلهة الهواء

الفصل الخامس : آلهة حياة الانسان

الفصل السادس : آلهة الجحيم والعقاب والثواب.

الفصل الأول

آلهة الأرض

الفقرة الاولى

غيئا وريئا وكفيلي

١ — غيئـا الجدّة الأولى والعظمى :

١ « قبل كل شيء كان الخواء ، يقول هسيذس ، ثم بدت الارض غيئا الرحيبة الصدر المترامية الاطراف ... »

« ووضعت الارض ابناً لا ينقصها عظمة وجلالاً ، هو أرنوس جَلَد السماء الزاهرة ، ليكتنفها كلها ويلبث للآلهة المغبوطين مقراً وطيداً .

« وولدت الجبال الشامخة ، مراتع الإلهات عرائس الوديان ... وأنجبت دون ارتياد الحب البحر العقيم بُنطُس يزخر بأمواجه العاتية .

« واقترنت بابنها أرنُوس ، فولدت أمـة التيطان ومنها آخرونس وريئا ... وامة العمالقة الرعد والبرق والصاعقة ... وأمة العماليق « اصحاب المئة يد والخمسين رأساً » ، ثم الالهات الثائرات إلهات السخط والانتقام ، والعمالقة الأشداء حملة الرماح الفتاكة . واخيراً الاعصار تيفن او التنين تفيئُس »[1].

---

١ — (١) قد تقدم ذكر هؤلاء جيعا في كلامنا عن مبادىء الكون . ر الباب الاول ف ١ و ٢

٢ - فالأرض إذن أم الجميع وهي والدة الالهة طراً أوجدتهم، ولكن ابنتها ريثا ماعتمت ان ثابت منابها وحلت في قلوبهم محلها . وتغلبت ريثا على أمها غيثا ، وإنطوت عبادة الجدة الأولى ، وازدهرت عبادة ام الالهة الأولمبيين .

٣ - ريثا وكفيلي أو ريثا - كفيلي :

١ - يبدو ان الالهة ريثا كريتية الأصل ، وان كفيلي افريغية المنشأ عرفت عبادتهـــا في كريت ومنها إنتشرت في بلاد اليونان ، الصغرى منها والكبرى . ثم امتزجت الالهتان واختلطت معـالم الواحدة بمعالم الأخرى ، وبرزت هذه وتلك بوجه مشرق واحد .

اقترنت ريثا ابنة تتيثا ، أو كفيلي ابنة غيثا ، بأخيها التيطان اخرونس ، فانجبت كما رأينا سلالة الآلهة الأولمبيين الكبـــار : زفس وبسذون وآذس ، وهستيا وهيرا وذميتر . وبعد ان ابتلع الزمان ابوهم العدد الاكبر منهم ، عاد وقاءهم بفعل مقيء هدت زفس اليه بنت عمته ميتس . ولذا دعوها أم الآلهة ، والإلهة الجدة والالهة الطيبة .

٢ - وقد مثلت ريثا او كفيلي الأرض في مظهرها البدائي ،وطبيعتها الموحشة ، بجبالها ومغاورها ، وآجامها وغاباتها ، وكنوزها وثرواتها الدفينة . وتمثلوها في هيئة امرأة كريمة مهيبة وقورة ، يكلل هامها تاج ذو ابراج ، تشير الى المدن التي تدافع عنها الالهة . وقد جلست على عرش احدقت به الأسود ، أو اعتلت مركبة جرتها الضواري عينها . فهي أم الطبيعة بكل غناها ، ومن هنا دعيت ثروة او كنزاً .

٣ - وقام على خدمة هذه الإلهة طائفة من الكهـــان ، نسبوا الى

كريفس احد ابنائها ، او الى الجنية كفيرا احدى أعراس هيفستس ، او الى الجنية إيذا فدعوا باسمها ، وأطلق عليهم ايضاً اسم غالي وذا كتيلي و كوريتس. وهم الذين حدبوا على طفولة زفس ونجّوه من ازدراد الزمان له .

وفي شعائرهم الدينية كان اولئك الكهان يدمنون الرقص ، على عزيف المزمار وطنين الطبول ورنات الصنوج . واذا استفزتهم النشوة ، استسلموا الى حركات خليعة ، وجلدوا انفسهم بالسياط ومقارع من كعاب ، ويبلغ بهم الهيجان الى ان يشطبوا أجسادهم بالسكاكين ويقطعوا اعضاءهم ويتخصوا .

٤ — وقد قرنوا هذه الإلهة في افريغيا ، بإله مجهول الحسب والنسب ، لا تعرف بالضبط هويته . وقد قيل انه راع من تلك البلاد ، هويته كفيلي واتخذته كاهناً لها ، وفرضت عليه عيشة التبتل . فصعبت عليه العيشة وأخلف بوعده واقترن بابنة نهر سنغاريس . فحنقت الإلهة لخيانته واصابته بالجنون ، فبتر في احدى ثوراته نفسه وغدا من الخصيان . واذ عاد الى إهابه ، هم بقتل نفسه ، فاحالته الإلهة العاشقة الى كوز صنوبر . وقيل ان زفس سلط عليه ، غيرة وحسداً ، هلوفاً كاسراً أودى بحياته .

٥ — واقترنت كيفيلي بغرذيس ملك افريغيا ، المشهور بعقدته التي لا تحل . وقد أحسن الاسكندر حلها ، فبترها بسيفه . وأنجبت الالهة من زواجها ذاك ابناً ذائع الصيت ، خلف اباه على العرش ودعي باسم ميذس .

وقد احسن ميذس ذات يوم الى سيلنوس ، وكان هذا الصطر ، مربي ذيونسس ، قد ثملى من النبيذ على ضفاف سنغاريس وسكر . فآواه وعامله بمروءة ورفق . فحسن هذا الصنيع في عيني إله الخمرة ، وخير الملك ميذس في ان يختار ما يشاء ، فتحقق له أمنيته . فالتمس ميذس ان يستحيل الى ذهب كل

ما يلامسه . فكان له ذلك ، واستحال له الطعام ذاته الى نضار . فحزن ميذس وشق عليه الامر جداً . فتحنن عليه الاله وأمره ان يغتسل في نهر بَاكْتُلُسْ. فاغتسل وطفق النهر من ذلك الحين ، يزجي في مياهه قصاصات من ذهب .

٦ . ولما حكم مِيْذَسُ لِمَرْسِيَّسَ بالتفوق في العزف على المزمار ، عندما نافس الاله أبولن ، حنق هذا الاله وأعطى الملك المغفل أذني حمار . فسترهما ميذس بقبعة افريغية . ولم يدر به احد سوى حلاقه . وقد فرض عليه الملك ان يحفظ السر تحت طائلة الموت . فضاق صدر الحلاق بسره ، فاحتفر في الحقل حفرة على ضفاف نهر ، وبـاح بسره للارض . فنبت القصب في تلك الحفرة ، وراح يردد كلما هزه الريح : « ميذس الملك ذو اذني حمار » . واذ شاع على ذلك الوجه سره ، شرب من دم ثور وانتحر .

* * *

الفقرة الثانية

ذِميتِر إلهة الزرع والضرع

١ § – منشوءها وميزاتها .

١ – ذِميتِر اخت الاله زِفس ، وابنة رِيئا واخرُونُس . وقد ابتعلها أبوها كأغلب إخوتها وأخواتهـا ثم عاد وقاءها . وهي عندهم إلهة من إلاهات الارض القديمات . ولكنها إلاهة الخصب والاهة الزراعة ، والهـة الزرع والضرع ، والخضار والاثمار ، وما تؤتي الأرض من خير وبركات . فهي حامية الفلاحين وصائنة جهودهم وعرق جبينهم . وهي تنمي مواسمهم وتحفظهـا الى آن الحصاد . وقد كرسوا لها من الحبوب الحنطة والشعير . وصوّروهـا بهيئة الأمهات ، تحمل في يد سنابل القمح ، وفي الاخرى سنابل الشعير ، مع زهر الخشخاش الذي أكرموها به في تقادمهم . وقد التفّت الحيايا على كيلتـا يديها . ومثّلوها ايضا في بعض الانحاء كما في أرْكَذِيَّا ، برأس فرس او ثور ، وقد رفعت في يد ذلفينًا وفي الاخرى حمامةوادعة . كما رسموها غالبا مع ابنتها كوري بثياب جميلة فضفاضة والتاج على رأسها والمشعل أو الصولجان في يدها .

٢ – أحب الاقدمون تلك الالهة ، ورأوا في عطفها حنان الامهات . فهي من الآلهة التي حدبت على البشرية في رأفة ولهفة ، واغدقت على بني الانسان آيات الحضارة وسوابغ الاحسان ، ومن جملتهـا سنة الزواج ، وسموها لذلك تِسْمُفُورُس ، الالهة المشترعة .

وقد عبدوهـــا في الأتِّكي والأرْغُليس وأرْكَذيّا وجزيرتي ذِيلُس و كريت وآسيا الصغرى وصقليّة . وشادوا لها الهيا كل غالباً في وسط الآجام . وحوطوا شعائر عبادتها بكثير من الكتمان . واعتادوا ان يحفروا في الارض ابان الحفلات حفراً ، دعوها تاميغَرا ، وان ينذوا فيها الضحايا الحيّة لاسيا من صغار الخنازير .

٢ § — مشاكل ذِميتِر وابناؤها .

١ – عُرفت الالهة ذِميتِر بجمال باهر ، وقد كانت شقراء ذات شعر ذهبي ناعم . وعلى مهابتها وجلالهـا ، فقد شغف بها اخوها بُسِيذُون وراودها مراراً على ذاتها . فنفرت منه وأمّت اوجاء اركذيا . وتنكّرت هناك بشكل حيجْر . واختلطت بخيل الملك أنْكُس . لكن عابدها اكتشف مكمنهـا ، واتخذ هو ايضا هيئـة جواد وخالطها . فانجبت له حصاناً بقدمي انسان وقائمتي جواد . ويحكى انهـــا عادت فولدت له ابنة لبث اسمها مكتوماً ، فلُقّبت بلقب متسلّطة .

٢ – واغتاظت الالهـة غاية الغيظ من فعلة أخيها النكراء . وهجرت ديار أولِمبُس ، وتنكرت بزي الهـة ثائرة ، من إلاهات السخط والغضب ، وقبعت في احـد الكهوف . لكن زفس لاطفهـــا وابدى لها غاية الرفق ، فتطهّرت في مياه لاذُن،نهر من أنهار إيلس ، في شبه جزيرة اليونان . وعاودت مساكنة الخالدين . إلا أن زفس أبا الارباب كان قد شغف بها في تلك الاثناء، فهربت منه واستحالت الى مهاة ، فاتخذ هوشكل ثور وحشي وغشيها،فانجبت له ابنتها كوري ، إلهة الفلاحة والحصاد .

وعلقت ذِميتِر مـــع كلّ رصانتها ، بطلاً من ابناء زفْسَ يدعى

يَسـيِّنْ ، فاقترنت به في اخاديد الحقول ، وقد شقتها سكة الفلاح . وعاشت مع حبيبها أعواماً وسنين ، في وئام وسلام وصفـاء كبير . فانجبت له مولوداً اسماه الثراء . وزعم بعضهم ان ابا الآلهـــة رشق يَسـيِّنْ في حقوله باحدى الصواعق الماحقة ، بدافع الحسد واعتلاج الغيرة .

٣ § – مصابها بابنتها بِرْسِفُوني

١ – خصّت الهة الزرع والضرع ابنتها كوري بمحبة خارقة ، وفضّلتها على كل ابنائها وبناتهـا . وفيما كانت تلك الفتاة الطروب ، تتنزه ذات يوم في الحقول ، وتقطف الازهار والرياحين ، اذا بنرجسة بديعة تسترعي انتباههـا . فدنت الالهة لتأخذ تلك الزهور الفاتنة ، واذا بالزهور تتباعد وتغور في أعماق الارض ، واذا باليابسة تموج بها كاللجة ثم تتفتّـح فجأة ، ويبرز منها اله رهيب يخطف الفتاة المحبوبة ، ويهبط بها الى اعماق الجحيم ، على عربة تجرّها التنانين .

٢ – فاستغاثت بِرْسِفُوني بلوعة ، وصاحت بهلـع صيحة اليأس . فسمعت امها تلك الصيحة ، ونهش الحزن احشاءها فقالت : « واحسرتاه عليك يا كوري ، لقد فُجعتُ فيك ياحبيبة الروح !... واحرّ قلباه عليك ياولدي ، فماذا دهاك يا بهجة امك ؟... » وعصبت رأسها بوشاح الحداد وحطت على الارض كالعقاب ، وطفقت تجوب الآفاق والقفار وتقطع الانهار والبحار ، سعيا وراء المجرم الاثيم الذي سلبها فلذة فؤادها . وبعد تسعة ايام وليالٍ ، وقد اضناهـا العياء واللغوب ، حنّت عليهـا الجنية أرثوسا ، احدى وصيفات أرْتِيميس ، وهدتها الى سواء السبيل ، اذ شهدت وقوع الحادث الاليم .

٣ وأخبرها هيلِيُس الذي يرى كل شيء ، ان الخاطف الجـاني هو سيد الجحيم ، لأن زِفس سمح لأخيه آذس ، ان يتخذ بِرْسِفُوني حليلة له .

فصعقت دِميتِير لهذا النبأ ، وشق الأمر عليها جداً ، فتركت قصور أولِمبُس ، وراحت في زيّ عجوز كسيرة البال ، تضرب على وجهها في متاهات البلاد ، حتى أدّى بها المطاف يوماً الى مدينة إلِفْسِيس .

وصلت الإلهـــة عند الأصيل ، وجعلت تتحدث الى بعض الفتيات جلسن على العين في اول البلد . واخبرتهن ان غزاة حملوها من جزيرة كريت الى تلك الاصقاع النائية ، وانها تبغي مأوى وعملا وان كان وضيعاً ، عمل حاضنة او خادمة .

٤ – فأسرعت الأميرات ونقلن الخبر الى امّهن مِتانِرا . فبادرت الملكة واستحضرت المسبيّة الغريبة ، وأكرمتها غاية الاكرام وحفّتها بالتجلة والاكبار ، لمّا رأت دلائل العظمة والكمال بادية على شخصها ذي الجلال . فتنازلت لها عن العرش ودعتها الى الجلوس عليه . فرفضت الالهة الملوّعـــة . وما برحت إيمْبِي ابنةُ الصدى والفزع ، تداعبها وتلاعبها وتهزل امامها وتهرّج لهـــا ، حتى موّهت قليلاً عن نفسها وأزالت طرفاً من حزنها وبدّلت وحشتها بإيناس .

وادعى بعضهم ان فَبُّو حاضنةَ رِيئا ، هي التي قشعت الهمّ عن نفس دِميتِر ، إذ قدّمت لها الشراب عبثاً ، وحاولت طويلا دونما جدوى . ولما فشلت في كل ملاطفة ، استدارت وكشفت عن مؤخرها وقالت لها القول المأثور . فسُرّي عن دِميتِر المفجوعة وضحكت لحاضنة امها .

٥ وعهدت مِتانِرا ، امرأةُ كِلِيئُوس ملك إلِفسِيس ، الى الغريبة عابرة السبيل بحضانة طفلها الرضيع دِمُفُون . فجعلت الالهة تدلكه بالعنبر ، وتضمّخ جسمه بأطياب الآلهة ، وترمي بـــه في وسط اللهيب لتمحو منه آثار

البلاء ، وتنزع عنه اسباب الفناء . ولمّا انصرفت الى ذلك ذات يوم ، دهمتها متايزا على حين غرّة ، وذعرت الام من ذلك المشهد ، وصاحت بها من شدة الهلع . فلامتها الالهة في قلة فهمها ، وتجلّت لها في سناء الالوهة . ثم توارت عن ناظريها .

ولكن الالهة المحسنة قبل ان تغادر القصر، اهدت بكر ملك إلفسيس كيلًا من السبل الذهبي ، وعلمته الفلاحة والزراعة ، واستعمال المحراث والثيران. ووضعت تحت تصرف أتريبتولمس عجلة تجرها التنانين ، ليجوب بها ارجاء المعمورة ، ويعلم البشر فنون الحراثة . فطاف الشاب بلاداً كثيرة . وجاء مقاطعة أركاديا ، حيث علّم الملكَ اركانَ صناعة الطحن والخبز .

٦ — وبعد الترحال والتجوال ، استقرت الالهة الحزينة في هيكلها الكبير في إلفسيس . ولكن لتبدي استياءها للملأ من خطف وحيدتها كوري ، منعت الاشجار ان تؤتي حملها ، وضربت المروج والحقول بالقحط . فاجدبت الارض سنة كاملة وساءت حال الانسان والحيوان ، وصرخ الجميع الى رب الأرباب . فانتدب إيرِسَ الى اخته الغضبى ، وفاوضها في امر الصلح ، وتسوية الامور بينها وبين آذس ، كي لا يهلك الانسان والحيوان . ولكنها رفضت كل مفاوضة ما لم ترَ ابنتها الحبيبة .

فهبط هرميسُ الى اعماق الجحيم ، وبلّغ آذس ارادة اخيه زفس ، بأن يعيد برسفوني الى النور . فامتثل آذسُ امر اخيه زفس ، ولكن قبل أن يُطلق قرينته الى النور ، أطعمها بعض حبات الرمّان . وكان تناول هذه الثمرة ، يجعل رباط الزواج ثابتاً غير قابل الانفصام .

٧ - وما ان برزت الالهة من الأرض ، حتى اقبلت عليها أمها وبادرت وسألتها بلهفة : « حبيبتي كُورِي هل أكلت في الجحيم شيئاً ؟ اذا لم تتناولي طعاماً بعد ، نعود معاً الى ديار الخالدين ، وأنعم بك أبـد الآبدين . وإلاّ اضطررتِ الى سكنى الجحيم ، وحرمتُ من بهجة طلّتك يابهجة الروح . » فاطلعت الفتاة امها الرؤوم على ما حصل لها في الجحيم . وجزعت ذِميتر من ان تفقد وحيدتها من جديد . لكنّ زفسَ أبا الآلهة ليخفف لوعة اخته ذِميتر ، قرّر أن تبقى معهـا ثلثي السنة ، وان تلبث الثلث الثالث في الجحيم . فقبلت الالهة بذلك الحلّ ، ولذا تبقى الأرض مكفهرةً في الشتاء ، وتتشح أبهى الحلل في الربيـع ، وتزدان في الصيف بالازهار والثمار .

§ ٤ - أسرار إِلفسينس .

١ - لقد أحبّ الاغريق تلك الرزايا التي مُنيت بها إلهـة الزرع والضرع ، وراموا أن يُحيوها في مجتمعهم ، ويخلّدوا ذكرها في شعائرهم الدينية . فاحتفوا باختطاف كُورِي في الأعياد التي دعوها تِسْمُفُورِيا ونسبوها الى ذِمِيتِرَ الالهة المشترعـة ، واضعة سنة الزواج وصائنة قدسيته . فكانوا يقيمون تلك الاعياد في مطلع تشرين الاول ، فتدوم ثلاثة أيام ، ولا يشترك فيهاسوى النساء والمتزوّجات ، أما عودة الالهة المسبيّة ، فكانوا يجذلون ويبتهجون بها مع ذِمِيتِر إلههم المحسنة ،في اعياد إِلِفْسِينِيا الصغرى ، وقد كرّسوا لها ثلاثة أيام في مطلـع شهر شباط ، وأقاموا شعائرها كل سنة بقرب أثينا على ضفاف نهر إِلِيسُوسْ .

٢ وأكرموا الابنة والوالدة معاً في أحد اعيادهم العظمى ، عيد الالِفْسِينِيا الكبرى . وقد عيّدوه كل خمس سنين . فتتعاقب الاحتفالات

فيه مدة تسعة أيام ، بين أثينا وإلِفْسِيِسْ ، في منتصف شهر ايلول ، أي في آخر الصيف وابتداء الخريف .

ففي اليوم الاول من العيد ، ينتظم شبان الأثينيين في موكب حافل، ويتجهون الى مدينة صغيرة اسمها إلِفْسِيِسْ ، تبعد عن أثينا ستةعشر كيلو متراً ، وتقع الى شمالها الغربي على خليج سارونيك . فما أن يُطلّوا على تلك البلدة الجميلة الزاهرة ، الزاهية المزدانة بجنائنها الغناء ، ومصايفها الانيقة الحسناء ، وهيكل ذِمِيتِيرْ الرخامي البديع (١)، حتى تتعالى أصواتهم بالهتاف لالهتهم البهية الشقراء ، ويلجون حصن الهيكل ، ويتناولون من ايدي السدنة والكُهّان الاواني المقدسة وأدوات الذبائح ،ويعودون بها الى الالِفْسِينِيِّن ، في سفح قلعة أثينا ، ويضعونها هناك على مذابح ذِميتِيرْ .

٣ — وفي اليوم الثاني ، يتجمّع المطّلعون على أسرار الالهة الشقراء ، من النجباء ورؤاة ، وينحدرون هم وخنازيرهم الى البحر ، وهناك يغتسلون ويغسلون الاضاحي ، ثم يقفلون راجعين الى المدينة ، وعلى رأس موكبهم رئيس الكهنة معلن الاسرار (١) وعندما يبلغون هيكل الالهة المعروف بهيكل إلِفْسِينِيُّنْ ، يتّشح رئيس الكهنة بطيلسان مخملي ، نثرت عليه نجوم من نضار ، ويعتصب باكليل ذهبي رصّع بالحجارة ، ويباشر الصلاة وتقديم الذبائح .

٤ — وفي اليوم الثالث ، يمضون من جديد في موكب مهيب الى هيكل إلِفْسِيِس ، حاملين أواني التقديس وعُدّة الذبائح . وهنالك بالصوم

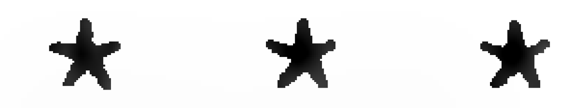
٢ — (١) بني ذلك الهيكل الفخم من رخام جبل بنتليك ، وبلغت مساحته طولاً مئةوثمانية عشر متراً ، وعرضاً مئة متر .

٣ — (١) هذا تعريب اسمه اليوناني هيرفانتس .

والصلاة والعكوف على شعائر العبادة ، كانوا يستعدون للاستنارة العلوية .

فتتم تلك الاستنارة على مرحلتين . في المرحلة الاولى يدخل طالبوا الاستنارة الى موضع من الهيكل ، يدعى تِلِستيريُن أي موضع الكشف أو تتمة الاسرار ، وبعد تناول الكعك ومزيج من الشراب ، يَحضُرون مأساةً دينية ، تمثّل لهم اختطاف الالهة الفتاة پرسِفُوني .

أما الرؤاة أو الافُوري ، فكانوا يَشهدون في الهيكل تمثيلية أخرى ، موضوعها اقتران زفسَ باخته ذِميتِر ، فيُمثّل فيها دورَ زِفسَ معلنُ الاسرار الهيير ُفانتيس ويُسند دورُ ذِميتِر الى كاهنتها العظمى . وقد حرموا الزواج على هذه وذاك ، الا في تلك الحفلة الكبرى . وربّما أشاروا بتلك الشعائر الى قدرة إله العناصر الجوية ، والى إحسان إلهة الزرع والضرع .



الفقرة الثالثة

فاكخس أوذيونسس اله الخمرة

١ ـ منشوءه ومولده :

١ . أصل عبادة اله الخمرة من ثراقية ، جاء بها اهل القبائل التي اجتاحت بلاد فيثيية في شمال اليونان ، ونقلوها من هنـــاك الى جزيرة نكسس ، فتأصلت في الجزيرة وتغلغلت منها الى جزر الأرخبيل ، ثم عادت أخيراً الى أرض اليونان ، الى الأتيكي وشبـه الجزيرة اليونانية ، وسائر بلاد الاغريق الصغرى والكبرى . ومن المحتمل ايضا ان يكون منشأ تلك العبـادة آسيويا هنديا فارسياً ، كما سنرى في اسطورة حياة ذلك الإله .

٢ ـ والد ذيونيسس زفس ابو الآلهة ، وامه سميلي ابنة كاذمس ملك ثيفة واخي إفروبي . لاحظ ملك الارباب نعومة سميلي وبهجة طلعتها ، فأحبها وأخذ بغرامها ، وجعل يتردد عليها وهي تبادله الحب . فاتقدت غيرة هيرا واستشاطت الالهة غضباً عليها . وتزيّت بزي وصيفتها ، ودنت منها وقالت : « يابنيتي سميلي ، إن الاله الذي يرتاد مضجعك ، لعله يكذب عليك ، وكأني به ليس الاله زفس . فالتمسي منه ان يبدو لك في أبّهة عظمته ومجد اقتداره ، فينقشع الشك عن نفسك وتثبت لك صحة هويته » .

٣ ـ ولما مضت الطاغية المضلة ، لبث الشك يراود قلب سميلي ويضايق

الريب قلبها ، ورغبت رغبة ملحّة ان تعرف شخص حبيبها الالهي ، في وضح حقيقته . فطفقت عندما دهمها ، تبكي وتُلحّ عليه كي يتجلى لها في ضياء اقتداره. فمانعها وحذّرها من فضولها ، ولكن الهوى سيطر على تفكيرها ، وأبت مهما كانت العواقب ، إلا ان يُظهر لها سنى لاهوته ، وبهاء عزته وجبروته .

٤ - فانقاد الاله حزيناً مكتئباً . وما كاد يبدو ضياء اللاهوت حتى أحرقت نيرانه جنبات القصر ، والتهم اللهيب الفتاة الغِرّة . وقبل ان يصل اللظى أحشاءها ، مدّد زفس غصون الجفان على جدران مخدع سميلي ، فخففت أوراقها حدة النيران ، وحالت دون احتراق الجنين البريء . فانتشله زفس وحشره في فخذه ، ونما هناك نموه الطبيعي ، متغذياً بدماء ابي الآلهة والبشر . ومنذئذ ذهب مذهب الامثال سؤ لهم: وأتندر من فخذ جبتير[1] ؟ ، ولما آن أوان الوضع ، استدعى زفس قابلة الالهة ، فساعدت إليثيا أبا الارباب ، وولد ابنهُ ذيونسس وهو يعاني آلام المخاض ، ويصرخ صراخاً من شدة الطّلق . وأخيراً وضع ابنه وعهد به الى خالته إِنُو ملكة أرخمنيا .

٥ - هذا ما اتفق عليه عندهم علماء الدين والتاريخ . ولكنّ جماعة زعمت أن كاذمُس عرف سوء تصرف ابنته ، فوضعها هي وطفلها في سفط والقاها في البحر . فعام السفط على وجه الماء ، وبلغ ساحل افرسيّة ، في شبه جزيرة بيلبس . فأخذ الصيادون السفط وحملوه الى اميرتهم إنُو امرأةَ أثامَس ملك أرخمينُوس . فوجدت اختها سيميلي ميتة والطفل على قيد الحياة .

٦ - ولكن ثار هيرا لم يهدأ ، فابتلت إنُو وقرينها بمس من الجنون. الا أن زفس ما انفك يسهر على ابنه وحبيبه ذِيُونِسُس ، فأحاله الى جدي

---

٤ - (١) جبتير او يوبتر باللاتينية تعادل زفس باليونانية .

رضيع ، ودفعه الى هرْميس . فأخذه ساعي الآلهة وعهد به الى عرائس جبال نيسا في شمال كريتا على حدود ليذيا ، فعطفن عليه واعتنين بأمره وربينه خير تربية . يساعدهن في هذه المهمة الجليلة رهط من الصّطر والسيليني (١) ، وجماعة المناذس وهن النساء اللائي احببن اله الخمرة حباً جنونياً ، وشغفن به فزاغ رشدهن ودُعين « الهائمات » ، وقد اسهمت إلاهات الفن والموسيقى في تهذيبه والسهر عليه .

٧ – اما عرائس الجبال اللواتي حدبن عليه وضحّين في السهر على حداثته ، فقد كافأهن زفس وأحالهن الى نيّرات ساطعات في رأس برج الثور واطلق عليهن اسم هياذِس أي الكواكب المَمطرات .

ولما شبّ ذيونيسُس وترعرع اخذ يجوب الغابات والحدائق في سفوح الجبال واغوار الوديان تصحبه عرائس الارض وربات الجمال ، وهامات الجميع مكللة بأكاليل اللبلاب والغار . واكتشف ذيونسس عصير الكرمة ، فادمن معاقرته واصيب بالجنون . لكن مربيه سلنوس ، الساهر على تهذيبه وتعليمه ، قصد معه سنديان ذذون ، وسألها عن وسيلة لشفائه . واجتاز لبلوغ تلك الأجمة ، مستنقعاً على ظهر حمار ، كافأه الاله بهبة النطق .

ولما تداوى الاله السكير ، وعاد الى صوابه ، طفق يجوب الآفاق ، لينشر فوائد الخمرة ، ويحمل الناس على عبادتـــه . ولكن قبل رواية تلك الاسفار ، لا بد من تعريف حاشيته وعرض طائفة من اهل بطانته .

---

٦ . (١) السلني او السيلبني عند الرومان ، هم ضرب من الجن تصورهم الاقدمون بهيئة الانسان وحوافر وذيل واذني الحصان . وكان هذا النوع من الجن يسهر ايضاً على الغدران والينابيع ، كما سترى بعد قليل .

٢ - بطانة ڤيثوليسس وحاشيته من الانس والجن .

اعتاد الأقدمون في اعياد القطاف ، ولا سيا في قطـاف العنب ، ان يحتفوا بإله الكرمة ، فيعقدون اكراماً له حلقات الغناء والرقص ، ويقيمون على شرفه مآدب وولائم صاخبة ، امتازت غالباً بالقصوف والعربدة والمجون .

وقد رموا من وراء ذلك إلى التشبه بالمهم الخليع ، وإحياء ذكرى موكبه الماجن ، الذي لمّ لمامات شتى من مومسات ، دعين هائمات ومعتوهات(١) ، وعرائس جبال أو تلال ، ووديان وجنان ، وبحيرات وغدران ، وغابات وعيطات . كما ضم زمراً من الصَّطـرِ والسيليني والكيـنتـغري ، عـدا بانّ وأرمستيـفس وابْرِ يَبْس .

١ - جماعة الصَطَرِ

١ - اعتقد اليونان ان البحار والأنهار والحقول والسهول كالبحيرات والغابات آهلة بالأرواح ، تظهر فجأة للرعاة كما تظهر للمسافرين ، وتذعرهم باشكالها الغريبة . وقد تمثلوها في هيئة التيوس والقرود ، لها من القرود الجباه المائلة والعيون المستديرة والأنوف الفطسة ، ومن التيوس القرون والآذان المروّسة والذيول والقوائم والأظلاف .

٢ - ولكن ملامح الصَّطرِ قد نعمت ولطفت مع الزمن ، فاضفى القوم عليها قسطاً من الجمال والأناقة . ولم تعد جماعة الصطر كما كانت ، جماعة مستسلمة الى الاشر والبطر ، والى اللهو والخلاعة ، تتعقب عرائس الغدران وترعب الغادات في الوديان . بل حافظت على دعابتها ومرحها ، ومالت الى الفن

---

(١) هذا معنى كلمة مناذس اليونانية

والموسيقى . وزعم بعضهم ان الصطر اخوة عرائس الغاب ، وادعى آخرون انهم بشر من سلالة هِرْمِيس وإفْثِيمي شقيقة بِنِيلوبي ، وأن هيرا مسختهم قروداً ، لتوانيهم عن مراقبة ذيُونِسُس .

٢ - زمرة السيلينِي

١ وتألف موكب فاكْخُس من جماعة أخرى هي زمرة السليني . وما السليني الا طائفة من آلهة الحقول او بالأحرى من آلهة الجداول والغدران . وهي اقرب في قوائمها الى هيئة الخيل منها الى هيئة التيوس . تشبه جماعة الصطر في اخلاقها وتصرفاتها ، وتختلف عنها بقوائم الخيل وآذانها وسنابكها واذنابها . وما الصطر مَرْسِيَّس الا أحد افراد تلك الجماعة ، وهو إله من آلهة انهر افرِغيَّا في آسيا الصغرى . ويبدو ان السليني آلهة إغريقية الأصل .

٢ - أما سيلينُوس فهو شخص بارز في موكب الاله الماجن ، شخص دبّ فيه الهرم واضاءت صلعته ، واستدار كالوطب بطنه ، واحدودب أنفه وشمطت لحيته ، وراح يتهـــاوى من سكره الدائم ، يدعمه صَطر على اليمين وصطر آخر على الشمال . واذا ما تثاقل في المسير ، ودوّخ السكر رأسه ، رفعوه على متن حمار . بيد ان ذلك الشيخ تمتع بالعلم والحكمة ، وحدب على الاله الخمرة ، وسهر عليه وهذبه . وكان يعلم الغيب كله .

٣ رهط الكِنْتَفْري

١ - وواكب فَاكْخُس في حله وترحاله ضرب غريب من الجن دعوهم رهط الكِنْتَفْري ، اي هامزي الثيران . واصل هذه الآلهة الدنيا من تِسَّلِيَا حيث تكثر طروش الثيران ، يرعونها من على صهوات الخيل . وامتاز رهط

الكِنْتَفْرِي بجسم حصان كامل ، تفرع منه جزع رجل كامل ، ببطنه وصدره ويديه ورأسه .

٢ – وفطرت تلك الجماعة على الخشونة والقسوة ، وعرفت بمجونها وفظاظة طباعها . وفِذِيَّس أول من نحت تماثيلها على هذا الشكل . ويقال عنها انها تنحدر من اكْسِيُّنَ بن آرِس اله الحرب . وتنافر اكْسِيُّنُ وصهره أبا خطيبته ، فاستدعاه واحتال عليه ورماه في اتون . فاستشاط الآلهة غضبا عليه والتمس حماية زفس واستضافه . فاضافه رب الالهة . ولكن اكْسِيُّن في قحته طمح ببصره الى هيرا شريكة زفس في عرشه .

٣ – فقدم زفس له غمامة ، اضفى عليها شكل هيرا وملامحها . فولدت هولةً لإكْسِيُّن ، فاطلق عليها اسم كِنْتَفْرُس . واقترن ذاك الكائن الهجين بافراس جبل بِلِيُّن ، فانجبت الافراس له جماعة الكِنْتَفْرِي .

واشتهر بالحكمة فيهم فُولُس الذي اضاف هِرَكليس ، وخِيرُن مهذب بعض الابطال ، وقد تلقَّن الفضيلة والعلم من أرتميس واخيها أبولن .

٤ – اما الكِنْتَفْرُس إفرِتِيُن ، فقد حارب شعب اللبيثه ، وذلك ان ملكهم بِرِيثُوُس كان قد دعاه الى حفلة زفافه على هِبُذَميا حفيدة آرس . فتملى الكنتفرس من الخمر وثمل ، وفي نشوة الطرب رام ان يخطف الفتاة . فمنعه عن ذلك سثفس . فمضى واستنجد بامته وعاود الكرة ، وقد تسلح هو وجيشه بجزوع الصنوبر وصخور ضخمة . واشتبك الفريقان وأبلى سثفس وملك تسليا بلاء حسنا ، وفازا بخصومهما الاشداء . فطُرد الكنتفري الى حدود إيبرس ، ولجؤوا الى سفوح الجبال هناك .

٤ ــ عرائس الغابات والآجام :

١ ــ قد يظن المرء ان الخشونة والفظاظة والعنف سطت على حاشية "فا" كخس ووصمتها وصمة شائنة . الا ان الواقع أنعم وألين وألطف . لان تلك الحاشية والبطانة تألفت خصوصاً من جماعة الوالهات وامة عرائس الآجام والغابات . وعرفت تلك الامة ، كما عرفت الهات الاناقة والفن ، بالنعومة والرقة والظرف ...

٢ وامة العرائس من الجان ضروب وانواع . فهناك عرائس المغاور والجبال المدعوة أو آذس ، وعرائس الآجام المقدسة والأدغال ، المسماة ألسئيذس وهلئورس ، وعرائس الوديان وغابات السنديان المعروفة باسم أفلنياذس وأذرياذس . وهناك عرائس غيرها كثيرات ، كعرائس الغدران والأنهار والبحيرات والغابات والادغال والبحار . وتلك الجنيات جميعها شبيهات بعضهن ببعض ، يعشن في الدعة والسلام ، ويصحبن الالهة والالاهات ، ويوفرن لهم شتى الخدمات .

٣ ــ وقد كان في بطانة هيرا ، عروسة من عرائس الجبال ، بهية مرحة مهذار ، اسمها إختُو أي صدى الأقوال . وكانت تلك الجنية الفاتنة كلما رأت رب الأرباب يغازل احدى الفتيات العذاب ، تحاول لتعلقها بزفس ، ان تلهي عنه قرينته هيرا ، بالغناء والرقص وطريف الألعاب ، فلم يمض على الأمر زمن طويل حتى عرفت هيرا مكر الماكرة ، فحرمتها الافصاح وسهولة التعبير ، ولم تدع لها سوى ترداد المقطع الأخير من كل كلمة تقال أمامها أو يلفظ بها بصوت جهير .

٤ واحبت إخُو شابا رائع البهاء ، ولكن لما عجزت عن ابداء حبها له ، اعرض عنها ذلك المحبوب ولم يبالِ بشغفها المذيب ، فاعتكفت في كهف منفرد . وذوت هناك من فرط الهيام . واستحالت عظامها الى صوان ولبث صوتها يتردد على الدوام .

٥ ـ اما نار كيسس حبيبها القاسي الصدود ، فقـــد غضب عليه الآلهة والانام ، لانه رذل حب تلك الغانية ، وفرضوا عليه ان يهيم بصورته . وكان العرّاف ترسيّس قد تنبأ ان الفتى سيظل حيا ما لبثت صورته محجوبة عن ناظريه . وذات يوم ، بينما كان يغتسل في عـين مـــاء ، شاهد محيّاه على صفحة المياه الصافية المترقرقة ، فسبى لبّه ذلك المنظر الاخاذ ، ولم يستطع ان يحول بصره عنه . واقام على تلك الحال وهو يذبل يوماً بعد يوم كزهرة غضة زاهية ، لفحتها حرارة الهاجرة،فذوت وذبلت وتلاشت . ولما قضى نار كيسس متيما والهاً ، تحول الى زهرة جميلة تحمل اسمه ، ألا وهي زهرة النرجس .

٦ ـ ونشأ في سفوح جبل إتنا شاب وسيم بهي الطلعة اسمه دافنيس . وكان ذاك الغلام ابنا لهرميس واحدى عرائس الجبال . وقد تركته امـه بين الادغال فالتقطه قوم من الرعاة فنشأ نشأتهم وتخلّق باخلاقهم . ورأته عروسة من عرائس تلك البلاد ، فاضطرم قلبها بحبه وصادقته ، وعاهدها وعاهدته على الوفاء والامانة ، ما دام احدهما في الحياة على ان يفقد الخائن البصر . ولكن احدى الاميرات في تلك المقاطعة واسمها خيميرا سقت الشاب خمراً وعسلا واسكرته حتى فقد صوابه . فحنث عندئـــذ بأيمانه، وابتلته الآلهة بالعمى . فانصرف ليروّح عن نفسه ثقل البلية ، الى الشعر والغناء والموسيقى . فغدا

عندهم ابا الغناء وواضع الشعر الرعوي . وقد وقع يوماً من صخرة عاليه فاندقت عنقه وقضى هكذا نحبه .

• - الاله بانْ وأورسْتيفِس وأبْرِيَبُس

١ - نشأت عبادة هذا الاله في أرْكَذِيّا ، ولبثت مقصورة على تلك المقاطعة حقبةً طويلة من الزمن . ثم انتشرت في ارجاء مختلفة ، وعمت كل بلاد اليونان والرومان . هذا ، وقد اختلف المدققون في اصل ذاك الاله وفي نسبه ومعنى اسمه .

٢ - ولكن القسم الاكبر منهم اجمع على انه ابن هِرْميس من ابنة الملك اذْرِيُبْس . وكان الاله قد كُلف برعاية قطعانه ، أو من بِنيلُوبي امرأة أذِسفْس ملك إثاكي . وقد دنا منها ساعي الآلهة ليراودها بهيئة تيس ، فأنجبت له ابنا استعار من الجدي وبره وقائمتيه الخلفيتين وقرنيه الصغيرين . ولذا ضموه الى بطانة ذِيُونيسُس ، وجعلوه فرداً من افراد حاشيته المؤنسة ، لشدة التشابه بينه وبين جماعة الصَّطَرّ .

٣ - كان الاله بَانْ فوق كل شيء الها راعيا ، يعيش في الآجام والأدغال ويسهر على المواشي ، ويصد عنها هجمات الوحوش الضارية . وقد أَلِف خصوصا منحدرات جبال مِنَالْ وكهوف هضاب لِكيِيْئُس . وفيها قصده الرعاة ليؤدّوا له فروض العبادة ويلتمسوا منه الخصب لطروشهم وقطعانهم . وقد اكرمه الصيادون ايضا لانه كان بشكله المخيف يوقع الطرائد في حبائلهم . واذا اخفقوا في صيدهم وخالفهم الحظ ، انهالوا على اصنام ذلك الاله وأوسعوها لكماً وجلدا .

٤ – ولم يكن وجه الشبه كبيراً بينه وبين معشر الصّطر في الجسم وتكوين الاعضاء فحسب ، ولكن في الطبـع ايضاً وفي الاخلاق . فقد اعتاد ذلك الاله الركض والقفز على ضفاف الغدران ، والسعي وراء عرائس الوديان ، يخيفهن بمنظره الغريب ، ويلقي عليهن الرعب بمهاجمتهن الفجائية . فقد دهم هكذا ذات يوم جنية لطيفة هيفاء ، اسمها سيرِنكْس أي القصبة الناعمة . فذعرت منه أي ذعر وهرعت الى أبيها نهر لادُنْ ،واستغاثت به وسألته أن يحوّلها الى قصبـــة ، لتنجو من شر الاله بّان . فاحالها أبوها ولبى رغبتها. وحاول الاله الخائب أن يعزّي نفسه ، فاقتطـع قصبة من ضفة النهر وصنـع لذاته مزمارا .

٥ – وقد طارد مرة أخرى عروسة الجبال بيتِيس . فحظي بها وفضلته على خليلها فريئس . الا أن ريح الشمال من غيرته المهتاجة ، هب على تلك الحظيّة الخائنة ورماها على صخرة ، فتهشمت يداها وساقاها . فحنت عليها الجدة الكبرى غيئا ، واحالتها الى صنوبرة . وقد اغوى بّان اله القطعان ربة القمر الالهـة سِليِنْني . ففي ليلة قمراء بدا لها بشكل كبش ناصع البياض ، فاستهواها وأهداها جلد عنزة بيضاء .

٦ – وكما قدمنا ، انحصرت عبادة بان في مقاطعة أرْكَدِيّا ، حيث ارتاح الإله الى اللهو والعبث ، والقاء الرعب على المسافرين . واذ اتسمت تلك المخاوف بصفة المفاجأة فقد دعيت المخاوف الفجائية مخاوف بانيكية ، أي شبيهة بالخوف والذعر الذي كان يطيب للاله بان ان ينشره . ولما وقعت الحروب الفارسية ، ظهر بان لوفدٍ أثيني جاء لمفاوضة إسبرطة . ووعد الاله ان يذعر الفرس وان يهزمهم شرّ هزيمة ان قبله الأثينيون في محفل آلهتهم وقدموا له

شعائر العبادة . وعقب موقعة مَرَتُون (٤٩٠ ق م) ، شاد له أهل أثينـــا معبداً في الأكرُبوليس ، شكراً له على مناصرته واعترافاً بجليل فضله .

٧ - بيد ان عبادة ذلك الاله ، الذي أثار شكله ضحك الآلهة ، ما انفكت تنمو وتزداد خطورة ، حتى غدا صاحبها في عيون القوم رمزاً للاله الأكبر ، الاله المهيمن على الطبيعة . وقد روى ابْلوتَرْخُس ان قبطانـاً في مروره بازاء جزر إخِينَاذِيس ، قد سمع صوتاً جهيراً مرياً يناديه على دفعات ثلاث ويقول : «اخبر في مدينة بلوذي ان بان الاكبر قد مات » . وقد وافق ذلك الحادث بدء ظهور المسيحية .

٨ -- وقد اكرمت كل مقاطعة من مقاطعات اليونان « بانها » ودعته باسم خاص بها . فاطلقت مقاطعة تِسَّلِيَا على « بانها » اسم أرِسْتِيفس ، وسمته مقاطعة مِيسيّا في آسية الصغرى ابْرِيَبُس . أما أرستفس الإله الجزيل الصلاح فهو في زعمهم ابن أرنُوس وغيئا اي ابن السماء والأرض . وقيل انه ابن ابولن و كريني . وقد زعم بنذوس في احدى اناشيده ان هرميس حمله بعد مولده ، ودفعه الى الجدة الكبرى والساعات ، فغذونه برحيق العنبر والنكتار ، وحولنه الى إله أزلي . فاصبح الالهزفس او الاله ابولن . وقد هذبه الكنتفرس خِيرُن ولقنه الطب والعرافة . وعدّه عابدوه حامي الزرع والضرع ، لاسيما الجفنة والزيتونة . وقد علّم الناس تربية النحل .

٩ - اما الالهابريبس ، فقدعبدوه في مدينة لامْبْسَكُس من اعمال مسيا وقد رأوا فيه مثالاً لقوة الذكور ورمزوا اليه بالذكرة . وزعموا ان امه خيوني او افرذيتي ، واباه ذيونس او أذنيس او بان او هرميس . ويحكى

في هذا الصدد ان هيرا قد ابتلت المولود بعاهة فظة ، وشوهته تشويهاً انتقاماً من الزهرة افرذيتي ، اذ نقمت عليها لفرط جمالهـــا . وازدادت نقمتها عندما احرزت منافستها قصب السبق في هذا المضمار . وكان ذلك الاله إلهاً للحقول ، يسهر على الحواكير والبساتين ، والحدائق والجنان الغناء ، حيث كانت توضع صورته الرمزية كما كان يرعى ممالك النحل ويهتم اهتماماً خاصاً بالطيور والاسماك .

٣ ـ أسفار ذيُونيسُس ومآثره .

١ ـ انطلق ذيونسس من مقاطعة تراكية ماراً بفيتيا ، ثم انحدر الى الأتكي . وهناك استقبله الملك إكاريس اجمل استقبال ، فأهداه الإله ثمار الكرمة وعلمه استخراج النبيذ . فشرب الملك وسقى رعاته . ولما ثمل اولئك الرعاة ، ظنوا ان الملك شاء تسميمهم فحملوا عليه وقتلوه . واذ ابطأ في العودة الى القصر ، جعلت ابنته تبحث عنه . فهدتها كلبتها ميرا الى قبر أبيها . وعندئذ شنقت إرغوني نفسها من فرط حزنها عليه . وشق الامر على ذيونسس ، وضرب نساء الأتكي بالجنون ، لأن رجالهن سببوا موت الملك وابنته . فنقلهما الاله الى السماء كما نقل كلبتهما ميرا ، فغدا إكاريس برج الراعي ، واصبحت ابنته برج العذراء ، وصارت ميرا نجمة من نجوم الجوزاء . (١)

٢ ـ ومضى من هناك الى مقاطعة إتليا ، ماراً برياض فكيس وحدائق لكريس . ولما بلغ مدينة كلذون ، حل ضيفاً على الملك إنفس . فرحب به واكرم مثواه ، وقدم له حسب تقاليد تلك البلاد امرأته الثيئا . فأحبهـا إله الخمرة وانجبت له ابنة دعاها ذيانرا ، ولمـــا شبّت وكبرت احبّها هركليس وشقي بسببها .

---

١ ـ (١) دعيت تلك النجمة شعرى ، وهي تطلع عند اشتداد القيظ .

ثم انحدر الاله من تلك الأرجاء، وأتى مقاطعة لكنيا، في شبه جزيرة اليونان. فاضافه ملكها ذين على الرحب والسعة، وتعلق ذيونسس بصغرى بناته الثلاث. فغارت شقيقتاها وحاولتا ان تشيا بها وتصدّا الاله عن الاقتران بها. فغضب فاكخس واحال الحسودتين الى صخرة صماء، واختها كريا الى شجرة جوز لذيذ الطعم.

٣ – وانتقل فاكخس من ارض اليونان الى جزر البحر يطوف انحاءها الفاتنة وينشر فيها فوائد الكرمة واطايب خمورها. وفيما كان يتردد على ساحل احدى تلك الجزر، انقض عليه جماعة من القراصنة واعتقلوه وساقوه أسيراً. وتوسموا فيه الخير ظانين انه ابن ملك عزيز، لما تجلى فيه من ملامح الشرف والنبل.

ولما حملوه الى متن سفينتهم، ارادوا ان يكبلوه بالقيود والاغلال. ولكن السلاسل كانت تتقلص بين يديه وقدميه، وتنحل من تلقاء نفسها. ويا للعجب العجاب! فقد دهش البحارة لما رأوا سيلا من النبيذ الاصهب الفوار، يتدفق على متن السفينة ويصب في البحر. ونظروا فاذا باغصان الكرمة تنساب حول سطح المركب، وتمتد بسرعة وتعانق السواري.

وعندئذ، بدا لهم الاسير بشكل هزبر، وليث ضار يتحفز للوثوب. فاستولى الذعر على القراصنة أجمعين. فهرعوا كلهم وارتموا في البحر، ولم ينج منهم سوى القبطان، لانه حاول ردعهم عن سوء فعلهم.

٤ – وأرسى المركب في جزيرة ناكسس. فلما انحدر الاله، وجد على الساحل فتاة نائمة تغط في نومها من شدة العناء. ولم تكن تلك الفتاة إلا أريادني إبنة مينس ملك كريت. نامت تلك البائسة المغرورة مطمئنة الى الأمير الاثيني

الذي خلصته من المنوتقوس . وما ان أفاقت حتى وجـــدت نفسها في وحشة مفجعة ، وقد أقلع ثسفس ، وتركها وحدها في جزيرة نائية ، لا تعرف فيها أحداً .

راقبها الاله عن بعد ، وعندما رآها تجهش في البكاء ، أقبل نحوها وطمأن خاطرها ، وأعاد الى نفسها السكينة والدعة فأنست به واستأنس بها . وتوثقت بينهما عرى الصداقة . وما عتم ان اقترن بها وحضر الالهة حفلة الزفاف ، وجاءهما كل واحد بهدية . وأنجبت له أنجالاً ثلاثة ، إِنبيئن وإفنثيس واستافلس .

٥ ـ وقيل ان أرتميس تحاملت على أرياذني ، وأردتها قتيلة بنبالها الصائبة . ولم يقترن بها اله الخمرة إلا بعد موتها . ويرى قبرها الى الآن في جزيرة ناكسس . وقد اعتاد أهل الجزيرة ان يقيموا لها عيدين : أحدهما مناحة ومأتماً يبكون فيه موت تلك الاميرة الناعمة المنكودة الحظ ، والآخر عيداً بهجاً يشيدون فيه ببعث أرياذني واقترانها باله الجفنة .

٦ ـ ولم يكتف ذيونسس في حله وترحاله بالتجول في بلاد اليونان ، بل رام ان يشمل إحسانه قبائل الارض كلها ان أمكن . وفي الواقع لم تمتد فتوحاته إلا الى الاقطار والأمصار التي فتحها الاسكندر من بعده . فكأن اله الخمرة كان رائداً للفاتح العظيم وممهداً للقائد العبقري الفهيم . ورسالة الاسكندر التاريخية أتت محققة ومتممة لرسالة فاكخس الاسطورية . وما حلم به اليونان في عصورهم المترامية السحيقة ، من تمازج الحضارات وإندماجها وانسجامها ، جاء الاسكندر الكبير وأحاله الى حقيقة وواقع .

٧ ـ تابع الاله الماجن مسيرته ، وغادر الجزر الساحرة الى السواحل الاسيوية . فهبط في ارض افرغيا وقصد إلهة الارض كفبلي وأمّ هيكلهـا في آفذس فأطلعته على أسرارها . وأمعن في جبال افرغيّا حتى بلغ غابات كبَذُكيا

وفي تلك الأرجاء حاولت امة الأمزُونس النسائية ، ان تصده عن نشر عبادته الجونية ، وثار ثائرها على ذلك الاله الخليع ، فهاجمها وطاردهـا ، وأقصاها عن مدينة إيفسس ، حيث حشدت قواها لمقارعته .

٨ ـ بعد انتصاره على تلك الامة القديرة ، جاب في إبنيا وكيليكية. ومرّ منها الى سوريا ، وجاء مدينة دمشق العريقة في القدم ، ونزل في جنائنها الغناء ، وعلى ضفاف أنهارها الصافية . ودرى بأمره الملك ذامسكس ، وإذ كان قد سمع الشيء الكثير عن تهتكه وخلاعته ، فقـد إقتلع الجفان التي سبق الاله وغرسها في أرجاء المملكة . فحنق الاله الخمرة وسلخ الملك حيا .

٩ ـ وعلى الأثر غادر مدينة دمشق الى لبنان ، وأتى مغانيجبيل وحل ضيفاً على أذنيس وافرذيتي . وفي غضون اقامته في ربوع لبنان تعرف الىفروني كريمتهما وأحبها . وارتحل من هنالك الى بلاد الهند والسند ، وعرج في طريقه على بلاد الكوكاز وملك فيها فترة من الزمان . ثم هبط الى بلاد ليبيا ، وساعد اهلها عمّون على استرجاع عرشـــه ، وقد جرده منه التيطان وعلى رأسهم اخرونس . وأمّ ضفاف النيل وسكر وعربد فيها كثيراً ، وعلّم أهلهـــا التحشيش والتهويش . وفي آخر المطاف قفل راجعاً الى بلاد اليونان .

١٠ ـ ولما عاد الى موطنه ، أنكره صحبه وذووه وبنو جلدته ، لأنه تخلق بأخلاق آسيا ، وتشرب مشارب أهلها ، وجرى على أصولهم وعاداتهم ، بما لم يأنسوه فيه من قبل . وقد بدا لهم شاباً أنيقاً مخنثاً ، يرتدي ثوباً ليديا فضفاضاً ، يستسلم في شعائر عبادته الى مظاهر خلاعية إقتبسها من طقوس كفيلي وارتميس في افرغيا . ولذا أظهر له مواطنوه كثيراً من الفتور والوحشة والتحفظ .

١١ — فعندما دخل مراتع ثراقية ، وجنانها الهادئة الدافئة ، في شمال البنطس ، قاومه ملكها لكورغس وناصبه العداء . فهرب ذيونسس من وجهه وغاص في أعماق البحر ، ولجأ الى عمة أبيه تثيس ، اخت وقرينة أكينوس ولما احتجز لكورغس حاشية الاله من النساء الهائمات والمومسات الخليعات، وأغلق عليهن في غيـــاهب السجون ، بلاه ذيونسس بالجنون ، وضرب بلاده بالقحط والعقم . ولم يرفع البلاء عن تلك الأنحاء ، إلا بعد ان قتل لكورغس ولده، في ثورة من ثورات جنونه ، وبعد ان قضت عرافة ذلفي بأن يساق الملك المعتوه الى قمة جبل بنغين ، ويداس هنالك بسنابك الخيل .

١٢ — وسمع امير ثيبـة بَانثيُس بتلك المآسي ، فغضب على الاله وألقاه في الدياميس. فنجا الاله من معتقله واصاب نساءالبلاد بالبله وأزاغ عقولهن . فاندفعت تلك النساء الزائغات الى وادي كيثيرُون يُقمن فيها شعائر فاكْخُس الجونية . فتعقبهن بَانثيُس ليصدّهن عن تلك المخازي ، فهجمت عليه أمه البلهاء أغافي(١)، وآزرتها المعتوهات الزائغات ومزقنه إرْباً إرْباً، كما يروي لنا ذلك إفْربيذس في مأساته الفاكخيات ، أي الهائمات بفاكْخُس. وهذا المصاب بالذات فجع بلاد آرغس، اذ ثارت الامهات فيها وذبحن أنجالهن وأكلن من لحمهم.

١٣ — أما في أرْخُمينيّا فقـد أتم الاله وتمادى في غيّه وشاء إكراه الناس على عبادته والابتذال في شعائر عبادته . وقد أبت في تلك المقاطعة بنات الملك مينْس ان ينسقن لمجون ذِيُونسُس . فبدا لهن الاله بهيئة فتاة من سنهن ، اندفعت في الذود عن الاله وعن اسرار عبادته وعن فوائد اتباعـــه . لكن الاميرات سفّهنها وألبسنها الخزي والعار في ابداء تلك العبادة على حقيقة أمرها

١٢ — (١) اغافي ابنة كاذمس واخت الو وسميلي وانثني . وكاذمس مؤسس ثيفة واخو إفروبي .

فاستحال الاله الى ثور ، ثم ظهر في شكل أسد ، وتحول أخيراً الى هيئة نمر . فارتاعت الاخوات الثلاث وخلع الذعر قلوبهن ، غير أنهن بقين ثابتات يقاومن ذلك الاله الغاشم فقنط منهن من الظفر ، واحال الواحـدة الى فأرة ، وأحال الثانية الى صدى[1] ، واحال الثالثة الى حدأة[2] .

١٤ ولما عنا الجميع لامره ، هبط الى ديار الجحيم ، وانتشل سيميلي أمه ، وصعد بها الى أولمبس ، وادخلها مقرّ الآلهة ، حيث تنعم بحياة الخلود. وفي تلك الديار خاض ذيونسُس معارك أبيه ، وذعر العمالقة بنهيق حمـــاره، واجهز بنفسه على إفرتُس ، وأرداه بضربة قاضية صوّبها اليه بدبّوسه .

٤ s – ذيونسُس والآلهة الأجنبية المنصهرة فيه

– انطوت سيرة ذيونسُس على دنيا من الاحداث والاساطير لشيوع دينه وشمول شعبيته وانتشار عبادته : فقد أدمن الاقدمون شرقاً وغرباً معاقرة الخمرة ، واحبوا لذلك حبا شديدا من اعتقدوا انه صانعها ومعمم فوائدها. ولما تفشى اكرامه في الاقطار والامصار دانيها وقاصيها ، شطت شخصيته على آلهة اخرى ، فاندمجت فيه وتلاشت ، وتركت اثرها بما اضفت على سيرته من غنى وعلى عبادته من مجاليَ مختلفة ثرية .

١ – وأول تلك الآلهة هو الاله سَفازيُس . عد اهل ثراقيا ذلك الاله إلهاً اسمى وتصوّروه اله الشمس . اما نسبه فغير ثابت . اذ احدروه تارة من كفيلي الفريغيّة ، وند صحبها وخادنهـا . واقترن بالالهة فِينْذيس ربّة القمر

---

١٣ – (١) الصدى ضرب من البوم الكبير الهام يأوي الى الخرائب والاماكن المظلمة ، ويدير رأسه اليك كيفما درت . وزعم عرب الجاهلية انه يخلق من رأس القتيل ،ولذا سموه هامة . واذا لم يؤخذ بثأر المقتول لايبرح هذا الطير يهتف « اسقوني » حتى يقتل القاتل .

(٢) طير من الجوارح قريب الى الصقر والباز .

عند التراقيين وهي نفس الالهة أرتيس او الالهة التراقية هيكاتي ربة فرقد الليل وعالم الاموات . وتمثلوا سَفازِيُس بقرون الجداء وخصّوه بشعار الحيـــة ، واحتفوا به في أعيادِ ليليّة مجونية صاخبة ، دعوها « تا سَفَازيا » .

وعندما خلطوا بينه وبين ذيونسس ، ودمجوا الاول بالثـــاني ، زعم بعضهم ان سَفازِيس حشر ذيونسس في فخده، ثم ولده وعهد به الى هيبا احدى العرائس. وادعى غيرهم انه هو ابن ذيونسس. ولم يفصل في الخلاف احد الى الان.

٢ ـ اما الاله فَسَّارِفَس فهو اله ليـــذي" . ويشير اسمه الى جلود الثعالب التي كان فَا كَنْخَس يرتديها هو واتباعه وتابعاته الموسسات . ودُعي ذيونسُس فَسّارِيُس ودعيت تابعاته فَسّاريذِس اي لابسات جلود الثعالب . وقد عبدوه في لِذِيّا من اعمال آسيا الصغرى على جبل اتْمولس° .

كان ذلك الاله إلهاً فاتحاً وصيّاداً كبيراً ، ولما انصهرت اسطورته في ذيونسس° نسبوا فتوحاته الى هـــذا الاله ، كما نسبوا اليه زيارته لأفرُذيتي الزُهرة وأذنيس ، وحكايته مع أمْبِلس° .

احب فَسّارِفَس شاباً نادر الجمال اسمه آمْبِلس . وفيما كان هـــذا البطل يروّض ذات يوم ثوراً وحشياً ، نطح الثور مروّضه وصرعه ، ثم اجهز عليه وقتله . ففجع به الاله واحاله الى كرمة(١) ،وبعـد ذلك نقله الى الفلك وجعله برجا من ابراجه .

٣ ـ وهنالك اخيراً إله كريتي" اسمه زَغْرِفَس° ، حسبه أتباعه الاله الاسمى وعادله بعضهم بزفس ، ثم دمجوه باله الخمرة ، وابرزوا هـــذا الاله بحلة جديدة قشيبة ، لها ما لها من رونق وشجوٍ وروحانيّة . واليك فيما يلي قصّته

---

٢ - (١) كلمة آمبلس تعني الكرمة .

الشائقة . وتلك القصة الطريفة الغريبة إن دلّت على شيء فانّها تدلّ على حنين البشرية الى الخلود والى الحياة الدائمة والى النعيم والهناء المؤبد .

وُلد زَغرفُسُ لابيه زِفسَ منذميتر او من ابنتها كُوري. ولفرط حسنه وصلاحه تحامل عليه بعض الآلهـــة وراموا التخلص منه . فدفعوه الى التيطان فمزقه هؤلاء إربا إربا ، ورموا باشلائه في خلقين مستعر . لكنّ بلاسَ الطاهرة الباسلة انتشلت قلب الضحية وحملته الى ابيها زفس . فقذف زفسُ الطغاة بصواعقه، وكوّن من ذلك القلب المختلج إلهاً جديداً هو الاله ذيونسُس وغدت بقايا زَغرِفُسَ إلهاً من آلهة الارض ، تستقبل النفوس في الجحيم ، وتساعدها على التكفير والتطهّر .

وهكذا حسب التعاليم الأرْفية ضُمّ ذيونسّس الى ذميتر و كوري في الأسرار الإلفْسينيّة ، اذ غدا هو ايضاً رمزاً للتألم والموت والبعث والحياة السعيدة الدائمة والخلود(١) .

---

٣ — (١) راجع الكتاب المقدس : العهد الجديد ، رسالة بولس الاولى الى اهل كورنثس ف ١٥ ، والثانية ف ٥ـ١ : ١٠

الفصل الثاني

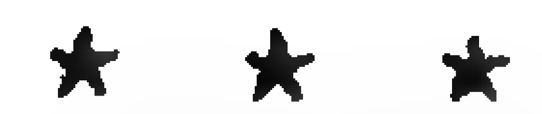
آلهة الماء
المالحة والعذبة

١ ـ انجبت غيئتا دون ارتياد الحب بُنْطس البحر العقيم الزاخر بامواجه العاتية ، كما انجبت قبله ارنوس السماء الزاهرة الزاهية .

وولدت الارض لابنها فلك السماء بعـــد اقترانه بها ، التيطان العظيم الجبار اكئنوس ، ذلك النهر اللجب الذي تتدفق مياهه الغزيرة المزبدة على حدود المسكونة ، يحدق بالبسيطة كانه حزام شاسع ، وليس له من منابع ولا مصاب ، بل هو الذي يفيض الينابيع والانهار والبحار ، وكل المياه المترقرقة في أعماق الآبار والاغوار . لا بل هو مطلع الكواكب السادرة والنجوم الساهرة التي تبزغ في الآصال وتغيض بين لججه في الاسحار . وعلى سواحله امتدت بلاد النوبة الفاضلة واقطار السمّر بين الغضارف وامصار الاقزام الزعانف.

٢ ـ كان أكينوس احدى القوى الطبيعية الكبرى ، وذهب هُومرُس الى انه مبدأ الأشياء والآلهة انفسهم . وقد فاقهم جميعاً عظمة واقتداراً ما خلا ابن اخيه زفس . واقترن هذا الاله بأخته تِثِيس فانجبت له ثلاثة آلاف ابن

هم الانهار المتفرعة في بطاح الأرض وجبالها ووديانها ، وثلاثة آلاف بنت هن عرائس الغدران والينابيع . وقد حدب النهر الكامل المحيط وقرينته تيثيس على هيرا في طفولتها ، وربياها في نعيم قصرهما عند مغرب الشمس . ولما سيطر الألمبيون على ارجاء الكون وتقاسموا ملكه ، اعتكف المحيط في دياره الساحرة واخلد الى الدعة والسكينة وتسلط بسيذون على البحار والانهار ، ولم يعد ينازعه السيادة عليها منازع .



الفقرة الاُولى

آلهة المياه المالحة

ومع سيطرة بُسيذون وبسط سلطانه على المياه كلّها ، فقد احتفظ بعض الآلهة بشيء من امتيازاتهم وخصائصهم ، نظير نرفس وأمفتريتي وأبرُتفس وفرْكيس وأغلفكوس ، وخارِفذِس واسكيلاّ .

١ — نيرِفسُ

١ — ولد البحر من اقترانه بالارض نيرِفسَ الصّديق بكر أولاده . هذا ما رواه هِسيُذُس وبعض المحققين عندهم . ولكن غيرهم من كبار العلماء رأوا غير هذا الرأي وقالوا ان نيرفس هو ابن أُكيَنُوس وتِثيس وانه اقترن باخته ذُرِيس ، فأنجبت له خمسين فتاة دعين نيرِيِيْذِس وهنّ إلهات البحار . وقد برزت منهن أمفيتريتي وثِيتيس وأرثوسا وغلتّيا وغلِيني وأغلافكِي .

٢ ـ وقد دُعي صدّيقا ، كما رأينا لانه صادق رحيم عادل . ولُقب « بشيخ البحر » لانه كان ذا وقار ومهابة وجلال . وهو كالامواج المتلاطمة دائم الحركة دائب التقلب . من اختصاصه الانباء بالغيب . ولكنه لا يكشف حجبه عادة الا مضطرا . وقد ارغمه هكذا هركليس على تعليمه طريق بلاد

الهيسبيريذة ليأتي من هناك بتفاح الذهب . وسمعه بارِس يوماً ينبىء بخراب إيلِيُس عاصمة اطْرُوادة .

٣– وأقام نيرفس في اعماق بحر إغيشْن ، في قصره الرحب هو وقرينته ذُوريس ابنة المحيط وبناته الحِسان ينعم بحياة وادعة هنيئة ، لا مشاكل فيها ولا مغامرات . أما بناته النيرِيْذِس ذوات الشعر العسجدي الفضفاض ، المسترسل على اكتافهن الناعمة البيضاء ، فقد اعتدن ان يتلاعبن مع جماعة التريطنْن على سطح البحار ، يزيِّن وجهها بقاماتهن الهيفاء وينشرن فوقها باقات بهيّات من الزنابق والورود .

٤ – وقد انصرفت هكذا احداهن الى المرح ، تداعب اديم البحر بخطواتها الرشيقة ، فرمقها عن بعد صياد شهير ، اله نهر ألْفيْشْس ، في شبه الجزيرة اليونانية ، وتعقّبها ليختطفها . فأحالتها الالهة أرْتيميس الى ينبوع فيّاض ، يتدفّق في جزيرة أرتيغي ، واستحال الصيّاد الى نهر لجب ، تشق مياهه عباب البحر ، ولا تختلط بالامواج ، حتى تأتي جزيرة ذيلس [1] ، وتمازج مياه أرِثوسا .

وقد شاهدت هذه الجنيّة الناعمة بُسيذُون يخطف ابنة إلهة الزرع ، وهدت الامّ الملوّعة الى مقر ابنتها كوري . وقد اكرموا الالهة أرِثوسا في اماكن كثيرة ، منها جديـــدة عرطوز التي دعيت باسمها ، في ضواحي مدينة دمشق .

٥ – اما اختها غلتيا ، ذات البشرة الغضة البيضاء ، التي ضاهى بياضها بياض الحليب ، فقد احبها الككلوبس بليفمس ورام ان يخطب ودها . ولكن

---

٢ – (١) الباب الاول الفصل الاول : ٤ – (١) هي نفس جزيرة ارتقي ٢ : ٥ : ٤ .

الفتاة اللعوب الطروب ازدرت ذلك العملاق الرهيب ، وسخرت بما ابدى لها من هيام . فكانت تسعى على وجه المياه ، وتأتيه مفترة باسمة . وما يكاد يفرح بقدومها ، حتى تقفل راجعة الى اللجة ، قبل ان يبادرها بالسلام .

٦ - فحنق العملاق من مثل تلك التصرفات ، وفاجأها يوماً في مغارة تغازل آكيس احد الرعاة ويغازلها . واستشاط المستهام غضباً ، واخذ صخرة كبيرة في متناول يده وهو بعد متمدد يزحف على بطنه ، وضرب بها منافسه القزم فسحقه . وذعر الجنية المحبوبة وآلمها . فاندفعت الى اعماق اللجة ولم يعد يعاينها من بعد . ولم يبق له الا ان يشكو همه لأبيه بسذون .

٧ - ولكن اكثر النريئيذس جمالاً وأوسعهن شهرة هي الجنية ثيتس وقد امتازت تلك الالهة ببهاء رائع وفتنة ساحرة ، سبت عقول الأرباب المخلدين . فتزلف اليها زفس وتقرب منها بسذون . ولكن ثيمس كانت قد تنبأت ان ثيتس من شأنها ان تلد ابنا يفوق اباه سطوة واقتداراً . فتورع زفس وخاف اخوه بسذون . وقر رأيهما ان يقرنا ثيتس بأحد البشر . واختارا لذلك بلفس ملك ثسليا .

٨ - فساء الامر الفتاة الالهية ، وتكدرت ثيتس لذلك القرار ، وتمنعت الجنية الفاتنة عن صحبة زوجها البشري ، فتبدت له بأشكال غريبة رهيبة ، تارة في شكل سمكة ، وطوراً في هيئة دبة ، واحياناً كلهيب نار واحياناً كمياه هادرة . الا ان الكنتفرس خيرون كان قد علم الملك بلفس طريقة يضبط بها قرينته . فاستولى عليها بعد الجهد والعناء ، واقام الآلهة له حفلة زفاف ، واهدوهما هدايا نفيسة .

٩ — وفي ليلة الزفاف بالذات ، وقع ذاك الخلاف الشهير ، بين هيرا وأثنا وأفرذيتي . اذ ألقت إلهة الخصام إريس تفاحتها الذهبية ، التي نقشت عليها عبارتها المشؤومة : الى أكثر الالهات فتنة وبهاء[1] . وانجبت ثيتس لملك ثسليا بطلا من اكثر الابطال شهرة ، اذ أشادت الالياذة بملاحمه تحت اسوار إيلين . وقد تدخلت هذه الجنية في الصراع بين هيرا وقرينها زفس ، وخلصت رب الأرباب مما حيك له من دسائس[2] .

١٠ — ولما ولدت ابنها أخيلفس ، ارادت أن تؤتيه الخلود . فجعلت تصهره في النار ، وتدلك جسمه بعنبر الآلهة . فباغتها قرينها في احدى الليالي ، وقد انصرفت الى تلك الأعمال ، فجزع على ابنه الرضيع ، وانتشله قبل ان ينال مناعة الخالدين . وقيل ان الجنية البديعة كانت تغطسه في الستيكس لتؤتيه المناعة والخلود . ولكن كاحل الغلام لم يمس تلك المياه ولبث قابل الالآم ، فنفذ فيه سهم طائش ومات في حرب اطرواس .

٢ — امفيتريتي

١ — لأمفيتريتي مقام سام بين بنات نرفس ، نظراً لمقام قرينها بسذون سيد البحار . واعتادت تلك الجنية ان تجلس على مركبة فخمة ، الى جنب رب البحار ، وتجوب ارجاء مملكتها المترامية الاطراف بسرعة خاطفة اذ كانت تجر تلك العجلة خيول مطهمة بيضاء ، تضاهي الأمواج عتواً ، وزبد اللجة نصاعة ونقاء . وكان يحدق بها سرب من الجن من ابناء اتريطن .

---

٩ - (١) راجع في ذلك الباب الثاني ف ١٠ : ٢٠ — (٢) ر ٢ : ٣ : ٦

وامتازت تلك الطائفة بأجساد البشر في نصفها العلوي ، واجسام الاسماك في النصف السفلي ، ما خلا بعض الفوارق التي لا تخلو منها امثال تلك المولات : نظير الأنياب بدل الاسنان والمخالب بدل الأظافر ، وذيل مشعّب يداني ذيل الحيتان وزعانف على ودفي الصدر والبطن ،وخراشف غطت الجسم وغشّته بجملته.

٢ — وفيما كانت امفيتريتي تختال على مركبتها ، كان سرب التريطن يجاري العجلة في سيرها ، ويتلاعب على صفحات المـــاء ، وينفخ في الأصداف ويزفر فيها زفيراً تردده الامواج . واعتاد التريطن بين الفينة والفينة ان يرتاد السواحل ، وان يخطف البشر ولا سيما النساء . وقد حفظوا في تانغرا الجني من تلك الطائفة تمثالاً تذكاراً لنجاة المقاطعة من هول تسلطه عليها ، وخطف الكثير من نسائها وفتياتها . فاحتالوا عليه ووضعوا له على الساحل دنّا من الخمر . فاقبل عليه وما انفك يعب الصهباء اللذيذة حتى ثمل وسكر . فدنا منه الصيادون وحزوا عنقه .

٣ — امـــا اتريطن ابو تلك الطائفة من الجنّ فهو ابن بُسيذون وأمفيتريتي . وقد استمدّ من أبيه قدرة تهييج المياه وتسكين هيجانها . وقد ألف مثل والده ركوب عجلة فخمة تجرّها خيول قوية ، تنتهي قوائمها بفكّين يشبهان فكّي السرطان . واحرز نظير معظم الآلهـــة المائية روح النبوّة ومعرفة الغيب .

واستنجد به زفسُ عمه في حرب العماليق . فذعرهم اتريطن بصوته الهادر ونفخه المدوي في الاصداف . وقد كلّفه ابو الارباب بعد الطوفان ان يحسر المياه عن وجه الارض ويردّها الى الابحار والمحيطات . وعُرف هـــذا الاله بمروءته ومعروفه ورأفته بالغرقى والكادحين على متون السفن في عرض

البحار . وقد انجد هكذا بحّارة ارغو لما قذفت العاصفة سفينتهم الى اليبس على سواحل ليبيا مقامه المفضل .

٣ ـ فُورْكيسُ وابْو ُتِفْسُ واغْلَـقْكُوسْ

١ ـ فُرْكيس على زعم هيسيّذُس هو ابن بُنْطُس وغيئا اي نجل البحر والارض . وقد انجبت له اخته كِيتُوْ التي اقترن بها ، العجائزَ الثلاث[١] وقد اتين الى العالم باوجه صبوحة وشعر شائب. فدعاهن الآلهة والبشر والعجائز ولم يكن لهن سوى عينٍ واحدة وسّنٍ واحدة يتناوبن في استعمالها . وقد خطف بيرْسيفْسُ منهن تلك العين والسن ، ولم يرجعها لهنّ الا بعد ان اطلعنه على مكان اختهن ميذُسَا ، وكان في عزمه ان يمضي ويقطع رأسها . ولما عرف مُقام الغُرْغُونيس اعاد للعجائز العين والسن ، وسرق منهن نعلين مجنّحين يطير بهما الى حيث يشاء بسرعة خاطفة ، كما سلبهّن قبّعة تنشر الضباب حوله وتخفيه عن الابصار ، وجرابا يضع فيه رأس ميذُسَا بعد قطعه .

٢ ـ تلك كانت ابكار فركيس . وقد انجبت له أخته بعدهن هولات ثلاثاً ، دعيت الهائلات او الغُرْغُونيس . لأنهن لم ينظرن قط الى امرء الا وحولنه الى صخر اصمّ ، اذ كانت لهن احداق رهيبة وانياب هلّوفٍ[١] وأيدٍ من نحــــاس وأجنحةٌ من ذهب ترف على مناكبهن وتحملهن في الاجواء الفسيحة . وقد اوت تلك الهولات البشعة الى بلاد القيروان من اعمال ليبيا . وجهل الجميع محل اقامتها ، ماعدا اخواتها العجائز .

---

٣ : ١ ـ (١) راجع هنا ١ : ١ : ٦

٣ : ٢ ـ (١) ضرب من خنازير البر .

كانت استينو القوية وشقيقتها إفريالي الدمامة المجسمة ، وحظيت هذه وتلك بالخلود. اما اختها ميدوسا فقد خصت بجمال فريد نافست به منيرفا نفسها اي الالهة أثنا . وأحبها بسذون – جدها حسب إدعاء بعضهم – وأرادت مبادلته الحب في هيكل لأثنا . فحنقت الإلهة واستاءت من ذلك المنكر أي استياء ، فبلتها بدمامة تضاهي شناعة اختيها وحولت شعرها الى أفاعي وثعابين ، ووصمتها بعار الهرم والموت .

٣ – وإذ استسلمت اختاها الى السبات ، واغرقتا فيه بعد سكرة عارمة ، أقبل برسفس على ميدسا ، تحميه أثنا ، وحز عنقها ووضع الرأس في جرابه ، وطار على متن بيغسس ، ذاك الجواد المطهم المجنح الذي برز من دماء ميدسا . ولما أفاقت الاختان من نومهما العميق اندفعتا بأجنحتهما الذهبية تطاردان الريح سعياً وراء القاتل الجاني . ولكن أجنحة الذهب كلت عن اللحاق، فدوى عويل الاختين وخالط حفيف الثعابين المشرئبة فوق رأسيهما ، واستحال الى أنين حزين ، حاولت أثنا ان تردد صداه على الناي الذي استنبطته . إلا ان المزمار شوه وجهها أثناء العزف فرمت به في إزدراء .

وولد لفركيس تنين رهيب له مئة رأس ، دعي التنين لاذن . وقد أقيم على حراسة تفاح الذهب في بستان المغربيات ، وقيل ان اسكيلا هي ثمرة مغازلته لهكاتي ، ربة القمر وكأن في اسمه اشارة الى زبد البحر ورهبته .

٤ - هذا مايتعلق بفركيس . اما صنوه ابرتفس فهو ابن الأقيانس المحيط واخته وقرينته الجليلة تثيس . هذا الاله « شيخ آخر من شيوخ البحر » وقد عهد برعاية ما ملك بسذون من قطعان فظاظ البحر ، ابناءهلسذني الهيفاء.

وتلك الفظاظ كانت تلتم حوله ، وتحيط به إحاطة الأسوار بالمعصم ، حين يخرج من اللجة عند الظهيرة ، ويستسلم للسبات وراء صخور الساحل .

٥ - عرف ابرتفس الغيب نظير أقرانه الهة البحر . ولكن إن شاء أحد ان يكشف له غياهب المجهول ، لزمه أولا ان يقبض عليه ليكرهه على الكلام . وما الأمر بالسهل لأن ابرتفس يستطيع التقمص بأشكال كثيرة ، فيتحول من هيئة الشيوخ الى هيئة النمور والاسود ، أو الثعابين أو المياه أو النيران المتاججة أو الاشجار الوارفة . فمن رام أن يستفيد من عمله وجب عليه أن لا يهاب تقلباته المثيرة وأن يلبث رابط الجأش ، وعندئذ يعاود الاله شكله الاول ، ويعترف بهزيمته وينقاد لمشيئة سائله ، وينبئه عن الغيب والمجهول .

٦ وقد جعلوا مقره المفضل في جزيرة فارُس على الساحل المصريّ .
ولعلّ في قولهم هذا ، خلطاً بين الاله شيخ البحر وبين أحد ملوك مصر ، وقد دُعي باسم أبرُتيفس . ورووا عن ذاك الملك انه استقبل بَارِسْ وهيلينا ابنة زفس وليذا ، وانه احتفظ بامرأة مِنيلاسَ هذه ، فترةً من الزمن ، على أن يردّها الى قرينها الشرعي . ولكن هذا القول مردود . وقيل إنه أتى ثراقية واتخذ زوجة من أهل البلاد . الا أن شراسة ابنيه حملته على العودة الى مصر ، فحفر له بُسيذُون نفقاً في قاع البحر ، سلكه ورجع منه الى جزيرة فارُس .

٧ - وهنالك إله ثالث قريب من السابقين ، اختلف العلماء في أصله وفصله ، هو الاله اغلَقُكُوس . كان هذا الاله انساناً ، ثم استحال الى اتْريطُنْ ، وانضم بين آلهة المياه المالحة . واختلف العلماء عندهم في رواية ما مرّ عليه من صروف وأحوال . فزعم بعضهم انه انصرف ذات يوم الى الصيد

على ضفة نهر جميل ظللته الاشجار وصفت مياهه كالبلّور . ولما جمع قليلاً من السمك ، رأى اسماكه المرمية على العشب ، تختلج اختلاجاً عنيفاً ، وتنطّ وتطفر وتثب في النهر . وكلّما اصطاد كمية منها ، جرت على غرار غيرها ، من الاختلاج والقفز ومعاودة النهر . ومنه كانت تنساب بارتياح وتغوص في لجة الساحل القريب . فتبادر الى ذهن الصيّاد النبيه ان في ذلك المكان عشباً يحوي خصائص فريدة مدهشة . فأكل من ذلك العشب العجيب وراح هو نفسه يختلج بعنفٍ وينطّ ويقفز ويطفر ، وغدت ذراعاه زعانف ، واسفل جسمه ذيلا مشعّبا ، وكسا الطحلب صدره واسترسلت لحيته وابيضت ، ولما بلغ ساحل البحر طفر طفرة اخيرة وغاص في اعماق الخضّم ، بقرب مدينة أنْثِذُون على ساحل فيتيّا فانعمت عليه تيثيس بالخلود وضمّته الى آلهة البحار .

٨ وادعى آخرون ان ذلك الصياد خرج مرة من بلدة أوريتا على شواطىء إتْليّا ، وراح يصطاد الطيور واذا بارنب برّي يقفز من بين رجليه ، فجعل اغْلَفْكُوس يطارد الحيوان . وكلّما ازمع القبض عليه قضم الارنب الرشيق قطعة عشبٍ ، واستعاد نشاطه بعد لغوب ، ونجا ظافراً من قانصه . فاستغرب الصياد تلك الخارقة ، وتناول من النبتة المذهلة ، فأخذ يطفر بقوة فائقة وهوى في اعماق اليمّ ، فأحبه نرفْسُ وأبولّن ومنحاه موهبة النبوة ، وقرناه بجنيّة فاتنة ، أنجبت له سِبِيلّةَ كُومِهْ العرّافة ذِنُفِفِي .

٩ — احب هذا الاله جزيرة ذِيلُس ، فأضحت مقامه المفضّل . ولكنه كان يغادره كل سنة ويتفقد جزر الارخبيل اليوناني ، ويظهر للنوتية وينبئهم انباء شؤم . ولم يوفّق ذلك الاله البائس في مغامراته ، لان مظهره كان زرِيّاً ، إذ غشّى الطحلب كلّ جسمه . وقد رام أن يعزّي أرياذني في جزيرة ذِيلس

عندما غادرها حبيبها ثيسيفس . لكن ذِيُونيسُس فاجأه و كبّله بأغصان جفنة، وناب منابه لدى الاميرة البهيّة المهملة . وحاول الاله أن يستميل الجنية الفاتنة اسْكيلاّ ، ففشل معها فشلاً ذريعا ، وسبّب لها من حيث لا يدري ، البؤس والشقاء الأليم .

٤ - خارِ فْذِس واسْكيلاّ ورهط الغانيات

أقامت في القديم تحرس جانبي مضيق صقليّةهولتان هائلتان : الواحدة هي خارِ فْذِس والثانية هي اسْكيلاّ . وان نجا المرء وافلت نحو الشمال ، فقد يتربّص بـــه شر ثالث مستطير ، بقرب جزر سِيرِيْنِيس تجاه سواحل كَمْبَنيّا . وما ذلك الشر سوى غناء غانيات ساحرات .

١ - انجبت الارض لحفيدها بُسيذُون ابنة جميلة دعاها خارِ فْذِس . وتجرأت تلك الفتاة ذات يوم واختلست قطيع ثيرانِ لهِرَكْليس ، فأرداهـا زفسُ بصواعقه الحامية وأحالها الى لجّة في البحر ، فاغرة فاها ، تبتلعُ الحيتان والسفن اذا دانتهـــا ، ثلاثَ مرات في النهار ثم تقذف بها مهشّمة الى الرمال المجاورة . هذا ما يقوله عنهـا هومرسُ في إلياذته : « وهنالك على رأس جزيرة صقليّة اقامت تلك الهولة الالهية ، في غور سحيق ، تحت صخور كللتها أشجار التين » . وقليلون الذين نجوا من هولهـــا نظير أذِسّيفسَ الذكي الفؤاد ، وملاّحو سفينة أرْغُو يا سُن ورفاقه الابطال الميامين .

٢ - أمّا قرينتها اسْكيلاّ فقد اعتكفت في كهف على الرأس المقابل ، في طرف شبه الجزيرة الايطالية . وكانت اسكيلا بدءَ بدءٍ بهيّة رائعة الجمال . واختلف المحققون في حسبها ونسبها . فنماها بعضهم الى فُرْكيس واكْرَتيِيْس ، وبعضهم الى التنّين تيفَنَ والحية إيخِذْنا ، وغيرهم الى بُسيذُون ، وآخرون الى زِفْس وملكة ليبيا لمياء . ورُوي عن هـذه الملكة البائسة انها فقدت الرشد لما ذهب

أولادها ضحية حسد هيرا . وفي حالة جنونها كثيرا ما كانت تدهم الامهات ، وتختطف انجالهن وتفترسها بلا رحمة . ونشأ عندهم طائفة من الجنيّات دعيت « لاميات » وأوت الى الغابات وانصرفت الى خطف الفتيان والفتيات واكل لحومهم نيئة بلا ملح .

ولما كبرت اسكيلاّ رآها الاله الجديد اغلفكوس وهام بحسنها الرائق . ولكن الفاتنة الفتية ازدرت حبه وامتهنت شخصه ، وانفت من دمامته وقبحه . فلجأ المتيّم الى سحر كيركي الشهيرة ، ابنة الشمس ، المستهامة بحبّه وهو لا يدري . فوعدته خيراً واستحضرت بعض الاعشاب ، وقصدت الى العين الصافية ،حيث اعتادت اسكيلاّ ان تغتسل كل صباح ، والقت في الماء الرقراق اعشابها السحرية . وقدمت الفتاة الباهرة الجمال على عادتها لتستحم ، وما لامس جسمها الناعم مياه العين الملوّثة ، حتى استحال بهاؤها الى هَوْلٍ وغدت الجنيّة البديعة هَوْلة مروّعة ، قائمة على اثنتي عشرة ساقاً ، مسلحة ببراثن رهيبة ، واندلع من جسمها ستّ أعناق طوال جداً ، تنتهي برؤوس هائلة ، فاغرة أشداقها ، وفي كل شدق ثلاثة صفوفٍ من الانياب المتراصّة المسنّنة . وانطلق من حناجر الهولة دويّ يشبه زمزمة الرعد او هدير الامواج المتلاطمة في العاصفة الهوجاء ، أو زئير الاسود وعواء الضباع . فارتاعت البائسة من ذلك التحوّل المفجع وارتمت من يأسها في البحر ، وأوت الى ذلك الكهف بازاء غورخارِ فذِس . وهنالك كلّما تسنّت لها فرصة مؤاتية ، انتزعت باشداقها الستة عدداً من الملاحين زجّت بهم في مغارتها وافترستهم على هينتها . وعندما مرّ بها أذِسيفّس وصحبه ، خطفت رهطاً من جماعته . وفي عزمها ان تخطفه بذاته انتقاماً من

عشيقته الاثيمة كيبركي. وقد قتلها هيركليس فعاد فركيس ابوها وأحياها ولذا ما انفك الملاحون يتقون شرها .

٣ - والى شمال ذاك المضيق المخيف ، مجموعة جزر صغيرة مهجورة ، سكنتها طائفة من الجن تدعى « السرنات » او السيرينيس ، امتازت باجسام النساء الحسناوات وقوائم الطيور واجنحتها او اذيال الاسماك وزعانفها . وتحلت تلك الجنيات باصوات رخيمة عذبة ، تأخذ بمجامع القلب وتسيطر على الالباب فيستسلم سامعها الى تلك الجنيات ، فتأخذنه الى مراتع غناء ومغانٍ فيحاء ، حتى يترنح ويذوب ، فيسلو الحياة كلها ، وعندئذ تأتي تلك الغانيات العذاب وتمتص دماءه وتغتذي بلحمانه .

هذا ، وقد كانت تلك الجنيات من عرائس الانهر الوادعات ، تبدل اسماؤها على ظرفها ولطفها . فالواحدة دعوها الصوت الرخيم ، والاخرى النطق المعسول ، وهذه اللحن الرائق وتلك الوقع الناعم المستحب . ولما زهت بصوتها وأعجبت بفنها الموسيقي ، رامت منافسة ربات الفنون فغلبتها تلك الآلهات وجردتها من ريشها الجميل ، فأوت الى تلك الجزر المستوحشة وراحت تؤذي المبحرين بجوارها .

وقيل انها شهدت اختطاف برسفوني ، فسألت زفس أن يؤتيها أجنحة لتطير في البحث عن الزميلة المسبية . واذ لم توفق في مهمتها ، جردتها ذميتير من اجنحتها ، وعوضتها عنها باذيال اسماك . وزعم قوم ان الزهرة هي التي بلتها باجسام الطيور ، لأنها رفضت الانسياق للحب .

فهنالك في تلك الجزر او في جزيرة كابري او جزيرة أنثيموسا تجاه نيتابلس ، ألفت تلك الغانيات الجلوس على صخور الساحل ، واصطياد

الملاّحين بعذوبة أغانيهن الشجية . واذسيفس نفسه مع كل حصافته ، لم يكن لينجو من حبالهن ، لولا ان حبيبته كيرْكي ابنة َالشمس سبقت وحذّرته قبل مغادرته لها ، من خطر ذلك الغناء اللذيذ ، بقولها : « ستمر في طريقك اولا بالسيرِنات الفاتنات التي تسبي الرجال والاطفال . والمغفّل الذي يعرّج عليها لا يعرف يوماً او موعداً للاياب . لأن السيرِنات تتكىء معه في الحدائق الغناء ، وتستهويه بانغامها الساحرة . فتتكدّس في مراتعها اشلاء الضحايا . »

وفي الواقع عندما دنا اذِسِيفْس ُمن تلك الجزر ، سمع معزوفات مذيبة وأصواتاً ساحرة عذبة . فذكر كلام خليلتهوسدّ آذان رفاقه ، وامرهم ان يشدّوه الى السارية وان لا يُذعنوا بعد لأوامره ولو تزلّف اليهم ورجا فكّ اسره ، الى ان يتجاوزوا منطقة الخطر . ولما اقترب من تلك الغانيات خاطبنه بكلام لطيف ودعونه الى النزول في ربوعهن وقلن له بمنتهى الرقة : « يا اذسيفس ُ الذائع الصيت،يامجد الاخائيين ،أرس فيخليجنا وحلّ ضيفاً علينا. فما مرّ قط زبان بديارنا الا وطرب لانغامناوأنصت الى ملاحم اليونان تحت أسوار إيليُن . فنحن أدرى الناس طراً بكل مايقع على ظهر البطحاء » .

قالت تلك الغانيات واستمالت قلب البطل المحنّك . ولولا ما اتخذ من حيطة للأمر لقضى وصحبه نحبه هناك .

بيد ان تلك الفاتنات الساطيات وجدت من يسطو عليها . وقد حاولت ان تسبي ملاّحي أرْغو . لكنّ أرْفِفس َبقيثارته حال دون مأرب الغانيات، وغلب عزفه سحر إنشادها . فهوت جملة في لجة البحر ، وأحالها الالهة الى صخور ناشذة ، تجاه مدينة نا ُبلي المساة قديماً َبرْثنبي .

الفقرة الثانية

آلهة المياه العذبة

١ § – اعتقد الأقدمون ان الأنهار آلهة ، نظير ابيهم النهر المحيط، وامهم تثليس ابنة الزمان . ولذا أكرمهم الناس وخصوهم بشعائر العبادة . وقد تمثلوهم بهيئة شبان أشداء ، يزيدهم القرنان في أعلى جباههم عزة واقتداراً . وقدّموا لهم شعور الفتيـــان ، وضحّوا لهم بكباش وخيول وثيران ، كثيراً ماقذفوا بها حية في الجداول والغدران .

وأشهر الأنهـار الثلاثة الالاف أخِلُوْوُس وأُسبُوْس وإينَخُس و كفسُوْس .

١ – أما أخِلُوْوُس فهو اله نهري في مقاطعة إتليا ، ونهره اكبر نهر في بلاد اليونان . وقد شُغف هذا الاله بابنة ملك كلذون الاميرة دِيَنِيرا . وأتى المدينة هركليسُ بن زفس وألكميني ، ورأى الفتاة وأغرم بحبها ، ورام ان يتخذها زوجة شرعيـــة له ، لكن الكثيرين من الخطّاب سبقوا وطلبوا يد الصبية . ففرض أبوها للبت في الأمر سلسلة قاسية من المصارعات ، تكون الأميرة البهية جائزة المنتصر فيها . فلما انبرى هركليس للمباراة إنسحب كل المنافسين ، وصمد الاله أخِلُوْوس وحده . فبارزه ابن زفس وقهره في جولة

أولى ، وهاجمه النهر في الثانية بشكل افعوان رهيب ولكن الذي قتل الافعوانين وهو طفل ، لم يرهب الثعابين وهو في عنفوان الشباب ، فأذل النهر في الدورة الثانية . فاهتاج النهر وهاجم البطل في هيئة ثور مستفرس ضار . ولكن ابن ألكميني قمعه بعنف واقتلع أحد قرنيه . فأخذته عرائس الغاب وملأته ثماراً وأزهاراً ، وحولته الى قرن إخصاب فائض بالخير . اما الإله المغلوب على أمره فقد غاص في نهره ليستر خزيه .

وقد أكرموا هذا الاله في أمصار كثيرة ، وستة أنهار حملت اسمه . واعتادوا في الايمان ان يستنجدوا به . وقد استحالت بنات العراف إخينوس الى جزر لأن أباهن اغفل اكرام هذا الاله في احدى ذبائحه . وتلك الجزر تقابل مقاطعة لسليا .

٢ — والإله أسُبُوس لا يقل عن السابق شهرة وعظمة . وقد سموا باسمه أنهاراً عدة في لسليا وشبه جزيرة بيلبس وفيتيا . وولد له ابنان من امرأته مروبي ، احدهما بيلسغس ابو البيلسغيين ، واثنتا عشرة ابنة ، احداهن سنوبي التي خطفها أبولن ، وكركيرا وسلامس اللتين احبهما بسذون ، وإغيني التي سباها زفس . وكان يشهد اختطاف الفتاة ملك كورنثس الشقي ، فلما جاء أبو الفتاة يسأله عن مصيرها اذا سمع عنها شيئاً ، فرض عليه الملك ان يفجر نبعاً على هضبة المدينة . واذ عرف الخاطف الجاني انبرى يطالب ويحتج لديه. فرشقه ابو الارباب بصواعقه واكرهه على العودة الى مجراه .

٣ — اما إينخس فله مع زفس شئون وشجون . وقد خطف هذا الأخير ابنته إيو وأغواها على ما رأينا في سيرة زفس. وحكمته بسذون وهيرا

عندما تنازعا على حماية الأرغليس . واذ حشد لربة الأرباب أنضب رب البحار مياهه .

وقد أكرموا من الآلهة النهرية بنفس في تسليا ، ولادن أبا سيرنكس وذفني في أركذيا ، وألفئوس في مقاطعة إيلس . ويُحكى عن هذا الاله أنه هام بحب أرتميس ، فهربت إلى احدى مدن المقاطعة ومرغت وجهها بالحمأة ، لتتنكر وتخلص من ملاحقاته . وقد أحب أيضاً الجنية أرثوسا على ماذكرنا سابقا ولم يوفق في حبه لها .

٤ - ويقال أن إفرُوتَس نهر لَـكُنيا ، الذي بنيت مدينة اسبرطة على ضفته الغربية ، هو ابن تَافـيـتُس ذلك الجبل الأشم الممتد غربي المدينة باتجاه الشمال حتى منتصف شبه الجزيرة ، في سلسلة من الصرود والهضـــاب . واسبرطة ابنته اقترنت بملك المقاطعة لَـكِـذيمُن . فدعيت حاضرة الملك إسبرطة او لكذيمن على السواء . اما الاله فقد هُزم في موقعة ، فارتمى من شدة الحنق في النهر الحامل اسمه ليواري فيه عاره .

٥ - اما إلاها أفرِغيـة فهما نهر ميِنَنْدرُس ونهر اسكامَنْدرُس ، او كما سمّاه الآلهة نهر اكسنثوس . وقد اشترك الاول في حرب الطروادة وهاجم أخيلفس واوقعه في شباكه فتعثر فيها البطل اليوناني ، ولولا تدخّل هيفيستُس وحمايته لابن الإلهة ثِيتيس ، لهلك وهلك معه رجاء امّته وانتصر شعب إيليُن . اما الثاني فقد اخذ اسم ملك بيسِئوس . ونذر ذاك الملك انه يضحي باوّل عزيز عليه يلقاه بعد المعركة ان احرز النصر . فلقي ابنه وذبحه للآلهة ومن فرط حزنه زجّ بنفسه في النهر (١) .

---

١ - ٥ : (١) راجع سفر القضاة من التوراة الفصل ١١ : ٢٩-٤٠

§ ٣ – عرائس الغدران والجداول والسواقي والينابيع والبحيرات .

١ – كما أن للانهار اللجبة المتدافعة الامواج آلهتها ، كذلك للغدران او الانهر الصغيرة إلهاتها وعرائسها ، وللجداول والسواقي غاداتها وللينابيع والبحيرات عذاراها الناعمة اللطيفة [١] . عبدوا تلك الآلهة الصغرى وأكرموها لانها كانت رفيقة بالبشر ، تعطف عليهم في المحن وغـير الدهر ، وتشفي اسقامهم ، وتهتم بالينابيع والزهور والمروج ، والطيور والحملان والجديان . واعتادت تلك الجنيات الناعمات مشاركة اخواتهـا الكبرى في حفلات الآلهة ومواكبها . وكانت تُقبل احياناً في مراتع الخلود وديار أُولمْبُس .

٢ – غير أنها لم تكن خالدة . وعمرها في زعم ابْلوتَرْخُس لا يتجاوز ٩٦٢٠ سنة . ومع عطفها على البشر ورأفتها بهم ، كانت احيانا تؤذيهم من فرط حبها لهم . كما فعلت سَلْمَكيس بهرمَفْرُوذِتُس بن الزُهرة أفرذيتي وعُطارد هِرْميس . وكما فعلت اخرى بهلاس ، رفيـق هيرَكليس وأحد الأبطال الماخرين على متْن سفينة أرْغو .

٣ – واشهر العرائس الغيد أغَنِّيبي ، جنّية نبع في سفح هيلِكُون كانت تلهم الشعراء اذا شربوا من كوثر ينبوعها . وكَسْتَلِيَا وكَسْتَيْس عينان صافيتان في جبل بَرْنسُّوس ، تؤتيان الأدباء القريحة والعرّافين الوحي . وكياني رفيقة بِرْسفُوني وقد استحالت الى ينبوع من أساها على صديقتها الحبيبة . وكلبْسُو جنية ذِيلس التي اضافت أذِيسفس سبع سنين ، وأرْغرا التي علقت الراعي سِلِيمْنُوس ثم كرهته . فاشفقت عليه الزُهرة وحوّلته الى نهر وآتته النسيان ليسلو كلُّ متّيم يشرب من مائـه الرقراق ، نار الجوى المتوّقدة في فؤاده .

---

٢ – ١ : (١) كانوا يدعون تلك الجنيات بتميذس ونايإذس واكرينه او نبجه (بيغه) ولناذس .

الفصل الثالث

آلهة الفلك
وبعض العوامل الطبيعية

الفقرة الاولى

الاله الشمس وأبناؤه

إقترن البيطان هيبريُونُ باخته الناشرة النور إفرفايِّسا أو ثيا الالهية ، فأنجبت له هيليُس فرقد الشمس الساطع ، وسِليِنِي القمر اللامع ، وإيُوس الفجر الوادع .

١ — اله الشمس وعبادته ومآثره :

١ — الإله فرقد الشمس عندهم اله خاص هو شخص ذلك الكوكب بالذات ، كما للأنهار والجداول آلهة هي اشخاص تلك الغدران . ففرقد الشمس كإله يختلف تمام الاختلاف عن أُبولن ، الذي يعدونه اله الشمس ، لانه اله النور والضياء . إلا أن بعضهم خلط بين أبولن وهيليُس .

٢ وقد عبدو الاله الشمس منذ القدم ، وشادوا له الهيا كل والنصب في كل أرجاء اليونان ، ولا سيما في أثينا وأرغس و كورنثس . واعظم تمثال لهذا الاله نصب في رودس جزيرته المحببة ، فوق حوض السفن التي كانت تستطيع ان تمر بين ساقيه وأشرعتها منشورة خفاقة . وقد صب هذا التمثال العظيم ، احدى عجائب الدنيا في ذلك الحين ، فنان شهير اسمه خارس ، من مدينة لنذس في رودس . وأقام على سكبه من الشبه والنحاس ، اثنتي عشرة سنة . وبلغ طوله اثنين وثلاثين متراً . شيد في أول القرن الثالث قبل المسيح ، وهوى في منتصف القرن الاول بعده . ولما استولى العرب على الجزيرة ، قيل انهم حملوا من قطعه تسع مئة جمل ، بما يعادل وزن ثلاث مئة وستين طناً تقريباً .

٣ - وروى علماؤهم ان أعمام هيليس تواطأوا وأغرقوه في المحيط . ولكن زفس مكافأة لخدماته في حرب التيطان ، نقله الى السماء ، فأضحى فيها ذلك الفرقد الساطع . وعند إنبثاق الفجر ، تنهض الساعات إيهوره مبكرة ، وتشد أحصنة الاله الاربعة الى مركبة متألقة ، صاغها له ، فستس من ذهب إبريز وعاج . وخيول هيليس كلها بيضاء لامعة كالضياء ، لها أجنحة قوية تشق بها عنان السماء . فيعلو الاله مركبته ويمسك بأعنة الخيل ويطارد بها النسيم من طرف القبة الزرقاء الى طرفها الآخر ، والضياء يسطع على العوالم وينير الآلهة والبشر وكل الكائنات .

٤ - وعند منتصف النهار يبلغ الفرقد ذروة الفلك ، وبعد بلوغه الاوج ينحدر رويداً رويداً نحو الاصيل . وفي وقت الغروب يبدو وكأنه يغوص في لجة البحار في اقاصي المسكونة . الا انه يلقى هنالك في الحقيقة زورقاً عسجدياً ، من صنع الاله الحداد ، فيه تنتظره أمه وامرأته واولاده .

فيمخر بصحبتهم المؤنسة عباب المحيط ، حتى يعود عند إشراقة الفجر الى نقطة الانطلاق .

٥ — أحب هيليس جزيرة إينا واصطفاها مرتعاً له وفيها اقام ولداه إيتيس و كيركي الساحرة . اما خيوله فقد كانت ترعى على اطراف الأرض ، في جزيرة المغبوطين ، وتقتات هناك باعشاب سحرية . وقد ملك إله الشمس مراتع أخرى غير التي ذكرت . ولكنه عند اقتسام ارجاء المعمورة ، لم يكن فرقد النهار حاضراً . فبقي بلا نصيب . فشكا امره الى زفس ، فسلطه على جزيرة كانت تبرز من اليم جميلة فاتنة ، فدعاها وردة باسم حبيبته رُودُس .

٦ . واختلف يوما هيليس وبسذون بشأن برزخ كورنتس ، فحكّما في الامر افريارِس ، فمنح البرزخ لملك البحار وروابي كورنتس للاله الشمس . فتنازل عنها هيليس لحليلته الزهرة .

وما عدا قطع الخيل ، حاز هيليس قطعاناً من النعاج والثيران ، قامت ابنتاه فئتوسا ولمبتيا على رعايتها . ولما هبط أذسفس ورجاله في جزيرة اثرنكريا ، اختار نفر منهم بعض البقر وذبحوها وأولموا وليمة فاخرة بلحومها . فساء الامر هيليس وهدد الآلهة بان يهبط الى الجحيم ويضيء فيها عالم الاشباح . فهدأ زفس روعه ورمى الأثمة بصواعقه .

٢ — مغامرات هيليس الغرامية ونساؤه .

١ — لما كان هذا الاله إله النور والضياء ، فأنواره وأشعته كانت تنفذ حجب الغيب وتشتف سرائر القلوب . وكان عندهم العليم الفهيم العالم السر واخفى في الورى . لا يخفى عن علمه خبر ، ويعرف المصائر والغيب . ولا يستتر عن

بصره إله او بشر . فهو الذي انبأ ذميتر باختطاف ابنتها كوري ، كما اطلع صائغ الآلهة على خيانات حليلته الزهرة . فانتقمت منه إلهة الحب والجمال ، فأوقعته في غرام لفكثوئي كريمة ملك بابل أرخموس وقرينته إفرنومي .

٢ ـ فاتخذ الاله زيّ الوالدة الجليلة ، ودنا من الفتاة . فقبلته بلا ريبة ولا تهيّب . فحسدتها اختهـــا اكـْليتيـّا ، وقد حظيت قبلها بعطف الاله ، وشكتها الى والدها . فوأدها الملك حيّة . ولما اسرع هيليُس الى النجدة ، ولم يستطع انقاذها من براثن المنون ، ولم تقدر اشعته ارجاع الحياة الى تلك الخلايا الخامدة ، أحالها الى شجرة لبانٍ ومرّ .

٣ ـ اما اكـْليتيـّا فقد ماتت من الوجد على حبيبها اله النهار . لأنه انف من وشايتها النكراء ، وهجرها هجراً مؤبداً،فخسرته وخسرت نفسها وفقدت معه اختهـــا : « فتمرّت على قول أفيديُس ، الشاعر اللاتيني ، واستلقت على الحضيض في العراء ، ولبثت تسعة أيام وتسع ليالٍ ، بلا أكل ولا شرب، سوى دموعها وندى الهواء الرطب في الاسحار . فلصق جسمها الناعم بالصخر ،وكسا شحوب المنيّـة اعضاءهـا ، فاستحالت الى غصن ادكن ، وغدا رأسها زهرة صفراء مستديرة ، تتجه نحو الشمس بلا ملل ، وتعبد ذاك الفرقد بلا كلل ». فسمّوها زهرة الهيلْيُتْرُوب أي دوار الشمس .

٤ . وأحب هيليُس غادة من جنيّات الانهر ، فلجأت لتأمن ملاحقاته الى هيكل لأرْتـِميس على ضفاف نهر الغانْج . ودخلت الهيكل وتوارت في احدى زواياه . فعجز الاله عن اكتشاف مخبئها . فصعد في طبقات الفضاء علّه يراها من علو . ودعي موضع ارتقائـه أنتـْلي ، اي موضع الاشراق ولذا سمّيت تلك الامصار بلاد المشرق .

٥ - وهيلييُس كأبُولـّن وزفس وكبار الآلهـة ، لم يكتف بامرأة او اثنتين ولا بحظية او حظيتين . بل كان له الكثير من النساء والحظايا . فقد اقترن بابنة المحيط بيبرْسي فولدت له بيرْسيس وأيِيتِس وكيركي وبَسيفائي واتخـذ نيئيرا عروساً من عرائس البحر ، فانجبت له فَئيفُسا ولامْبيتيا راعيتي ثيرانه وأغنامه. وتزوّج من الجنيّة رُودُس فخلـّفت له سبعة بنين وفتاة وحيدة إلِكتْريونا . واشتهر ابناء هيليس في صنع السفن ونبغوا في ذاك الفن.

وقيل انه اقترن بالارض جدة جده ، فولدت له أخيلُوُس .وعرف اكْليميني حليلة ميرُبسْ ملك الاحباش ، فولدت له سبع بنات وابناوحيداً فئيثُن ، هو اشهر ابنائه مع الساحرة كيركي .

٣ - أشهر ابناء هيلييُس فَئيثُن وكيركي

١ - تشاجر يوماً ابن هيليس فئيثُن وابن زفس من إيو إبَفُوس. فانكر هذا على فئيثن اصله الالهي . فاحتدم ابن هيليس غيظاً ، ومضى الى امّه يشكو همّه في سخط واستياء . فهدّأته ولاطفته وأرسلته الى ابيه ليتثبّت الامر . فلما دخل قصر أبيه ، الساطع الضياء ، حجب هيليس في الحال اشعته لئلا يحرق بلظاها ابنه المحبوب . واذ رأى حزنـه ، واكتئابه اقسم له بنهر الستارتُرُس ، أنه لن يردّ له مطلباً . فحكى الابن لابيه قصته ، والتمس بالحاح ان يقود مركبة النهار ، ولو يوماً واحداً ، ليظهر حقيقة انتمائه . فصدّه الاب طويلا ، وجزع على ابنه اشد الجزع . ولكن فئيثُن اصرّ في الطلب . وعند بزوغ الفجر تسلّم قيادة المركبة ، فشعرت الخيول بيد فتيّة غير يـد خيالها المغوار . وعندئذ هاجت وماجت ، وحادت في طريقها السويّ في كبد السماء ، ودنت من الأرض فانضبت الينابيع واحرقت الغابات ، واستولى

الجليد على أولمبس ، وكادت الجبال والهضاب تستعر استعاراً فصرخت الأرض الى زفس ، فلم ير الاله مناصاً من أن يرمي الفتى الغر بنار صواعقه . فهبط على ضفاف نهر ديار السعداء ، وهو نهر إرذانس . فبكته اخواته السبع على ضفاف النهر ، سبعة ايام وسبع ليال ، وندبته ندبا محزناً . ولئلا يعكرن هناء المغبوطين الذين اشتركوا في المناحة ، أحالهن الآلهة الى صفصاف على نبع المياه وتحولت عبراتهن الى عنبر صاف يتكاثر على تلك الضفاف .

٢ - اما كيركي ابنة هيليس وبيرسي ، فقد عُرفت خصوصاً بسحرها ومجونها . وهي اقرب الى عشتاروت إلهة الفسق عند البابليين . اقترنت بملك السرمات ، شعب من شعوب أسكيثيا اي بلاد القرم وما اليها في جنوب روسيا . وسمّت زوجها وهربت الى جزيرة إيئا وشادت لها فيها قصراً منيفاً عجيباً ، آنيته كلّها من ذهب نضار ، ومن فضة وعاج . وسرحت في مغانيه ورياضه الأسود والسباع على اختلافها ، وقد غدت بسحر كيركي أليفة وديعة لان ابنة الشمس اعتادت ان تحوّل الى دواجن كلّ من نزل في الجزيرة . فحوّلت هكذا رجال أذسفس الى خنازير . إلا ان البطل حمى نفسه من سحرها ، بفعل عشبة اسمها مولي ، وشهر السيف في وجه الساحرة ، وارغمها على اعادة صحبه الى إهابهم . فعاودوا شكلهم البشري . وأحبّت كيركي قاهرها أذسفسَ وأضافته سنة في نعماء ربوعها . فانجبت له ولداً اسمه تليغنس ، قتل اباه من بعدُ في احدى الغزوات وهو يجهله . كما انجبت له ابنة اسمها كسفني اقترن بها تليمخس ابن أذسفس من امّه بينلوبي . واذ لم يحتمل كبرياء كيركي ، اجهز عليها وقتلها وخلص العالم من شرّها ، ومن اقتدارها المخيف لانها استطاعت ان تنزل الكواكب على الأرض .

الفقرة الثانية

القمر الهة الليل

١ – اصلها ونشأتها

١ – إن سيليني إلهة القمر ، هي شخص فرقد الليل ، كما أن هيليس هو شخص فرقد النهار . وهي اخت الاله الشمس وابنة هيبريُن وثيا الإلهية . هذا وقد نماها بعضهم الى هيليس ونسبها بعض آخر الى أبي الآلهة والبشر .

٢ كانت سليني البهيّة تبتدىء جولتها في أجواز الفضاء ، عندما يهبط اخوها الى المحيط ، ويتوارى في الأصيل خلف الافق . فتطلع هي في نوبتها جميلةً ناعمة ، ترتدي خمارها الخمريّ ، وتزهو في الفلك فاتنة ساحرة ، تنشر اجنحتها الفضية الناصعة ، وتختطر بمهابة بين السحاب ، على مركبتها المضيئة اللامعة ، تجرهما في تؤدة خيول دمسة مطهّمة ، تتيح لزينتها ان تنثر على الغابات وعلى التلال والجبال ، وعلى الانهار والبحار ، فيضاً بهيّاً من الضياء ودفقات رائعة من السناء .

٢ - أسرتها وحبها العذريّ لانذميُن .

١ – لحظ زوس جمال إلهة الليل ، فاحبها حباً جمّاً ، واتخذها قرينة له فانجبت ثلاث بنات بهيات : بَنْذِيَا الفاتنة بين الخالدات ، وإرْسي العذبة

١ – ١ (١) راجع سيرة أرتميس الهة القمر والهة السحر والشعوذة ١ : ٦ : ١٣

ندى الصباح ، وغيضا التي آوى اليها الاسد الزائر . وقيل عن هذا الوحش الذي قتله هيرَكليس إنه هبط من القمر ، وقد ولدته سيليْني لقرينها زفس .

واحب القمر الإله بان ، فبدا لها بشكل كبش ناصع البياض واستمالها الى اجمة من آجام أرْكَدِيا ، كما رأينا في سيرة اله القطعان والغاب .

٢ وقد هامت الهة الليل بشاب ممشوق بهيّ الطلعة أسمه أنْذِميُن. كان ذلك الفتى أميراً من الامراء يرعى قطيعه على احدى التلال . فجاءه زفس ونقله الى أوليمْبُس لفرط جماله وروعة كماله . ولكنه تجاسر وطمح الى ربة الآلهة ، فألقى عليه زفس سباتا مؤبدا . فنقلته حبيبته سليني الى كهف في جبل لاتْمُس ، وكانت تحييه كل مساء ، وتتأمل رونق وجهه الصبوح .

٣ — وادّعى بعضهم انه ملك على مقاطعة إيلِيس ، فأحبته الهة الليل ، وولدت له خمسين فتاة . وعلى زمن بَفْسَنِيَس ، كانوا يؤمّون ضريحه في بلدة ألَمْبِيّا . وقال اهل كَرِيتا ان اميراً من امرائهم يسمى أنْذِميُن مال الى مغارة ليستريح من عناء الصيد . فدهمه الليل ولمحته القمر ، فاستهواها حسنه الفتان ، فدنت منه يحدوها الهيام ، وقبّلته بمنتهى الحنان . واذ كان ذاك الامير كاملا ، يحب العدل ويمارس الانصاف ، رام ربّ الارباب زفس ان يكافئه ويحسن اليه ، فخيّره فيما يشاء من ثواب ، فاختار لنفسه أن يُخلّد في نوم هنيء مؤبد . فما انقطعت صديقته الودود عن زيارته في أول الليل وتأمّل جماله الفتان

الفقرة الثالثة

السحَر إئوس الهة الفجر

١ – أصلها ونشأتها وزيجاتها

١ - لم يميِّز القوم الا بعد احقاب طويلة بين إئوس وهيميرا ، إلهة السحَر وإلهة النهار . وقد تمثلوها دوماً في صحبة أخيها هيلييُس ، ترفل بثياب النور الى جانبه ، وتجوب معه اجواء الكون ، مشرقة وضّاءة بهية . ثم فرقوا بينها ، وبين إلهة النهار وأناطوا بها مهمة خاصة ، وهي أن تزف الى البشر أشعة الفجر الاولى والى النبات والحشرات ندى الصباح البازغ . فتبكر تلك الغادة الهيفاء ، ذات الانامل الوردية والحواجب المسجدية والبشرة الحليبية الثلجية ، فتنهض عند صياح الديك في الغلس ، وتترك مهجع قرينها تيثُون ، وتمتطي جوادها بيغَسُس ، وتنطلق من المحيط مؤذنة بمجيء أخيها ، حاملة قارورة فاخرة ، تنثر منها على الوجود ، ندى عذباً لتحفظ له رطوبته . أو تعلو مركبة ذهبية لامعة ، يجرها جوادان مجنحان ، أشرب جلدهما صبغ الزعفران .

٢ – اقترنت تلك الإلهة البديعة الناعمة في صباها ، بعمها التيطان أسترِيئُس وكان ذلك آنئذٍ مباحاً ، فولدت نجوماً وكواكب . وولدت ايضاً الرياح : الصبا والشمال والجنوب . ولما إزدانت إئوس بمزايا خلابة مال اليها اله الحرب ، فاستفزت بذلك نقمة الزهرة ، فطعنتها بسهام العِشق ، وأولعتها

بوجـــد كثير من البشر . واول من أحبت منهم العملاق أريّن . فخطفته واحتجزته وأثارت بفعلتها سخط الآلهة . الى ان أردته أرتميس بسهمها النافذ، على سواحل جزيرة ذيلس .

٣ – ولما قضى أريَن خافت أفرذيتي ان تعود إئوس الى صحبة آرس. فأوقعتها في حب تِثون نجل لوميذن ، والد ابريّمس وجدّ هيكتُر ، خصم البطل أخلفس في حرب اطروادة . أحبت الالهة الامير الإيوني ، وأخلصت له كل اخلاص ، ومن فرط هيامها بقرينها البشري ، سألت له حياة الخلود. ولكن فاتها ان تنال له مع الخلود ديمومة الصبا . فهرم الحبيب وطعن في الهرم ، وغدا مع الايام عجوزاً صغيراً ، حتى صار بحجم الجنين . فأغلقت عليه إلهة الفجر في مخدع من مخادع القصر ، حتى رحمته الالهة وحوّلته الى صورة صرّر .

٤ – وفي تلك الاثناء ، ماانقطعت الالهة عن اللهو والعبث ، وعلقت بشاب اسمه اكليتُس حفيد العراف الشهير ميلمّبُس . واستأذنت الأرباب الخالدين ونقلته الى ربوع أولمبس . إلا انها في عبث الفتوة أحبّت ايضاً ابن هرميس المدعو كيفلس ، او ابن ملك فُكيس .

إنصرف كيفلس الى هوايته المحببة، وراح يصطاد على جبل هميتُوس، وقد إقترن من عهد جديد بفتاة وديعة لطيفة جميلة . فلما رأته إلهة الفجر ، استهواها جماله الأخاذ ، فحملته الى مغاني سورية ، وحاولت ان تستأثر بحبه ، إلا ان الزوج الأمين ، ماانفك يهدس بعروسه الناعمة .

٥ – فشق الأمر على إلهة الفجر ، وأوحت له الشك بأمانة زوجته ، وحملته على اختبارها . فجاءها ذات يوم متنكراً ، وقدّم لها جوهرات فاخرة ، وراودها بها على نفسها . وبعد ممانعة طويلة غلبت عليها التجربة واستسلمت للزوج المتنكر .

فحنق بعلها أشد الحنق وطردها الى جزيرة إيفيا . إلا ان أرتميس المنصفة، أهدتها كلباً مرهف الحس ، وسهماً نحاسياً لايطيش ، وردّتها الى زوجهـــا الخرايص المغرور . فاعجب بالهدية الفريدة ، وهو الصياد المولع بالصيد ، وارتكب هفوة فريلته أبرُكْرِيس . وتعارف الزوجـــان وتصافحا ، ولكن قلب المرأة ما اطمأن ،

٦ – وتعقبته ذات يوم الى أحـد الأدغال ، واختبأت وراء شجيرات الآس . فظن أن هنالك طريدة ، فرماها بسهمه النحاسي الفتاك ، واذا بذلك السهم القتـال ، يفتك بأعز كائن في الوجود . ورُفعت قضيته الى محفل القضاء الأعلى عندهم ، الى محكمة آرِيس باغُس . فقُضي عليه بالنفي . وإذ لم يحتمل فقد الحبيبة الغالية ، قضى من فرط الأسى والهم ، وأغرق نفسه في لجة اليمّ .

٢ – سلالة إِيُوس .

١ – وُلد لتيثون من الالهة إيوس نجلان كريمان : مِيمْنُن وهِمَثِين . فملك الاول على بلاد الحبشة . وملك الثاني على بلاد العرب . وتشاجر هـــذا الاخير وهركليس فقتله . وإذ أردى مِيمْنُن أنتيلخس بن نسْطر ، اجهز أخلفس صديق القتيل ، على القاتل وأراد قتله . فرازهما زفس في ميزانه . فرجحت كفة أخلفس ، فأجهز على أبهى مقاتل ظهر امـام إيلين ، وهو ابن الفجر ميمنن ، وطعنه طعنة أودت بحياته .

وبعد مماته نالت له أمّه موهبة الخلود . ولكنها لا تني تبكيه كل صباح ، وتسكب على فقده عبرات هادئة هي عبرات الندى السحري .

ويبدو أن مِيمْنُن هذا ، أسّس مدينة سوسة في بلاد فارس ، وبنى

اسوار بابل في ما بين النهرين ، وقد اكرموه في مصر وشادوا له في ثيفة تمثالاً ضخما ، ينبعث منه نغم شجيّ ، عندما تقع عليه أولى اشعة الفجر .

٢ـ ومن ابناء إلهة الصباح فَتَيْشُن ، وقد خطفته لضياء وجهه ، الزُهرة إلهة الجمال ، واقامته على حراسة أحد هيا كلها . وفُوسْفُرُس إله نجمة الصبح ، وهِيسْبِرُس إله نجمة المساء . أما فُوسْفُرُس فقد كان قبل الفجر ينطلق في كبد السماء ، حاملا مشعلا نيّراً وهّاجاً ، ويتقدّم مركبة والدته . وعدّوا هِيسْبِرُس واخاه ، ابهى واروع كواكب السماء جميعاً ، وقد وُلد له ابن ، حوّله ابولن إلى باشق ، لفرط حزنه على موت ابنه خيُوني .

٣ ـ واخيرا نسبوا الى هِيسْبِرُس الهِسْبِرِيدة أو المغربيات . وعاهن بعضهم الى الليل وإيْرِفُس أو الى فُرْكِيس و كِيتُو ، وحتى الى زفس وثيميس . اقامت تلك الالهات في اقصى مغارب الارض ، في رياضٍ ساحرة وربوعٍ فاتنة عاطرة ، ازهارها عجيبة نادرة ، وثمارها شهية وافرة ، وتفاحها من التحف الفاخرة ، وبعضه ذهب ونضار . وربما كانت تلك الخرائد رمز الى السحب والغيوم التي شبّهوها بقطعان الغنم .

٣ - أَرِيُن والبَلْيَاد والهِيَاد

١ ـ اختلف العلماء في نسبة هذا العملاق . فقال بعض المحقّقين انه من العمالقة ابناء الارض ، وادعى غيرهم انه ابن بُسِيذُون وإفْرِيالي . وقال آخرون انه ابن ملك فِيُتِيّا . وهــذه الرواية اكثر الاقوال رواجاً . وقد لاقت عندهم رضى وقبولا .

ذالكم أن زفس واخاه ملكَ البحار وساعيَ الآلهة هرميسَ استضافوا ملك فيتيّا هيِرْيِفْس - وقيل رجلاً فقيراً - فاكرم مثواهم وبالغ في ادب

الضيافة . فراموا ان يكافئوه فالتمس لنفسه ولدا لانه كان بلا عقب فاستحضروا جلد العجلة التي اولم منها الوليمة ، وبالوا عليها كل بنوبته ، وامروه ان يطمرها ويستلقدها بعد تسعة أشهر . ولمّـا حُمّ الأوان بزغ أريُن من الأرض فتى كبيراً ماعتّم أن غدا عملاقاً قديراً وصياداً بارعاً شهيراً . اذا مشى في قاع البحر برزت منه هامته ، وان خطر على وجهه . نطح السحاب رأسه . فرأته إلهـة الصيد وزاملته وصادقته ، فما انفك واياها ينصرفان الى هوايتها المفضلة ، بصحبة كلبه سيثْرِيُس .

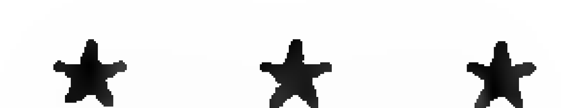
٢ ـ واقترن العملاق بجنيّة بديعة اسمها سذي ، تبـاهت مرة بحسنها الأخّاذ ، وفاخرت فيه هيرا ربّـة الارباب . فحنقت الالهة العظمى وزجّت بالمدعية الصلفة في مهاوي تَارْتَرُس . فتعلق العملاق بميروبي ابنة ملك خِيُس . لكن إِنُوبِيُن أبا الفتـــاة ، فرض على خاطب ابنته ان يطهّر الجزيرة من الضواري . وبعد ان انجز البطل المهمة ، نكص الوالد بوعده ، فاخذ العملاق فتاته عنوة . واذ استنجد الملك بذِيونِيسُس ، أوقع على الغاصب سباتاً ، فجاء الملك وفقأ عينيه .

٣ ـ لكن عرافة دِلْفِي أنبأت الضرير ، انه يستعيد البصر ان اتجه الى الشمس . فجاء صانع الآلهة في جزيرته ليمْنُس . فحنّ عليه الاله وكلّف ابنه كيذَليُن بمواكبته . ولما شفاه اله الشمس خطفته إلهة الفجر ، ولما عاد الى الارض عاود مصاحبة أرْتِميس ، حتى جنى عليه أبُولّن وكان مسبب قتله .

وقيل ايضاً إنه تجاسر وتحدّى إلهة الصيد في رمي الصحن الطائر . أو إنه تباهى امامها وتبجّح باخلاء جزيرتها من الطرائد او الوحوش الآبدة . أو شاء بحضرتها أن يغازل بعض وصيفاتها من عرائس الغـــابات والوديان ،

وهذا جرم أشنع وأفظع . فأثارها وأسخطها بذلك ، فهيّجت عقرباً ضخماً . فلدغ الصاحب الطائش وأورده المنون في الحال . وعلى كل ، ما رأت الالهة حبيبها فريسة البلا والجحيم ، حتى نقلته إلى فلك السماء ، حيث غدا برج القوس أو القلادة ، الذي ينقص لمعانه ، اذا بدا برج العقرب .

٤ — اما البْلياذِس والهيّاذِس فهنّ بنات التيطان أطْلاس وقرينته ابْليُوني . وقد تعقّبهن العملاق أورِيْن على جبال فِيُتيّا وقارب ان يقبض عليهنّ . لكن زفس الذي احبّهن ، أحالهن الى حمامات ثمّ نقلهن الى السماء حيث غدون نجوماً ساطعات . وهنالك عندما تبدو الفئة الاولى تبشّر بالربيع واما الثانية فتؤْذِن بحلول الشتاء .



الفصل الرابع

آلهة الهواء
والزوابع والأعاصير

١ - الرياح الاربع

١ رأينا أن الفجر انجبت لأستريشس ، إله النجوم الساطعة ، بين ما انجبت له ، الرياح الأربع : فريشس ريح الشمال القارسة ، ونُوتُس ريح الجنوب الزوبعيّة ، وإيفرُس صبا الشرق الناعمة ، وزيفيرُس ريح البحار الغربيّة المثيرة العجاج والمهيّجة الأمواج .

٢ - وتوهموا فريشس في هيئة رجل قدير مجنّح ، يموج شعره في الهواء ، وقد التفت الثعابين حول ساقيه . اكرمه الاثينيون وشادوا له معبداً على ضفاف نهر إليسُوس ، ليخلدوا ذكرى اختطاف أُرثيا ابنة إرخثيفس أحد ملوكهم الأوائل . وهو الذي بعثر في عرض البحر سفن داريس الملك وابنه اكسيركسيس إبّان الحروب الفارسية الاولى والثانية ، في القرن الخامس قبل المسيح .

٣ واختار فريشس مقاماً له جبال ثراقيا . وقد قصدته إيرس في كهوف تلك الهضاب الشاخات ، عندما شاءت ان يضرم محرقة بتروكليس .

صديق أخيلـّـثس . وهناك أقام مـع الاميرة الأثينية التي خطفها . فانجبت له الفَـرِناذِهِ زِتِيِش و كَالَـيِس . وقـد اشتركا في رحلة سفينة أرْغُـو ، واختلفا وهركليس فأرداهما في جزيرة زِيـنُـس ، فاستحالا الى هواء عليل دعي الهواء السابق ، لانه يسبق اشتدادالقيظ عند ظهور الشِعـْرَى في الجوزاء، أي ظهور سِيـْرِيُس كلب أريّن في برج التوأمين كَاسْتَرْ وبُـلِيذيفكِس. ومن مواليد ريح الشمال خِيوني الحسناء التي أحبها بسذون اله البحار .

واقترن فَرُيـنُـس بأفراس إرخْـثُونِيُس ، فوضعت الافراس اثني عشر مهراً سلهبا ، تمشي على مروج القمـح ولا تثني السبل ، وتخطر على صفحات اللجة ولا تبلّ سنابكها .

٤ ـ وأقام زِيـفيرُس مـع أخيه ُفرِيـنَـس في كهوف تَرَاقيا وفي حصون جبالها الشاخة . وكان في عنفوان شبابه ريحاً غربية عاتية ، تهبّ هبوب الاعصار وتجعّد صفحات البحار ، وتسوق الزوابـع والأمطار . ثم سكن جيشانه وهدأ هيجانه ، واصبـح مـع الايام نسيماً ناعماً عليلاً ، تعطر أنفاسه الارجة ربوع الهـِلِـيـشيُن (١) ومراتعها الغناء ، حيث تتمتـع بالهناء ، نفوس الصديقين والاولياء .

٢ - ربّ الرياح وسيّدها :

١ ـ وهنالك اعتقاد آخر ، يعبر عنه هومرس ، صــاحب الأوذسيّة والالياذة ، ان الرياح ذاتها لها سيد سائد عليها ورب يأمرها فتمتثل أوامره ، وهو الاله إِيـُـلُـس ، بن بسِيذون وأرني . أمّ هـذا الاله مُجزر لِبَاري واقترن فيها بغِيَاني ابنة الملك لِيبِرُس وحدبت عليه الآلهة وشملتـه بعطفها.

١ ـ ٤ (١) هي الربوع المعروفة عند الفرنجة بربوع الاليزة .

بسبب برّه وعدالته . فعهد اليه ابو الالهة رعاية الرياح وسياستها . وقد كان أولاً حارسها والقيم عليها ، فغدا مع الايام أباها وربها .

٢ ــ أقام هــذا الاله في الجزر الليبارية ، بين صقلية وسواحل ايطالية الوسطى وأضاف البطل اليوناني أذسفس . وعندما ودعه ، أهداه زقاً كبيراً حشر فيه الاله ، الرياح المناوئة لرحلة صديقه الطويلة في البحر . وأوصى الاله ضيفه قبل الرحيل قائلاً : « إياك ان تفتح هـــذا الزق ، والا أصابتك في اليم المكاره » . لكن فضول الملاحين اصحابه ، أبى إلا ان يفتح الزق . فانطلقت الرياح وهبّت على السفينة واغرقتها قبل بلوغ الميناء .

ففي تلك الجزر كان إيئلس يضبط الرياح ويغلق عليها في كهوف رحبة شاسعة . وقيل عنه انه استنبط أشرعة السفن وعلّم النوتية طريقة استعمالها .

٣ ــ الخيميرا قاذفة اللهب وإِيخِدْنا الزوابع الخاطفات :

١ ــ خلا مارأينا من الرياح ، هناك هولات شنيعات يمثلن عنـــدهم الزوابع الزعازع ، والعواصف الموجاء والأعاصير . وتلك الهولات بنات الإعصار الرهيب تيفن ، وقرينته المخيفة إيخِدْنا ، التي أحرزت جسم غادة هيفاء ، وذيل أفعوان ضخم مرصوف بالفلوس الخشنة الحرشاء .

٢ ــ وأشهر تلك الهولات خيميرا . وقد صوّروها وتمثلوها بأشكال مختلفة متباينة . فبدت تارة في صورة أسد ، على ظهره رأس عقاب ، ذو قرنين شبيهين بقرون المعز ، وله ذيل الاسود . بيد ان الذيـل ينتهي برأس حنش . وظهرت طوراً بهامة أسد وجسم ماعز وذيل ثعبان . تقذف من شدقها النيران . وترمز الى الرعود المزمزمة والغيوم المتلبدة والصواعق المتألقة المدوية .

٣ – وإخوتها الجنيات الخاطفات تمثل الزوابع والعواصف. لأنها كانت تحط على الأمواج العاتية وتثيرها وتهيجها ، وتنشىء فيها الأعاصير الهائلة. ذكر هومروس اسم احداها بذوغي ، وسمى اثنتين أخريين أ ئلو وأكسيبتيّس.

كان لتلك المولات وجه عجوز دميم ، وأذنا دب وجسم الجوارح بمخالبها الشديدة . دعيت خاطفات ، لانها مافتئت تسطو على الناس، وتخطف مايشترون من لحوم ، أو تنجسها بذرقها ، وتشيع الذعر والجوع . وقد سلطت هكذا على العرّاف فينفس ، الذي حكم عليه زفس بشيخوخة دائمة . فكانت تأتيه كل صباح ، وتلتهم مايقدم له من مآكل ، وترش سلحها على الأوعية .

وقد حاربها ملاحو سفينة أرغو ، ولا سيما زيتس منهم وكالئس . وقد تعقباها في الفضاء وغلباها . ولم يتركاها حية إلا نزولاً عند رغبة إ يرس . وقيل انها غرقت في البحر أو في نهر تيغريس .

الفصل الخامس

آلهة حياة الانسان

سيطر زفس على الكون وساس الالهة والبشر . ولكنه لم يكن يتدخل في شؤون المائتين مباشرة بل عهد في تدبير أمورهم والسهر عليهم والعناية بهم ، الى أرباب آخرين اقامهم على هذا كله وأوصاهم بهم خيراً . ومن جملة أولئك الأرباب ، آلهة الولادة والصحة وآلهة الحياة الخلقية .

١ – آلهة الولادة .

١ . عرف الأقدمون قابلتين قنونيتين بين الآلهة باسم إيليثيا . والاثنتان أنجبتهما هيرا لزفس . وخصت الواحدة بآلام المخاض ، وخصت الثانية بخلاص الحامل البالغة أوان وضعها . ولكن الثنتين ماعتمتا ان اندمجتا الواحـــدة في الأخرى . ولم يبق بعد هومرس سوى إيليثيـا واحدة ، لاتستطيـع امرأة أو إلهة ان تلد مولودها دون حضورها ومؤازرتها .

٢ – ورأينا في سيرة أبولن وأرتميس كيف عذبت هيرا أمهما لتو . فعانت المغضوب عليها تسعة ايام وتسع ليالٍ آلام المخاض ، حتى رحمهـا الالهة وأوفدوا إيرس الى هيرا ، فاستعطفتها وجاءت بإليثيا . وقد صوروا هذه الالهة

راكعة تمسك بيد مشعلاً وبالأخرى تشجع الوالدة وتساعدها . وقد سموا هيرا باسم إليثيا في أرغس ، وأطلقوا هذا الاسم على أرتميس في جزيرة ذيلس .

٢ . آلهة الصحة أسكلبيوس وسلالته :

١ — إله الصحة عندهم الاله أسكلبيوس . وهو ابن أبولن إله النور والفن والمعرفة ، من الاميرة الثيفية كروني . وعرفنا فاجعة الأميرة البائسة، ومأساتها مع الاله عشيقها ، وموتها الشنيع فوق المحرقة .

ورُوي بعضهم ان كروني ولدت ابنها في حملة حملها أبوها أفلغيس، على بلاد أركذيا . وخوفاً من ان ينفضح أمرها مع الاله ، عرضت الطفل على جبل تتثيُن قرب إبيذفرس في لكنيا ، فعطفت عليه عنزة جعلت ترضعه حليبها، وحماه كلب أمين ، ماانفك يحرسه ويدفع عنه السباع . وأبوه القدير يسهر عليه في تلك الغضون .

٢ — ولما نشأ الطفل وترعرع قليلاً ، عثر عليه راع في تلك المنطقة . فاخذه واعتنى بامره وسلّمه الى الكينتَفْرُس خيرُن . وزعموا ان أباه أبولن ، هو الذي انتشله من فوق المحرقة ودفعه الى خيرُنَ الحكيم ليربيّه ويهذّبه . فحدب عليه الجنيّ وعلّمه الصيد ولقّنه علم الطب ، فبرع فيه حتى تغلّب على كل مرض ، وقهر الموت نفسه وأقام الموتى ، إمّا بدم الهولة الهائلة ميذُسا ، وقد اعطته أياه أثينا . وإما بعشبة رأى حية تحيي بها حية أخرى ، كان قد قتلها منذ قليل .

٣ — فذعر هاذِس لهذا النبأ ، وقصد رب الآلهة وشكى أمره ، مدّعياً ان دياره لن تعتّم ان تغدو قاعاً صفصفاً تنعب فيها الغربان وتعوي بنات

آوى ، ان انتشر علم ذاك الاله الجديد . فرأى اله الكون ان البشر مائتون، وأنه لابدّ ان يسري عليهم القدر المحتوم . فاردى أسكليبيُوس بصاعقة خفية وأورده حتفه . فحنق أبُولـّن وأفنى العمالقة الثلاثة : البرقَ والرعدَ والصاعقة الذين استنبطوا له تلك الاداة الفتّاكـة . فنفـاه أبوه عن ديار الخلد ولكنه بعد ان كفر عن ذنبه وارضى اباه ، التمس منه ان ينقل ابنه أسكليبيُوس الى السماء ، فجعله فيها برجاً نيّراً هو برج الرامي .

٤ — اقترن أسكليبيُوس بابيبُوني احـــدى الجنيّات الفاتنات ، فأنجبت له طبيبين شهيرين عندهم ، هما مَخَاوُن وبُذَليرِيُس . وقد اشتركا في حرب اطروادة . وشفى اولـُها مينيلَس من جرح سهم بليغ وقـُتل في تلك الحرب . وقذفت الرياح بالثاني الى سواحل كَريتّا ، فانصرف فيها الى معالجة المرضى ومداواة السقماء . أما بنات الاله الشهيرات ، فهن أغلَئيّا وبَنَكيّا وإيَسُو وهيغيئيّا : اي النضارة والشفاء والعافية والصحة . ووُلد له ابن اصغر سمّاه النَقَهَ تيليسفُورُس .

٥ - . وقد عبدوا هذا الاله في اكثر مدن اليونان ، وشادوا له المساجد والمعابد في ربوع وادعة وغياض هاجمة على ضفاف الانهار او سواحل البحار ، وفي أمكنة صحيةهواؤها عليل وماؤها سلسبيل. اذ كانت تلك المعابدمصحات حقيقية ، يؤمّها ذوو العاهات من كل الانحـاء قصد المعالجة والمداواة والتماساً للعافية والشفاء . وقد انتسب كهّان تلك المساجدالى سلالة اله الطب، واحتكروا العلم لذواتهم ، وحفظوه أحقاباً ، وجعلوه سراً مكتوماً وطلسما مختوما .

٦ — كان المرضى في مصحّات الاله ، يتطهرون بالقطاعة والصيام والغسول والطهور ، والذبائح والصلوات ثم ينامون في الهيكل بجوار تمثـال

الاله على جلود الاضاحي أو أسرّة خشبيّة . فيتمثّل لهم الاله في الحلم ويرشدهم الى خير عـلاج . وعند الصباح يعمد الكهنة الى وصفات معلقة على جدران الهيكل ، فيفسّرونها باسم الاله ، ويؤكّدون للسائلين ان في تطبيقها الشفاء . وتلك اللوحات كانت أولى كتب الطب . أما هيـــا كل أسكْلِيبْيُوس فقد اشتهرت في عواصم العالم القديم ، ولم تخلُ منهـا مدينة هامّة . ولكن اكثرها شهرة هيا كل أثينا وروما وإبيذَفْرس وجزيرة كُوْس ، الواقعة على الساحل الجنوبي من آسيا الصغرى بين سَامُس ورُوْدُس .

٣ — آلهة الحياة الأخلاقية ، إِنْمِيرِه وِنِيْمِيسِس وتِيخي

١ – إن المصائر الثلاث إِنْمِيرِه ، هنّ بنات الارض . وقال بعض علمائهم انهن بنـــات زفسَ وثِيْمِيس . وقصرهن في ديار الخلود بقرب قصر الساعات الناعمات . ففي تلك المغـاني المؤنسة ، تسهر إلاهات القدر على مصائر الآلهة والبشر ، وعلى نظام البرايا وانسجام الكائنات اذ لا يخضع لهن المائتون فقط ، بل الخالدون انفسهم بلا استثناء . وهن يعرفن معيار كل شيء ، ومصائر الجميع مسطرة أمامهن على صفائـح من نحاس . فيشرفن على مبادىء الاشياء ومواليد الآلهة والبشر . واذا دنا اجل احد الاحياء ، صَرَمْنَ حبل حياته بلا شفقة.

٢ – وتلك الالاهات هنّ اكْلُثُو ولاخِسِيس وآتْرُبُس . فالأولى ترتدي ثوباً ازرق سماوياً ، وتكلّل هامتها بتاجٍ من نجوم . والثانية اتشحت بثوبٍ ورديّ فاتح ، تأتلق فيـــه الكواكب . والثالثة وهي الكبرى فقد ارتدت ملابس حِدادٍ سوداء . والاخوات الثلاث يحضرن مولد كلّ إنسان

مع إليثيا . ويراقبنه خفية طيلة العمر . ولابد للزوجين وقت قرانهما من الابتهال الى إلهات القدر كي يظل الزواج موفقاً سعيداً .

٣ — ودعوها الغازلات ، لانها تغزل لكل امرء نسيج حياته .
فتغزل لعيش السعد والهناء خيوطاً حريرية ذهبية ، ولعيش البؤس والشقاء خيوط صوفٍ أسود مدلهمٌ ، ولعيش الرنّق الممزوج بالافراح والاتراح ، خيوطاً من صوف أبيض وأسود على السواء .

فاكلثو تمسك مغزلاً يلامس الارض . ولاخيسيس تهب الحظ السعيد او التعيس ، وتقسم لكل مخلوقٍ قسمته . وآتروبُس تقبض على مقصٍّ لايرحم ، وتصرم حبل العمر عند دنوّ الاجل .

وقد تمثلوا تلك الالاهات بهيئة عجائز ثلاث ، معتمات بعمائم من صوف خالطه زهر النرجس. وقد ذبحوا لها النعاج السود، كما يذبحونها للالاهات الانتقام.

٤ — والالهة نيميسيس قسمةُ الحق والانصاف ، هي ايضاً ابنة الارض جدةِ الكائنات طراً . وقد ولدتها كأخواتها السوابق دون ارتياد الحب . وقيل إنها ابنة المحيط ، او ابنة الليل وايرفس أو ابنة العدل والقضاء.

ومماها هيسيدُس وباء البشر ، لا لانصافها وإحقاقها الحق . ولكن لتجاوزهم القسطَ والاعتدال . فان بطر الانام وبلغوا حدود الصلف ، حلت بهم نقمة نيميسيس . لأن المرء يثير الآلهة إمّا بتجاوز شرائع السماء ، وإما بفرط الترف والرخاء . ففي هذه الحالة تنتقم نيميسيس . وفي تلك تبطش به الإلهة آتي .

٥ - وما هذه الالهة الا إلهة الانتقام او بالحري الهة الشرّ والاثم ، التي تدفع البشر والآلهة الى ارتكاب المخازي والجرائم . وقد دفعت زفس أباها نفسه الى ذاك القسم الذي جرّ الويل على ابنه هيرَكْليس ، فطردها من ديار الخلد ونفضها من علياته على الارض . فوقعت على البشر داءً ووباء . ولكن أبا الآلهة والبشر ندم على عمله فاعقبها بالِيلتيه إلهات التضرّع والاستغفار . وهن بناته ايضا . ومن أكرم مثوى هذه العجائز الوقورات ، منّ المولى عليه باليمن والخير . وتيخي هي الحظّ الاعمى الجالب شآبيب الخير .



الفصل السادس

الجحيم وآلهتها وأعوانهم

الفقرة الاولى

الجحيم

١ – موقعها ومنافذها

ان الجحيم في اعتقادهم مقرّ الارواح بعد انفصالها عن الجسد . وهذا المثوى الأخير الذي تهبط اليه النفوس البشرية بعد الموت هو منقع عذاب للاشرار ، أو مرتع ثواب للابرار . وقد ضمّ بقعاً كثيرة ، تُصنّف فيها الأرواح حسب أصنافها ودرجة استحقاقها .

١ – واختلف علماؤهم بشأن موقع الجحيم . فقال اصحاب المذهب الموميري انها تقع على حدود البسيطة ، وراء المحيط ، خلف بلاد القيمريين . هذا ما فصلته كيركي ابنة الشمس ، لخليلها أذسيفس ، عندما شاء ان ينطلق الى بلد الاموات ، ليسأل ظلّ ترسيّس ، عما يخبأ له القدر . ففي تلك الديار النائية ، ديار البلاء والعفاء ، حيث لا تشرق الشمس لبعدها عن تلك الاصقاع

ينبت في الحقول ضرب من الزنبق البري المنتشر في المقابر ، ونوع من الحور والصفصاف ، المغبرّ اللون الضارب الى السواد .

٢ – وقال أصحاب فِرْجيليُس ، وغيرهُم من المدقّقين ، عندما تثبّتوا ان بلاد المعمور كلها تضيئها الشمس ، قال هؤلاء جميعاً إن الجحيم في بطن الأرض ، ينحدر اليهـــا المائتون من جهات مختلفة ، من مغاور لا يُسبر غورها ، او انهار مجاريها تخترق الأرض على مسافات شاسعة . كمغارة هراكليا في البنطس ، ومغارة أخيروسا في ايْبيرُس ، ومغارة رأس تِيْنرُس ، في الجنوب الشرقيّ من شبه الجزيرة اليونانية ، وكهف كلنُوس قربَ أثينا حيث اكرموا « العطوفات » إلهات الانتقام . واشهر الأنهر المؤدية الى الجحيم نهر آخيرُن نهر الألم والحسرة في تِسْبرُتيا من اعمال إيْبيرُس الوسطى . ونهر كُكُتُوس نهر التنهّد والنحيب ، وهو من روافد أخيْرُن . ومن مداخل الجحيم مدخلُ بحيرة أفِـرْنُس في كَمْبانيا على مقربـة من مدينة كُوْمِـة . وهناك اخرى في فِيتنيا من أعمال آسية الصغرى ، وفي صعيد مصر عند منابع النيل وفي بلاد الحبشة .

٣ – مشارف الجحيم

١ – قامت على مشارف ديار البلى أجمة دعوها غابة بِرْسِـفُوني . وتلك الديار بعد هاتيك الغابة لها أسوارها المائجة بمياه مالحة ثقيلة او نيران متأجّجة . ولها تلالها وهضابها ، ولها غياضها وواحاتها ، ولها مناقع العذاب ومهاويها الرهيبة ، كما لها مراتع الراحة ومغانيها العجيبة . فهناك الحدائق الغناء وهناك الميادين الفيحاء ، يتبارى فيها الابطـــال الأقوياء ويتجارى الفرسان

الأشاوس الاشداء . كما يتنافس في ربوعها الشعراء والفلاسفة والأدباء ، ويقيم اهل الفن والطرب حفلات الرقص والتمثيل والغناء ، على ضفاف الغدران وتحت صفصاف الوديان .

٢ — فبعد ان يقطع المرء غاب ملكة الجحيم ، يلقى الشؤون والشجون والغموم والهموم ، في منعطف الهضبة التي قام عليها ذلك الغاب ، ثم يشاهد العلل والامراض والشيخوخة والأوجاع ، والهلع والجوع ، والفقر والهزال والألم والموت والنوم شقيق المنيّة ، وافراح النفس المنحرفة . واذا تقدم المسافر في تلك الطريق ، عاين على اعتاب هاتيك الديار ، الحرب الضروس والافاعي الهائجات ، المعروفات عندهم باسم ارنيس اي المنتقمات ، وباسم إمنيذيس أي العطوفات . وهذه اللفظة من باب التورية خوفاً من لفظ الاسم الصحيح .

٣ — ويرى ايضاً النزاع البغيض بلمّته المشعّثة ، والثعابين المهتاجة فيها ، والدم والسّم الزعاف ينقط منهـــا . ثم الكنتفري تتمرّغ في التراب وافريارئُس العملاق الرهيب يهدّد ويلوح بايادية المئة ، ويدمدم بأشداقه الخمسين . وتنّين ليرْني والخيْمرا قاذفة اللهب ، والهولات الثلاث والخاطفات القذعات ، وغريُن العملاق الهائل باجسامه الضخمة الثلاثة ، وفي وسط البقعة دوحة شامخة باسقة من الدردار ، حطّت الاحلام الواهية على أوراقها كضباب من الهوام .

٣ — انهار الجحيم

وعندئذ يبلغ المرء ضفاف أخيرُن ، ذلك النهر اللجب الذي تتدافع

بأمواجه الملوّثة عاتيةً زاخرة ، لا سيما بعد أن تمتزج بمياه النحيب والحسرات مياه رفده نهر كُكيتوس . وأخيرُن هو ابن الأرض وقد قضى زفسُ عليه إبان حرب الشيطان . لأنه ساعد إخوته وسقاهم في المعركة فرشقه زفس بصواعقه ، وأهبطه الى الجحيم . فاستحال فيها الى نهر هدّار . ولزام على أرواح الراقدين ان تجتازه لتبلغ مقرّ راحتها . ولا تستطيع ذلك الا على متن فُلك خارن العتيق الايام ، ذي اللحية الكثّة الشمطاء والمحيّا العبوس والثياب القذرة الرثّة . وهذا الشيخ العتيّ ، هو ابن الديجور إيرِفُس الذي يكتنف ارجاء الجحيم ، وابن دجنة الليل الحالك . وقد فرض على كل ظلّ يروم اجتياز انهر الجحيم ، ان يؤدي له فلساً يضعه الاحياء تحت لسان الفقيـــد ، ان كان فقيراً . والا ففلسين او ثلاثة . ومن لا يحمل هذا الفلس او من لم يدفن بعد موته ، لكزه خارُن بمقذافه ، وتركه يتيه ملتاعاً على ضفاف أخيرُن مدة مئة عام .

٢ — وان شاء حي من الاحياء ان يعلو الفلك ليجتاز الانهر ، عليه ان يحمل الى ربّة عالم الاموات غصناً من ذهب ، ينبت على شجرة فريدة ، لا تهدي اليها برسفُوني إلا من تشاء . واذ خشي خارُن بطش هركلِيس وأجازه دون ذلك الغصن ، كُبّل ربان الجحيم ، والقي في مهاوي تارتُرُس سنةً كاملة ولم يكن خارُن يستطيع ان ينقل من تلك الارواح المزدحمة كالفراش ، سوى عدد زهيد كل دور ، لان زورقه قد نخّ وتشقّق .

٣ - ويصبّ النهران المذكوران في نهر كبير يحدق بالجحيم من كل صوب ، ويحيط بها تسع مرات . والنهر هو نهر السْتِيكْس ، تلك الغادة الحسناء ابنة المحيط واخته تِثِيس . وقد اقترنت بالشيطان بَلاّس فولدت له

الغيرة والبأس والعنف والظفر . ولما ثار التيطان على ابنـــاء الزمان ، لم تعبأ بقريتنيها ، بل مالت واولادها الى أبناء عمتها . فكافأها زفس بان جعل اسمها مقدّساً رهيباً ، لا يحلف به إله ويحنث بقسمه ، الا ويفقد ميزات ألوهته مدة قرن كامل .

وهنالك ايضاً ثلاثة انهر الاول يحوط منقع العذاب ويزيده رهبةً وهولاً وهو نهر افليغتون ، نهر اللهَب والشُهُب . والثاني في بقعة السعداء وهو نهر إرِذانس ، والثالث على حدود الموت والحياة . وهو نهر النسيان والسلـــوان .

٤ – البقــع الكبرى في الجحيم ودركاتها

١ — بعد عبور النهر الاكبر ، يدخل الزائر مملكة الظلال . فيستقبله على ارض تكثر مستنقعاتها ، وحش ضار يرنّ عواؤه رنّة الصنوج ، وتزفر الافاعي فوق اعناقه ، ويقطر السم من اشداقه . وقد عاين له بعضهم خمسين رأساً . وعاين غيرهم ثلاثـة أرؤس . وإن أفلت أحد من كلب الجحيم ، لم يُفلت من الهولات الاخرى التي حرست مداخل عالم الاموات .

٢ — ويتقدّم الجائل في تلك الرحاب ، واذا أمامه سهل فسيح ينبعث منه انين شجي يطلقه الاطفال المائتون ، حين الولادة أو بعدها بقليل . ويلي السهل سهل اكبر حشرت فيه ارواح الضحايا البريئة ، وقد جنت عليها العدالة البشرية وحرمتها لذة الحياة ، باحـكام اعتباطية جائرة . وقد انتصب بين تلك الجماهير من الضحايا منبر مينُس ملك كريت الاسبق ، قاضي الجحيم المكرّم ، يساعده أخوه إئـكوس في الاستماع الى قضايا الارواح ، وفي البحث عـن

اعمالها الصالحـــة ، وفي تحديد الثواب أو العقاب ، المتوجّب على كل واحـدة منها .

٣ - واذا قطع المرء سهل ميثّس ، بـلغ بقعة البكاء والنحيب ،وقد انتشر فيشعاب تلالها ووهادها ، المنتحرون الذين صرموا حبل حياتهم،وهم الآن تائهون في تلك الوهاد يشكون ويئنون من قسوة حبيب صدّهم ، أو معبود سلا ودّهم ، أو معشوق أثار حقدهم . ويبحثون في يأس وبؤس عن صاحب هيامهم ومهيّج غرامهم ، شأنهم في الحياة السالفة . أما الجنود والمشاهير من القواد والابطال ، نظير أغَمـِمْنُن ملك الملوك ، وآجَكْسَ الجيّاش وأخيلّفس المغوار وهيرَكْلِيسَ الصنديد ، فهؤلاء وغيرهم كثيرون انصرفوا في مرج نيّر وضّاء الى المبارزة والملاكمة ، والى مختلف العاب الرياضة والفروسية .

٤ - وبعد مرج المحاربين تتشعب الطريق شعبين ، يؤدي احداهما الى منقـع العذاب والآخر الى مرتـع العزاء والثواب. فهناك على بعد شاسع ارسيت على الصخر الاصمّ أساسات ثلاثة اسوار شاهقة ، هي اسوار مكان البلاء والشقاء ويحدق بتلك الجدران العاتية المنيفة،نهر يزجّي في تيّاره نيراناً متأججة وحَمَماً متوهجـة ، دعي فليـيـثُن أي نهر اللظى . واسندت بوابتا التارْتَرُس الى عمودين من ماس ، وارتفـع وراءها برج هائل من حديد . وبقرب نهر النشيـج والنحيب ، جلس حاكم سجن الجحيم ، يملي على المعذبـين أحكام شقائهم المرير . ورذامنثس هو اخو مينس وانكوس ، وابن إفروبا خليلة رب الآلهة . ومن حكم عليه القاضي الرهيب ، زُجّ في مهاوي تارترس ، في لجج لا قرار لها ، من فوهة فاغرة رست بجانبها قواعد الارض والبحار . وإذا هبط إليها جان من الجناة ، تدهور فيها من هاوية الى هاوية ، مـدة ايام

وشهور . وبعد سنة كاملة لايبلغ الى القرار ، والأعاصير تتقاذفه كورقة من اوراق الخريف ، تناثرت في مهب الريـح .

٥ — ومن تلك الفوهة المشؤومة ، التي يشمئز منها الآلهة ، والتي أغلقها بسذون بأبواب من نحاس ، إنحدر تيتيس الجبار الذي يغطي جسمة تسع مئة وخمسين متراً مربعاً ، إذا تمدّد على الارض . وقـد سُلط عليه عقابان ينهشان كبده بلا هوادة ، لأنــه أهان لتو والدة أبولن وأرتميس ، عندما هربت من الافعوان بثون . ومن تلك الفوهة هبط سيسفس ملك كورنثس الشرير ، وأكره على دحرجة صخر الى ذروة جبل ، يهوي منها كلما قارب الوصول اليها. لأنه كان يهرس الناس بالصخور ، أو يفسخهم بجزوع الصنوبر . وهبط تانتلس بن زفس ملك لذيّا الذي تطاول على الآلهة بعد أن قبلوه ضيفاً على موائدهم . وقدّم لهم مرة لاختبار علمهم لحم ابنه بيلبس . فألقي في منقع العذاب هـذا ، في مستنقع لايستطيـع ان يعبّ من مائه ليروي سعير عطشه ، وأمام مائدة فاخرة ، لايمكنه أن يأكل أكلها الشهي ويهدىء به جوعه .

٦ — ففي تلك البقعة الرهيبة ، طرح التيطـــان المعاندون والمردة المكابرون المتجبرون . وطرح ايضاً سلمنفس الذي أعماه الغرور ورام أن يماثل رب الآلهة بقذف الصواعق والبروق . وإكسين الأثيم الذي نـدم عليه زفس بعد أن أحرق عمّه أبا قرينته في تنور مستعر ، ودعاه الى مأدبة في ديار الخلد ، فتطاول على هيرا زوج رب الآلهة . وكل الخونة والحانثين والبخلاء والخاطفين والسراق والمتهتكين . فهؤلاء جميعاً كانت تسفون إحدى ربّات الانتقام ، تستقبلهم بثوبها الدامي ، وتدفعهم الى شقيقتها ألكتو فتسومهم عسفاً وخسفاً ، وتنهال عليهم بمقارع من ثعابين ، واختها ميغرا بمشاعل متّقدة .

٧ – وعندما يبتعد الجانب الوجل عن تلك الاصقاع الباعثة على الذعر ، ويُصم اذنيه عن هول العويل والنحيب ، وينعطف شطر اليمين الى بقعة العزاء والهناء ، يعثر فيها على مغانٍ ورياض ومراتع وغياض ، استسلم اهلها الى الصفاء وصنوف الرغد والرخاء . هواؤها نقي وضاء ، وسماؤها نور وسناء . تشرق عليها نيرات بهية وتنيرها كواكب سنية . فتلك ديار السعداء ينصرفون فيها الى المحاورة والمنادمة ، على أعشاب ناعمة مخملية ، في راحة دائمة سرمدية . إلا لمن هاجه الشوق الى حياة الارض العلوية .

٨ وتنساب هناك مياه نهر اوذانس النقية الفضية ، الذي تقام على ضفافه حلقات اللعب والطرب . ومياه نهر النسيان والسلوان ، الذي تزدحم بجواره الارواح ، عندما تسأم حياة الظلال ، لتعبّ من رائق كوثره وتسلو ماضيها القريب والبعيد ، وتتوق الى حياة عمر جديد . لأن روح الكون الشاملة في زعمهم ، تبعث فيها ذلك الحنين ، وتحدوها الى العودة الى سالف السنين ، الى عيش النكد في ديار المائتين. فتغادر النفوس مقرّ السعادة ، وتعود الى هذه الدنيا من باب العاج وأحلامه الوهمية الخداعة ، أو من باب القرون وأحلامه الثابتة الحقيقية . ومن ولج الدنيا مجدداً من باب العاج ، بدا فيها من أصحاب الخيال . وأما من عبر اليها من الباب القرني ، تصرّف فيها باعتدال وفقاً لما يقضي واقع الحال .

الفقرة الثانية

آلهة الجحيم وأعوانهم

١ ـ هاذس ملك الهاوية .

١ ـ ان ملك الجحيم والهاوية هو ابن اخرونس وريئا ، وأخو زفس. وبسذون وهيرا . وكان إلهاً حصيفاً رصيناً ، لايغادر قصره البديع الوسيع ، القائم بجوار الأنهار والينابيع ، على مدخل ديار السعد ، ومقر الصفاء والرخاء والرغد .

وقد خرج مرة الى وجه الأرض ، ليخطف برسفوني الحسناءقرينته البهية. الميفاء التي ملـّكها معه على ديار السعداء ، وأصقاع البلى والعفاء . وخرج مرة ثانية الى نطاسي ماهر بارع ليداوي طعنة في كتفه ، أصابه بها هركليس، عندما إحتمى كيرفرس تحت عرشه ، وصدّ هو ابن زفس عن سحبه وجرّه . وعلى كل حال ، إن عن له ان يغادر دياره ، يلبس قبعةً تحجبه عن الأبصار،فيجوب بها الاصقاع والأمصار .

٢ قلنا ان ذلك الاله القدير ، كان عاقلاًوقوراً . وفي الواقع لم يُثِر غيرة. زوجه ونقمة حمـــاته ، إلا مرة او مرتين . ففي ذات يوم ، بينما كان يتفقد أحوال رعاياه ، ويجوب في أرجاء مملكته ، مرتدياً قبعته السحرية التي تخفيه عن الابصار ، رأى على ضفة ككتوس غادة واجفة حزينة ، ذات جمال وروعـة.

فقدنا منها فجأة وعزّاها بلطف وفرج كربتها ووعدها ان يتخذها صديقة ووصيفة لقرينته كوري . ولكن هذه تزاولت من التابعة ، لما لاحظت ما بينها وبين قرينها هاذس . وأبدت مخاوفها لامّها القديرة ذميتير . فهرعت إلهة الزرع والضرع وداست البائسة بقدميها . فأسف عليها ربّ الجحيم ، وحوّل خليلته منثّس الى نعنعة وخصّ ذاته بهذه الزهرة .

٣ - وصادق ابنة المحيط لفكي البيضاء ، وأقامها في القصر مشرفة على الوصيفات ، وعمّرت فيه طويلاً . ثم قضت نحبها فأحالها الاله الى صفصافة فضية ، ينثر النسيم أوراقها على ضفاف نهر النسيان . وقد تكلل هركليس في عودته من ديار المائتين بأوراقها الجميلة .

ولقد أكرموا الاله هاذس إكرام رهبة وخوف وحذر . واعتادوا أن يذبحوا له ذبائح مزدوجة لامفردة ، كما ضحوا لغيره من الآلهة . وأفضل الضحايا التي ضحيت له الثيران والضأن والنعاج السوداء . واذا دعوه ركعوا سجّداً ، وضربوا الارض بأكفهم . أما نباته المختار فهو مع النعنع السرو والنرجس .

٢ - قرينة هاذس كوري - برسفوني .

١ - ان كوري - برسفوني إلهة الربيع ، وجوّه النير العابق البديع ، هي نفسها بهجته ورونقه وأريجه . وقد دعتها سفّو شاعرتهم الملهمة « زهيرة الربيع الفائحة » . وعلى مارأينا في سيرة أمها ، إنها ابنة زفس وذميتر ، إلهة فتية رائعة ، تمثّل العمر في ربيعه ، والشباب في شرخه ، والبهاء وزهوه في ريعانه . وتمثل الايام العذاب وأملها الباسم الجذاب ، وسحرها الفاتن الخلاب .

٢ - ولكن الربيع يعقبه الخريف ، وتثور فيه الرياح الزعازع وتأتي بالعواصف والزوابع ، تليها المتاعب والمصائب والفواجع . كذلك تلك

الغادة الحسناء اللعوب وتلك الالهة المبهجة الطروب ، سطت عليها يد الجحيم وبلتها ببلاء وخيم وسحبتها الى ديجور ليل بهيم ، الى ديار البلى والفساد. ومع انها تعود الى مغاني النور وتنشر فيها البهجة والحبور مع الرياحين والازاهر والعطور ، فهي لم تعد تبدو بما ازدانت به من البشر والطرب والسرور .

٣ — كان الالمبيّون آلهة سعيدين ، وارباباً مؤبدين خالدين ، لا يعبؤون كثيرا بمشاكل البشر ولا بما ينالهم من مكاره وغيّر . أما كوري وذ ميتير ، فقد عرفتا الحسرة والهم ، وذاقتا الالم والغم . ولذا كثيرا ما لجأ الاقدمون الى هاتين الالهتين لأن الام فجعتها السنون ، اذ تخفي عنها ابنتها كلّ عام ، ولان البنت رأت هول المنون ، وخبرت مرارته على الانام . فهما من ثمة إلهتا الرحمة والشفقة ، ترثيان لحال من جار عليها القدر ، وبلتهم الايام بالمحن والعبر ، وأذلّتهم الموت وجار وقهر .

٤ — وقد اكرموا الالهة بيرسيفوني في صقلية وساردس ، وأطلقوا عليها في اركذيا لقب ذيسبينا اي الالهة السيّدة ، ولقب بيرسيفوني ستّيرا اي برسفوني الخالصة ، ولم يفصلوها عن امها في اسرار إليفسيس . أما شعاراتها كالهة للجحيم فهي الخفافيش والنرجس والرمّان . واذ حُبست رحمها عن الولادة ، لان مملكة قرينها مملكة البلى لا الحياة ، اعتادوا ان يذبحوا لها بقراً عاقراً .

٣ هكاتي القمر المكفهرّ احدى الهات الجحيم

١ — ادعى هيسيذس ان الالهة هكاتي هي ابنة الشيطان برسيس والشيطانة أستيريا . وزعم غيره انها بنت من بنات زفس ، ولدتها له حليلته

هيرا ربّة الآلهة والبشر . إلا أن هـذا الرأي وذاك هو اعتقاد خاطىء . فاذا كانت الالهة هكاتي نفس الالهة مينِيي او الالهة سيليني،فهي والحالة هذه شخص القمر ، كما أن هيليُس أخاهاهو شخص الشمس ، وكلاهما ابنا التيطان هيبِرِين والتيطانة إفرِفا يِّساً . واذا كانت نفس أرتِيميس ، فهي أخت أبُولـّن وابنة زفس ولِتّو . ومنهم أخيراً من خلط بينها وبين بيرسِيفوني إلهـة الجحيم . ولكنّ هؤلاء يهرفون بما لا يعرفون .

٢ — اشتهرت هذه الإلهةبقدرتها في السماء وعلى الأرض . فهي تدفع أبْلوتُس الثراء ابن ذِميتِر ايهب الناس الغنى والفوز والفطنة . وأراد الثراء ان يحصر خيراته في الأبرار والأخيار ، فشكته هكاتي الى ابيها وخاله زفس . فرأى رب الآلهة ان المثل القائل : « ما اجمل الدين والدنيا اذا اجتمعا » . لا يصلح تطبيقه الا في ما ندر . والرخاء والرفاهية اذا اقترنا بالفضيلة قد يفسداها. وعلى كل حال ، قد يكونا أجراً عاجلاً وثواباً دانيا . وان الفضيلة اعظم اجر في حد ذاتها ، وابهى ثواب لنفسها في هذه الدنيا . ولذا ضرب الثراءَ بالعمى . ومن ذلك الحين أخذ الاشرار يتزلّفون الى الغنى ، ويستثمرونه على حساب الأخيار . وهكاتي تسهر آناء الليل على القطعان، وتهدي السفن في لجج البحار، وقد ساعدت زفس في حرب العماليق . ولذا ما فتئوا يجلونها بين الخالدين .

٣ — وزعم من احدرها من هيرا ربة الأرباب ، انها اختلست من والدتها علبة من الذرور والعطور ، لتهديها الى إفروبا . واذ حنقت امها ، هربت هي من وجهها واوت على الارض الى بيت امرأة « نفاس » . فتنجّست من ملامستها . فأخذها الكافِري كهنةُ كفيلي وغطّسوها في نهر أخيرُن ، وأزالوا عنها رجسها . ومنذ ئذ غدت هكاتي الهةً علوية وسفلية معاً . وغنمت

في عالم الظلال هيبة ونفوذاً . فدعوها زعيمة الموتى والملكة غير المقهورة .

٤ – وقـد أشرفت منذ القدم على التكفير والتطهير ، وعلى الشعوذة والسحر والطلسمة . وما انفكت تبعث بشياطينها الى الارض لتعذّب البشر ولا سيما الاردياء ، وتبدو بذاتها في الليالي الظلماء ، تصحبها ثلّة من الكلاب السوداء، على مفارق الطرق وعلى الضرائـح والقبور وفي مكامن الاثم والشرور. واتقاء لسخطها نصبوا لها التماثيل الثلاثية الوجوه ، وقرّبوا لها الذبائح والقرابين، اذا ما هلّ الهلال في السماء ، وخطر بتؤدة في كبد الفضاء ، وبدا طيفه من وراء السحاب، وتلالى بين دوحات الغاب واشجار الصنوبر والسرو والشربين.

٤ – اعوان آلهة الجحيم : المـــوت والسبات وإلاهات الأجَل وربات الانتقام .

١ – ان الموت ثانَتَـُس يموّن الجحيم ومستوردها الاكبر ، هو ابن الليل الداجي . ودجنة الليل ولدته دون اقترانها بإيْرِفَـُس . وهو اخو النوم هيبْنُس . وقد تمثّلوهما بهيئة ملاكين. الأول يجول بين المائتين ويخطف منهم فرائسه . والثاني يمسّ بعصاه السحرية الآلهة والبشر ، فيلقي عليهم السبات العميق . وابن النوم مُرْفِفَس الَه الاوهام والاحلام . وقد اوقع هيبْنُس السباتَ على زفسَ فوق جبل إيذا .

٢ – اما كيرس فهن إلاهات الأجل وبنات الليل وأخوات الموت . ولدتهن دجنة الليل دون قران ايضاً . وكانت إلهات الأجل نصيرات إلهات القدر . فاذا حُمّ الأجل وحان وقت الرحيل ، وصرمت إلاهات القدر حبل العمر ، أقبلت إيكيرس وأخـــذت بتلابيب البائس المحتضر ، وطعنته الطعنة

الأخيرة وهوت به الى ديار الظلال . وقد أبدت هذه الإلاهات بطشها في المعامع والمعارك ، حيث تبدو بثياب قانئة وسحن كالحة وتنقضّ على الجرحى وتنشب أظافرها في جراحهم ، وتودي بحياتهم ، ثم تقبل عليهم وتعبّ بنهم من دمائهم . ولذا دعوها كلبات الجحيم .

٣ — أما إلهات الانتقام فقد رأينا كيف انصرفت تلك الالهات الى تعذيب الأردياء في منقع البلاء والشقاء . وقد اختلفوا في نسبتها . فمنهم من عزاها الى الارض بعد ان اخصبتها دماء السماء . وهذا رأي هسيذس . ومنهم من نسبها الى الليل ، ومنهم من أحدرها من إيرفس .

وعلى كل حال ، كانت تلك الجنيّات إلاهات رهيبات ، يسرعن الى مكان الجريمة ويقمن على عتبة البيت ، ولا يدعن أحداً ينجو من نقمتهنّ ، حتى في موضع العذاب ، في مهاوي تارترس . لاسيما اذا كان الجاني قد اقترف جنايته ، بحق والديه أو أحد ذويه .

هذه سيرة الآلهة ارباب البشر . وهذه تفاصيل مواليدهم ووقائع فعالهم وأعمالهم ، فيها فكاهة للهواة وعبرة للمفكرين والفلاسفة وعلماء الدين والباحثين عن المعتقدات والديانات . ومن خلال هذه الاساطير والخرافات ، يستشف المطالع الأديب والمفكر الأريب نزعة الانسان العميقة الى الخلود ، والى حياة الالوهة ، والى السعادة والغبطة الدائمة .

فهرس الأعلام

A = أ

أكتيئن	Actéon
أكروبولس	Acropolis
ألثيئا	Althéa
أكيس	Akis
الـثيذس	Alciidhès
ألفئوس	Alphéos
ألكتريون	Alectrion
ألكي	Alkipie
ألكتو	Alecto
ألكستيس	Alkistis
ألكميني	Alcménie
ألكيئاس	Alkionèvs
ألكينؤس	Alkinoos
ألئاس	Aloévs
أمثوس	Amathous
أمزون	Amazones
أمفتريتي	Amphitritie
أمفترين	Amphitrion
أمفين	Amphion
أمكلاس	Amiclas
أمالثيا	Amàlthia
أنثذون	Anthidhon
أنتلي	Anatolie
أنتيوبي	Antiopie
أنخيسس	Ankhicis

أيتس	Aétis
أئلو	Aéllo
أرغيس	Arghis
أركاس	Arkas
أركذيا	Arkadhia
أريادني	Ariàdhnie
أسبوس	Asopos
أستبالي	Astipàlie
أستريئس	Astréos
أسترين	Astérion
أستريا	Astéria
أستيريس	Astérios
أسكالفس	Ascàlavos
أسكالفس	Ascàlaphos
أسكليبوس	Asclipios
أسيا	Acia
أطلاس	Atlas
أغافي	Aghàvie
أغلئي	Aghlaïe
أغلئيا	Aglaïa
أغممنن	Aghamèmnon
أغني	Aghanipie
أغينر	Aghinor
أفتنئي	Aftonoïe
أفرديتي	Afrodhitie

أفغيس	Avghias
أفلنياذس	Avloniädhès
أفيرنس	Avérnus
آتربس	Atropos
آذمتس	Admitos
آذن	Adhon
آذنس	Adhonis
آرس	Aris
آرغس	Arghos
آغلفرس	Aghlavros
آفذس	Avidhos
آمبلس	Ampélos
آمكس	Amicos
أبولن	Apollon
أتكي	Attikie
أثامس	Athàmas
أثنا	Athinà
أثينا	Athènes
أثينثا	Athinéa
أخيرن	Akhéron
أخلفس	Akhillèvs
أخلوؤس	Akhiloos
أذرستي	Adhrastie
أرتميس	Artémis
أرثوسا	Arêthouça
أرستفس	Aristèvs
أرغرا	Arghira
أرغليس	Argholis
أرغو	Argho

O = أ

أثريس	Othris
أذسفس	Odhissèvs
أرثيا	Orithia
أرتغي	Ortighie
أرخوس	Orkhamos
أرخنوس	Orkhoménos
أرخنيا	Orkhoménia
أريا	Ourania
أرياذس	Oriadhès
أرين	Orion
أكثنوس	Okéanos
ألبيا	Olympia
ألكس	Onkos
أوتس	Otos
أوسا	Ossa
أولبس	Olympos

Ou = أ

أرنوس	Ouranos

Ê = إ

إيلس	Eolos
إفروبا	Evropa
إفروبي	Evropie
إفروتس	Evrotas
إفريالي	Evrialie
إفريبلس	Evripilos
إفنثيس	Evanthis
إفنميا	Evnomīa
إلفسين	Elevsinīon
إلفسيس	Elephsis
إنيبئس	Enipéos
إندمين	Endhimīon
إنسختون	Enocikhthon
إنكلاذس	Enkiladhis
إنيس	Enīas
إيتا	Eyta
إيتيس	Eītis
إخذنا	Ekhidhna
إربس	Erévos
إيفسس	Ephécos
إيفرس	Evros
إففمس	Evphimos
إيفيا	Evvia
إيكوس	Eakos
إيوس	Eos
إيئا	Ea
إبفس	Epopèus
إبفوس	Epaphos
إبمثفس	Epimithèvs
إبيذفرس	Epidhavros
إتليا	Etolīa
إتنا	Etna
إثليا	Ethalīa
إخناذس	Ekhinadhès
إثوسا	Ethouça
إرخثونيس	Erikhthonios
إرسختون	Ericikhthon
إرسي	Ercie
إركس	Eryx
إرايس	Erinys
إروس	Eros
إغيني	Eghinie
إغيئس	Eghéos
إفرسيني	Ephrocinie
إفيالتس	Ephialtis
إفتيربي	Evterpie
إفرتس	Evritos
إفرتين	Evritīon
إفرفئسا	Evriphaessa
إفرفيا	Evrivīa
إفرذيكي	Evridhikie
إفرنومي	Evrinomie

I = إ

Ilectra	إلكترا	Ilis	إيلس
Ilythia	إليثيا	Ilios	إيليس
Imathion	إمثين	Ilion	إيلين
Inopion	إنبين	Iamvie	إيمفي
Inévs	إنفس	Ionia	إيونيا
Ino	إنو	Io	أيو
Inopia	إنوبيا	Ion	إين
Iaçon	إياسن	Iplonie	أيبوني
Iacion	إيسين	Ikho	إيخو
Inomaos	إنومؤس	Idhmon	إذمون
Ipiros	إبيرس	Idheī	إذيئي
Idha	إيذا	Sparte	إسبرطة
Iris	إيرس	Iphimidhia	إفيذيا
Iaço	إيسو	Ixion	إكسين
Ikaros	إيكرس	Ilissos	إلسوس

P = ب

Pessinous	بسنوس	Piça	بيسا
Pyghmalion	بغملين	Piéria	بيريا
Pavsanias	بفسنياس	Pighaços	بيغسس
Pallas	بلاس	Pélops	بيلبس
Palatinus	بلتينس	Pilion	بيلين
Polidhevkis	بلذيفكس	Psykhie	ابسخي
Polidhectis	بلذيكتس	Paciphaīe	بسفائي
Pilevs	بلفس	Psammathie	ابسمثي

Pan	بان
Pandhimos	باندمس
Panthios	بانثيس
Patroclis	بتركليس
Pithon	بثون
Pithonissa	بثونسا
Potamidhès	بتميذس
Podhalirios	بذليريس
Protèvs	ابرتفس
Pyrra	برّا
Persèvs	برسفس
Persèphonie	برسفوني
Persis	برسيس
Porphirion	برفرين
Procris	ابركريس
Pracsitélis	ابركستيلس
Promithèvs	ابرمثفس
Parnassos	برنسوس
Priapos	ابريبوس
Pornie	برني
Pritos	ابريتس
Pyrithoos	بريثوس
Priamos	ابريمس
Pocidhon	بسذون
Polivotis	بلفوتس
Pallıki	بلكي
Ploutos	ابلوتس
Palodhie	بلوذي
Pliadhès	ابليادس
Polivotos	بليفتس
Poliphimos	بليفمس
Pélion	بليون
Plionie	ابليوني
Pélias	بليس
Pendélicon	بنتلكون
Pindharos (Pindare)	بنذرس
Pandhora	بنذورا
Pandhia	بنذيا
Pontos	بنطس
Panghie	بنغي
Panakia	بنكيا
Pénélopie	بنلوبي
Pinios (Pénée)	بنيوس
Pothos	بوثس
Pitys	بيتس
Paris	بارس
Paphos	بافس

T = ت

Typhon	تيفن
Ténédhos	تينذس
Tityos	تيتيس
Tyrinthos	تيرنثس

تينرس	Ténaros
تينرن	Ténaron
تارترس	Tartaros
تافيتس	Taviétos
تانتلس	Tantalos
اتثين	Titthion
تيثا	Titéa
تثيس	Tithys
تخي	Tikhie
اتربتولمس	Triptolémos
تربسخوري	Terpsikhorie
اترزين	Trizin
ترسياس	Tirécias
اتريطن	Triton
ترو	Tiro
اتروس	Tros
تسفون	Ticiphon
تغريس	Tighris
تفييتس	Taviétis
تلسفورس	Télesphoros
تلفوسا	Téléphouça
تليغنس	Tiléghonos
تليمخس	Tilémakhos
تمي	Tampie
اتمولس	Tmolos
اتنذارس	Tyndharis

Th = ث

ثاليا	Thalia
ثانتس	Thanatos
ثراقيا	Thrace
ثرغليون	Tharghilion
اثرنكريا	Thrinacria
ثسليا	Thessalia
ثسفس	Thicêvs (Thêsée)
ثسمفورس	Thesmophoros
ثفماس	Thavmas
ثؤوسا	Thoossa
ثيتس	Thétis
ثيرس	Thiris
ثثفاني	Théophanie
ثيبة	Thèbes
ثيمس	Thémis
ثيا	Thia

J = ج

جامس	Jamos

Kh = خ

Khiron	خيرن	Xaris	خارس
Khiméra	خيمرا	Kharivdhis	خارفذس
Khionie	خيوني	Khariclo	خركلو
Khios	خيس	Khronos	اخرونس
		Khricis	اخريسس

Dh = ذ

Dhriadhes	اذرياذس	Dhikie	ذيكي
Dhriops	اذرييس	Dhilos	ذيلس
Dhoris	ذريس	Dhiomidhis	ذيميذس
Dhevcalion	ذفكاين	Dhionyços	ذيونسس
Dhimophon	ذمفون	Dhionie	ذيوني
Dhimitir	ذميتر	Dhardhanos	داردانس
Dhanaïe	ذنائي	Dharios	داريس
Dhanaos	ذناؤس	Dhaphnis	ذافنس
Dhianira	ذيانرا	Dhaphnie	ذافني
Dhédhalos	ذيذلس	Dhactili	ذاكتلي
Dhéiphovie	ذئفني	Dhamascos	ذامسكس (دمشق)
Dhictis	ذيكتس	Dhodhon	ذذون

R = ر

Rhétos	ريتس	Rhadhamanthis	رذامنيس
Rhéa	ريئا	Rodhos	روذس

Z = ز

Zithos	زيثس	Zaghrèvs	زغرفس
Zéphiros	زيفرس	Zevs	زفس
Zinos	زينس	Zitis	زيتس

S = س

Styx	استيكس
Stymphalos	استيمفلس
Sthéno	اسثنو
Sidhie	سذي
Sarpédhon	سربذون
Sirine	سرين
Sapho	سفو
Savazia	سفاذيا
Savazios	سفاذيس
Scamandhros	اسكامندرس
Skithia	اسكثيا
Skylla	اسكيلا
Sikyonie	سكيوني
Salmakis	سلمكيس
Salmonèvs	سلمنفس
Sélemnos	سلمنوس
Silinos	سلنوس
Sèlinie	سليني
Sileni	سليني
Smirnie	اسميرني (ازمير)
Simonidhis	سمنيذس
Sémélie	سيملي
Singharios	سنغاريس
Souria	سوريا
Siriphos	سيرفس
Sirios	سيريس
Sirinx	سيرنكس
Sisiphos	سيسفس
Sinis	سينس
Septiria	سبتيريا
Staphilos	أستافلس
Stéropis	استربيس

Ç = ص

Çour	صور

T = ط

Troas	اطروآس
Troada	اطروادة

Gh = غ

Ghorghonès	غرغونس
Ghlavkie	اغلافكي
Ghalli	غالي
Ghordhias	غرذيس

اغلفكوس	Ghlavkos
غلتيا	Ghalatīa
غليني	Ghalinie
غنميذس	Ghanimidhis
غيئا	Ghéa
غيئس	Ghéis

F = ف

فذيس	Phidhīas
افرغيا	Phryghīa
فرفاس	Phorvas
فركيس	Phorkis
فرنفس	Phoronèvs
فكيس	Phokis
افلغيس	Phlyghīas
فلوس	Phallos
فنيقيا	Phénicie
فوسفرس	Phosphoros
فولس	Pholos
فئوسا	Phaéthouça
فيفس	Phivos
فيفي	Phivie
فيليس	Philios
فينكس	Phinix

V = ف

فاكخس	Vackhos (Bacchus)
فثنيا	Vithinīa
افرفرون	Vravrone
افرنتيس	Vrontis
فروئي	Véroïe
افريارئس	Vriaréos
فرياذه	Voréadhé
فريئس	Voréas
فسبرس (البسفور)	Vosporos
فسرفس	Vassarèvs
فسلتيس	Viçaltis
فسيرس	Vociris
ففو	Vavvo
فلرفون	Vellérophon
فنذيس	Vendhis
فيتيا	Viotīa

K = ق

قبرص	Koubros (Chypre)

ك = C

اكليتيس	Clitios
اكليو	Clio
كلئوس	Kéléos
كمبنيا	Campania
اكنسوس	Cnossos
اكنيذس	Cnidhos
كوتس	Cotos
كورنثس	Corinthos
كوري	Corie
كوس	Cos
كومه	Cumae
كير	Kir
كيركي	Kirkie (Circé)
كيرفرس	Kervéros
كيفلس	Képhalos
كيكلبس	Kiclopès
كيليكية	Kilikia
كيمي	Kimie
اكسنثوس	Xanthos
كسوتس	Cassotis
اكسوتس	Xouthos
كفسوس	Kyphiços
كفلي	Képhalie
كفرو	Caviro
كوكاز	Cavcase
كفيرا	Cavira
كفيلي	Kivélie

ككربس	Kécrops
ككنس	Kicnos
اكلارس	Claros
كلافريا	Calavria
كلبسو	Calypso
اكلتمنسترا	Clitemnistra
اكلثو	Clotho
كلذون	Calidhon
اكلتيا	Clitia
كلروئي	Calliroïe
كلستو	Calisto
اكلميني	Climénie
كلنو	Kéléno
كلنوس	Colonos
كلوني	Colonie
كليبي	Calliopie
اكليتس	Clitos
كاذمس	Cadhmos
كاستر	Castor
كافري	Caviri
كالئس	Calaïs
كانثس	Canathos
كبارسس	Kyparissos
كبذكيا	Capadhokia
كثرون	Kithérone
كثيرا	Kithira
كذلين	Kidhalïon

كتو	Kito
اكرتئيس	Cratéis
اكرسا	Crissa
اكروتبس	Crotopos
كركين	Kirkīon
كروني	Coronie
كريت	Carite « Crête »
كريتس	Courités
كريفس	Corivas
كريفنتس	Corivantès
اكرينسا	Crinissa
اكريني	Crinie
كريني	Kirinie
كريا	Carīa
اكريس	Crīos
كستليا	Castalīa
كساندرا	Cassandhra

L = ل

ليكس	Lycos
لينس	Linos
لاخسس	Lakhécis
لاذن	Ladhon
لامبكس	Lampsacos
لباري	Lipari
لبنان	Liban
لبيثه	Lapithé
لتو	Lito
لثي	Lithie
لفكثوئي	Levcothoie
لفيا	Livīa
لكاؤن	Lycaon
لكريس	Locris
لكنيا	Laconīa
لكورغس	Licourghos
لكيئس	Likéos
لكيا	Lykīa
لمتيا	Lampêtīa
لمناذس	Lemnadhes
لمنس	Lemnos
لؤميذن	Laomédhon
ليذا	Lydha

M = م

ميغرا	Méghéra
ميلمبس	Mélampos
مياس	Mimas
ميمنن	Memnon
مينس	Minos
ميئندرس	Méandhros

مينلس	Ménélas
متنرا	Métanira
مخون	Makhaon
مذوسا	Médhouça
مرثون	Marathon
مرسيس	Marsyas
مروبي	Méropie
مريني	Mirinie
مكذنيا	Makédhonia
مكريس	Macris
مكيني	Mikinie
ملبميني	Melpoménie
مليوني	Molionie
ممفيس	Memphis
مناس	Ménas
منتر	Mentor
منثس	Minthos
منرفا	Minerva
امنسكليس	Mniciclis
امنمسيني	Mnimocinie
منيتيس	Ménitios
مورس	Moros
ميتس	Mitis
ميذس	Midhas
ميرس	Mérops
ميره	Mirai
ميسترا	Mistra

N = ن

نابلي	Napoli
نافبكتس	Navpactos
نافبليس	Navplios
ناكسس	Naxos
نياذس	Naïadhes
نبيئه	Napaié
نرفس	Nirèvs
نرئيذس	Nirëidhés
نرئيس	Niréis
نسروس	Nisiros
نفبليا	Navplia
نكرفس	Nicrèvs
نلفس	Nilèvs
نمفه	Nymphé
نمفي	Nymphie
نميئا	Néméa
نوتس	Notos
نيمسس	Némécis
نيوفي	Niovie
نئيرا	Nééra

H = ه

هلنوس	Hélénos
هليتروب	Héléotrope

هليسين	Hilicion
هلينا	Hélèna
هليني	Hélénie
هليثرس	Héléorès
همتوس	Hymittos
هوره	Horai
هومرس	Homiros
هياذس	Hyadhès
هيا كنثس	Hyakinthos
هيرا	Hira
هيرفانتس	Hiérophantis
هيسبرس	Hespéros
هيفي	Hivie
هيفستس	Hiphestos
هيليس	Hilios
هيمرس	Himéros
هاربيه	Harpiai
هاذس	Hadhis
هبذميا	Hippodhamia
هبرينر	Hipérinor
هبرين	Hipérion
هبليتي	Hypolitie
هبوثؤس	Hippothoos
هجي	Hygie
هرفالي	Harpalie
هر بينا	Harpina
هركليا	Hiraclia
هركليس	Hiraclis
هرمنيا	Harmonia
هرمفروذاس	Hermaphrodhitos
هرميس	Hermis
هريفس	Hirievs
هسبريذه	Hespéridhé
هستيا	Hestia
هسيذس	Hiciodhos
هغيا	Hyghia
هكاتي	Hécatie
هكتونخري	Hécatonkhiri
هلكون	Hélicon
هلين	Hellin

I = ي

يفتوس	Iapétos
يوبتر	Ioupiter

مراجع كتاب الأسطورة اليونانية

La Mythologie, E. Hamilton, Paris, 1962.

Mythologie universelle, A. H. Krappe, Paris, 1930

Mythologie générale, F. Guirand, Paris, 1935.

Dictionnaire de Mythologie, H. Aubert, Paris, 1945.

Les légendes mythologiques de la Grèce et de Rome, Paris, 1945.

Histoire illustrée de la littérature grecque. Y. Humbert, Paris, 1947.

Histoire de la science grecque de Thalès à Socrate, R Baccou, Paris 1951

Hist. Gén. des sciences I,science antique et médiévale. P.U.F. Paris 1957.

Dictionnaire des antiquités. Dezobry et Bachelet, Paris, 1863.

Hist. de la littérature grecque. A. et M. Croiset, Paris, 1933.

Manuel des études grecques et latines. L. Laurand. Paris. 1946.

Précis d'histoire de la philosophie Thonnard, Paris. 1945.

Aristote. la métaphysique, trad. Y Tricot. Paris 1948.

» . l'organon , » » » »

» , de l'âme , » » » »

Pindare, œuvres, Coll. G. Budé, Paris 1949.

Platon, » , » » » »

La Politique d'Aristote. Trad. A. Barbara, Beyrouth, 1957.

Leucien de Samosate, œuvres. E. Chambry, Ed. Garnier, Paris, 1934.

Diogène Laërce, œuvres R. Genaille, » » 1933.

Bergson. œuvres, P. U. F. Paris 1959.

١٥٠٠ / ٥ / ١٩٦٦

مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي

دمشق ١٩٦٦

تصحيح أخطاء

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧	٣	عشر	عشرة
١٨	٢	الوهبة	الرهبة
١٨	١٤	سفكلبس	سفكليس
١٨	١٤	الألمبي	الألمبي
١٩	٨	به	بها
٢٣	١٦	ويبدو	ويبدوا
٢٥	٩	الفزّ	الفذّ
٢٦	٣	أحذ	اخذ
٢٦	٣	حيت	حيث
٢٧	١٥	ولتمتثلتها	ولتمثّلتها
٢٩	١٦	طبعاً	طبقاً
٣١	٥	٥٤٠	٤٥٠
٤٤	٩	أولهية	الوهيّة
٥١	١٧	تتداخل	تتدخّل
٦٩	٣	العجائب	العجاب
٧٢	١٦	آثات	أثّات
٨١	١٦	الآ لة	الآلهة
١٠٢	٩	والاتكي الشرقي	والأتكي

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١١١	٥	خذه	فخذه
١٢١	١٢	يستطيع	يستطع
١٤٠	١٨	ايضاً (الثانية)	(زائدة)
١٥٨	٢٢	ورضع	ورضع الطفل
١٦١	٢٠	الى	إلا
١٦٢	٤	عقلية	عقيلة
١٧٦	٣	الايونيين	الايونيون
١٨١	١١	الغمر	مياه الغمر
١٨٣	٧	بليغمس	بليفمس
١٩١	١٤	فقط	فقد
١٩٦	٢	ابتها	ابنتها
٢٠٨	١٠	أتندر	اتنحدر
٢١١	١٣	يتهاوى	يتهادى
٢٢٩	١٣	نماذج	نمازج
٢٣٦	٢٠	كال	كان
٢٣٧	١٦	الذي	الذين
٢٥٤	١٠	صرر	صرار
٢٧٤	١١	إحداهما	احدهما
٢٩٧	٢٠	Leuclen	Lucien

الأسطورة اليونانية

كان الفكر ، لمرحلة قليلة من الزمن خلت ، يرى في الاسطورة قصة وهمية وضعها خيال بدائي.

اما الآن فيرى فيهـــا طريقة شعرية لتفجير المعنى الكامن في الوجود .

وفي الأسطورة اليونانية من الجمال والفن والأفق الرحب ما يجعل منها قوة شعرية وفكرية قلما تيسر مثلها لبقية الأمم .

فهي التي الهمت هوميروس في الملحمتين .

وهي التي اوحت للفنان بتمثال من مقياس فينوس دي ميو والمسرحي بمسرحية من مقيـــاس اوديب والكترا .

ونراها حية في فلسفة افلاطون كما في شعر الشعراء الغنائيين . وتبدو اليوم حية كما في الأمس :

فمنها اقتبس سارتر مسرحية « الذباب » وجان أنوي انتيجونا . الخ .

في هذا الكتاب عرض للأسطورة اليونانية في نشوئها .

لا في الزمان ، فالاسطورة تروي الزمان والتاريخ على طريقتها ولكن في نظامها الذاتي ، كما تروي قصة نشوء الكون والانسان والتاريخ وقصة القوى الطبيعية وفوق الطبيعية التي اسهمت في هذا النشوء .

اقتبس الأب بربارة كتابه عن هوميروس وهيزيدس وغيرهما ممن عاشوا الاسطورة وعبروا عنها

والأب فؤاد جرجي بربارة من كبار الاخصائيين في الادب اليوناني ، فقـــد ترجم لليونسكو كتابين من كتب ارسطو : السياسيات ودستور الاثينيين .

وهو الآن يترجم لحساب وزارة الثقافة حوارين من محاورات أفلاطون : الطيماوس والكريسياس .



مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي

دمشق ١٩٦٦

سعر النسخة

٣٠٠ ق . س